


أ.د. حسين بن عبد الله العَمري

# يَمانيّات

## في
## التاريخ والثقافة والسياسة
## (III)



بسم الله الرحمن الرحيم

# يمانيات

## III

في التاريخ والثقافة والسياسة

يمانيات III في التاريخ والثقافة والسياسة/ حسين عبد الله العمري .- دمشق: دار الفكر ٢٠٠٨ .- ٤٠٨ ص؛ ٢٥ سم.

١- ٩٥٦,٧ ع م ر ي ٢- العنوان ٢- العمري
مكتبة الأسد

أ. د. حسين عبدالله العَمْري

# يمانيات

## III

### في التاريخ والثقافة والسياسة





٢٠٠٨
دمشق
حاضنة اللغة العربية
دار الفكر - دمشق - برامكة
 ٣٠٠١ ٩٧ ٩٤٧ ٠٠٩٦٣
٣٠٠١ ١١ ٠٠٩٦٣
Http://www.fikr.com/
e-mail:fikr@fikr.net

# يمانيات

## III

في التاريخ والثقافة والسياسة

أ. د. حسين عبد الله العمري

الرقم الاصطلاحي: ٣- ١١ ١٠٥٧,٠

الرقم الدولي: ISBN:978-9953-511-88-7

التصنيف الموضوعي: ٩٥٦ (تاريخ العرب والإسلام)

٤٠٨ ص، ١٧ × ٢٥ سم

الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م

# المحتوى


**بين يدي (يمانيات III)** ........ ٧

**يوميات سياسية** ........ ٩

اليمن فِي رِكَابِ العَصْر ........ ١١

القليل من السياسة .. الكثير من الثقافة ........ ١٤

الجيوسياسية اليمنية بين الجزيرة العربية والقرن الإفريقي ........ ١٨

علي عبد الله صالح «زعامةٌ تاريخيةٌ» ........ ٢٣

حديث في الحُكم الصالح ........ ٣١

«ما أشبه اليوم بالبارحة!» وثيقة سرية للمستر سايكس عام ١٩١٨م ........ ٤١

العنصرية وإقرار العدالة ........ ٥٠

توصيات مؤتمر دربان ........ ٦٣

مؤتمرات السياسية والديمقراطية ........ ٦٦

مؤتمرات «للعلم والسياسة» ........ ٧١

مُؤتَمَران بين الثقافة والسياسة ........ ٧٤

**في الثقافة وحوار الحضارات** ........ ٧٧

حوار الثقافات والحضارات في صنعاء ........ ٧٩

تعزيز الحوار بين الحضارات والثقافات ........ ٨٢

ثقافة التسامح الديني والسياسي في اليمن ........ ٩٢

**في العلاقات اليمنية الخارجية** ........ ٩٩

العلاقات اليمنية – الهولندية ........ ١٠١

صدر حديثاً كتاب الثوابت الـ(١٨) بعنوان العلاقات اليمنية – اليابانية ........ ١٠٥

العلاقات اليمنية الألمانية ........ ١٠٨

**في التاريخ والتراث** ........ ١١٧

علاقة الإمام الشوكاني بمدينة ذمار وكبار علمائها.. ........ ١١٩

قراءات ومراجعات ........ ١٢٦

قراءات ومراجعات العلاقة اليمنية الخليجية ........ ١٣٤

الجهود العلمية اليمنية والسعودية في تحقيق المخطوطات وإحياء التراث ........ ١٤٠

القوى المحلية وعلاقتها بالمركز ........ ١٤٥

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ........ ١٨٤

نظرات في كتاب العِبَر ........ ١٩٥
ابن خلدون «شاهد على عصره» ........ ١٩٨
بعد مرور ٢٥ سنة على كتاب «الاستشراق» ........ ٢٠١
تعقيب على ورقة في الاستشراق ........ ٢١٤
الصحافة اليمنية في المهجر (إندونيسية) ........ ٢١٩
**في التنمية البشرية العربية ومآزق التخلف** ........ ٢٢٥
تقديم : تقرير التنمية البشرية ........ ٢٢٧
تقرير خاص عن (التنمية العربية) ........ ٢٣٢
تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٥م ........ ٢٤٣
مداخلة على مسار التنمية في اليمن خلال العقود الأربعة الأخيرة ........ ٢٤٩
مركز الخليج للأبحاث يعقد مؤتمره السنوي الثاني ........ ٢٥٦
**راحلون** ........ ٢٦٣
صور من الذاكرة في رحيل الشاعر الكبير: أحمد بن محمد الشامي ........ ٢٦٥
العلامة روبرت سرجنت يرحل عنا ........ ٢٧٠
رحيل القاضي العلامة السياسي والدبلوماسي الكبير إسماعيل بن أحمد الجرافي ........ ٢٧٤
رحيل أخي الأكبر القاضي علي بن عبد الله العمري ........ ٢٧٥
في ذكرى رحيل (القاضي عبد الكريم العرشي) ........ ٢٧٧
في ذكرى جون بولدري (الرّحالة المُؤرِّخ) ........ ٢٧٨
رحيل العلامة عبد القادر بن عبد الله ........ ٢٨٣
رحيل إدوارد سعيد ........ ٢٨٥
**هموم يمانية على منبر اليونسكو** ........ ٢٨٧
**ملحقات** ........ ٣٢٧
ملحق (١)رسالة من الإمام أحمد حميد الدين إلى الرئيس محمد نجيب ........ ٣٢٩
ملحق (٢) مسودات أملاك خمسة أئمة وورثتهم ........ ٣٣٢
ملحق (٣) البيان الختامي للمؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية ........ ٣٥٣
ملحق (٤) مصادر التراث اليمني ........ ٣٥٩
ملحق (٥) أبحاث في السياسة والتاريخ اليمني ........ ٣٦١
ملحق (٦) إشهار ونص كلمة رئيس مجلس أمناء مؤسسة اليمن للثقافة والتراث ........ ٣٦٣
ملحق (٧) إعلان تأسيس منتدى جسور الثقافة ........ ٣٧٠
ملحق (٨) تشكيل منتدى أصدقاء الكتاب ........ ٣٧٤
ملحق (٩) تدشين مركز سبأ ........ ٣٧٧
**الفهارس العامة** ........ ٣٨١
An Outlook on Ibn Khaldun's Book of History "AL-IBAR" and its Prologue "LA-MUQADIMA" ........ ٤٠٨

## بين يدي (يمانيات III)

هذا الجزء الثالث من سلسلة (يمانيات) التي تضم آخر الأبحاث والأوراق التي ساهمت بها في بعض المحافل والندوات في الأعوام الثلاثة الماضية.

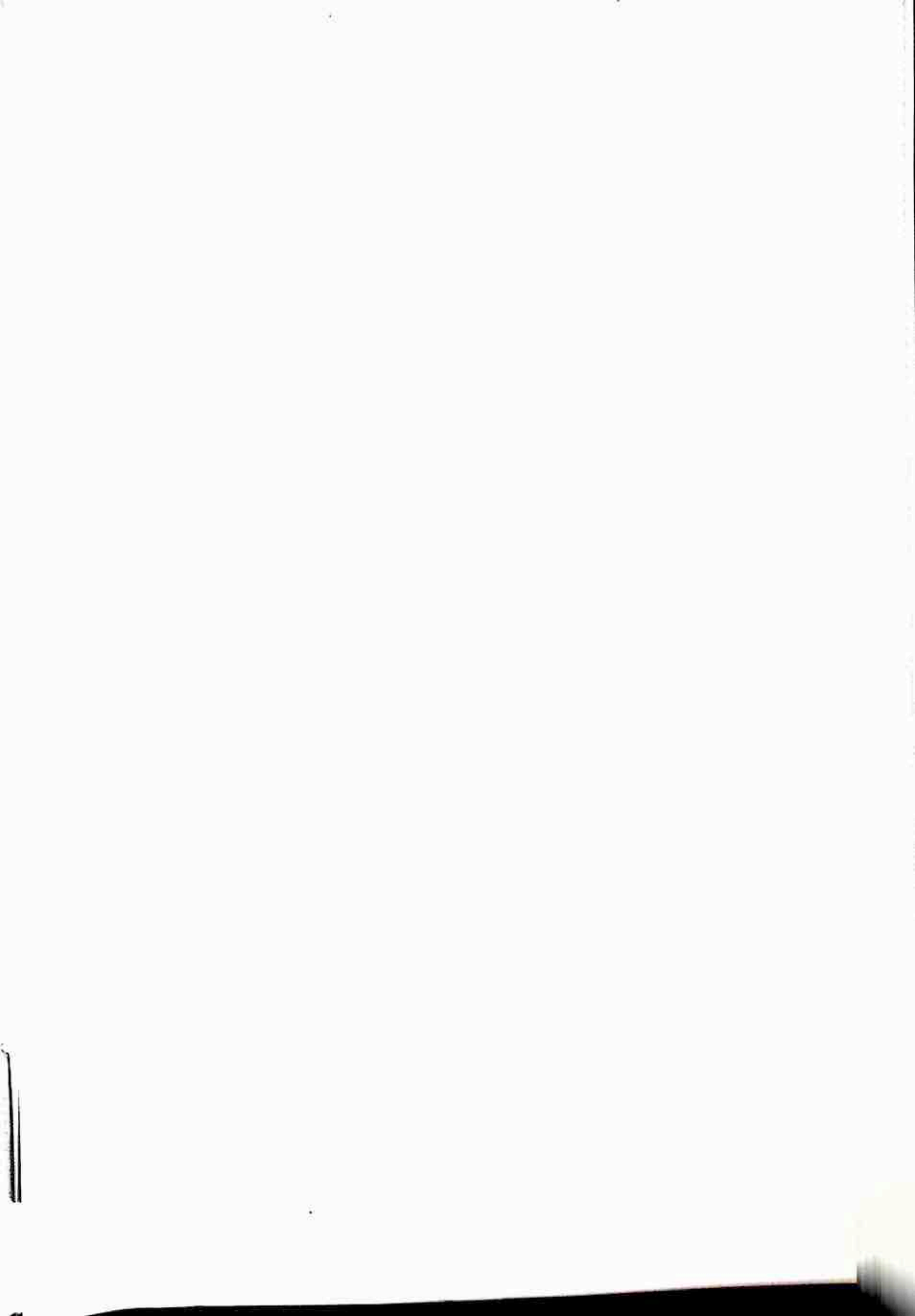
وهي كما يلاحظ القارئ تضم معارف شتى تجمع بين السياسة والثقافة وشؤون التنمية والمجتمع. كما تشمل أيضاً عَبرات وذكريات مع راحلين أعزاء من علماء وساسة أجلاء.

وقد تعمدت كما جرت العادة في الجزأين السابقين ألا أعنى كثيراً بالترتيب، وإنما الوحدة في الكتاب هي الموضوع المستقل بذاته، علماً بأنه لن يخفى على القارئ ما تنتظمه هذه الكتابات من رؤى واختيارات وهموم تنْفَح بنفسٍ يَماني ينقل المعرفة وحب الوطن ويدعو إلى حوار مستديم مع الآخر ويعزز فكرة التعارف بين الأمم.

والله من وراء القصد

صنعاء في غرّة رجب سنة ١٤٢٩ هـ
الموافق للرابع من تموز / يوليو ٢٠٠٨ م

الراجي حسن السداد والعفو من العلي القدير
الأستاذ الدكتور
حسين بن عبد الله العمري



# يوميات سياسية



## اليمن

# في رِكَابِ العَصْر(١)

تتسارعُ الأحداثُ في عَالَمٍ يمضي بنا اليوم بسرعةٍ يكادُ العربيُّ المتابعُ ـ واليمنيُّ على وَجهٍ أخصّ - يلهثُ دونما الإلمام - أحياناً - بحقائقِ ما يَدُوْرُ حولنا في الدوائر القريبة قبل البعيدة.

ومع ذلك، فهموم وطننا اليمني وتطلُّعاتُهُ نحو غَدِهِ ـ المأمولُ بالنماء والأمنِ والاستقرار ـ تحتلُّ المكانة الأولى؛ فنجاح الانتخابات الرئاسيَّة والمحليَّة [وأخيراً المحافظين وأمين العاصمة]أكَّد الثقةَ في صَحَّةِ مسيرةِ الديمقراطية اليمنية، وما نجاحُ مؤتمر لندن «للمانحين» الذي وجّهَهُ وافتَتَحَهُ فخامةُ الأخ رئيس الجمهورية (يومي ١٥ و١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦م) إلّا اهتماماً ـ صادقاً ـ من الدول الشقيقة ـ في مجلس التعاون الخليجي، والمملكة المُتحدة الصديقة، والصَّناديق المختَّصة، والبنك الدُّولي ـ بِدورِ اليمن الساعي للارتفاع بمستوى المعيشة والاقتصاد والتعليم، والتغلُّبِ على الفقر، والقضاء على الفساد بكلِّ أشكاله، وبما يؤسس لمرحلةٍ جديدةٍ من الشَرَاكةِ الحقيقية والتقدُّم المنشود لليمن وأشقائه..

ولقد حَرَصَتِ مجلة «الثوابتُ» ـ دَوْمَاً ـ أن تُزَوِّدَ قُرائِهَا بشيءٍ من

---

(١) مستل من افتتاحية مجلة (الثوابت) العدد ٤٦، للكاتب.

التحاليل أو التفاصيل لِمَا يَدُورُ من قضايا وطنيَّة أو قوميَّة، أو غيرها من قضايا العلم والثقافة، أو السياسة والتنمية، أو البيئة..

وفي هذا العدد ملفٌ آخرٌ عن «الديمقراطية والإصلاح وحريَّةِ التعبير» ـ استكمالاً لملفٌ في العدد السابق (٤٥) ـ، وفيه تحليلٌ للانتخابات الرئاسية وتوثيقٌ لبرنامجيِّ الانتخاباتِ الرئاسيّةِ والمحليّة.

وبمناسبة الحديث المتواتر عن التحاق اليمن بمجلس التعاون الخليجي، ومؤتمر لندن للمانحين، سيجِدُ القارئُ الكريم بَحثَاً عن: «حتمية الانضمام التاريخية والجغرافيّة، وضرورات ذلك المستقبلية».

### اليونسكو في عامها الستين:

ولَمَّا كانتِ اليمنُ عضواً فاعلاً ومستفيداً من منظمة (اليونيسكو) ـ منذ عضويتها في نيسان/أبريل ١٩٦٢م ـ فقد حَرَصَت على المشاركةِ بِمَلفٌ خاصٌ لذكرى تأسيس هذه المنظمة العريقة المهتمة بشؤون الثقافة والعلوم والتربية في العالم طِيلَةَ سِتين عاماً خَلَتْ، وقد تفضَّلَ مُدِيرُهَا العام السيد (كونشيرو ماتسورا): فخَصَّ (الثوابتَ) بافتتاحيةٍ لمواضيع الملفٌ الذي أسهم بالكتابة فيه عددٌ من كبار العاملين بالمنظمة والباحثين اليمنيين المعروفين.

### عودة إلى محاضرة بابا الفاتيكان:

ونظراً لأهمية ما أثَارَتهُ محاضرة البابا (بيندكتوس السادس عشر) ـ قبل أقلّ من شهرين ـ من لَغَطٍ ورُدُودِ فِعلٍ عربية وإسلامية كان آخرها رسالةَ (٣٨) عَالِمَاً مُسلِمَاً وُجهَتْ إلى قداسته؛ إختَرْنَا عدداً من تلك الرُّدُودِ والمناقشات لتوضيح الصُّورة في ذِهنِ القارئِ اليمنيِّ الذي لم تُتَحْ لَهُ – مِن قَبْلُ – مِثلُ هذه المتابعة.

وهناك متابعاتٌ ومواضيعُ أخرى يُهِمُّنَا التَّنوِيهُ فيها بندوةِ جامعة عَدَن

عن الرَّاحِلِ الكبير الأستاذ (محمد علي لُقمَان) صَاحِبُ صحيفة (فَتَاة الجَزِيرَةِ).

وعَسَى أن يكونَ هذا العدد المُكَمِّلُ للسنة ٢٠٠٦م ـ وفَهارِسُهَا كاملةً ـ مُفِيْدَاً.. والله مِن وَرَاءِ القَصْد.



## القليل من السياسة .. الكثير من الثقافة

تُعنى (الثوابت) بقضايا (الفكر والثقافة والتنمية والسياسة). وطيلة السنوات التسع الماضية من عمرها المديد ـ بإذن الله ـ كانت المجلة، برئاسة الأخ والصديق العزيز الراحل الأستاذ الدكتور أحمد علي البشاري، ماضيةً في أداء رسالتها الفكرية والتنويرية على هَدي من توجيهات قيادة المؤتمر الشعبي العام وثوابته الوطنية والقومية وبما يخدم توجهات الغد بفكرٍ منفتح وجَديدٍ مُفيد. ومن يطلع على الفهارس التي استعرضناها في نهاية هذا العدد للسنوات الماضية سيلاحظ مدى المساحة الواسعة لجوانب التنمية وشؤون المجتمع والثقافة بمعناها الواسع التي أولتها «الثوابت» وكذا القليل النافع من شؤون السياسة وقضاياها.

وفي هذا العدد الخاتم للفصل الأخير من العام التاسع (٢٠٠١م) نواصل السير في الطريق نفسه مستعينين بتعاون ومشاركة هيئة تحرير المجلة في المزيد من تطويرها شكلاً وموضوعاً في جوانب الفكر والثقافة والتنمية، وذلك ما نأمل أن تكون عليه أعداد العام القادم (٢٠٠٢م). لهذا فنحن ندعو، بل ونرجو أن يُسهم معنا كل القادرين من أساتذة أكاديمين، وباحثين مختصين، بل وكُتّاب، ومثقفين وساسة ـ وهم كُثر ـ في إثراء حياتنا الثقافية والفكرية العربية (واليمنية منها) التي يشكو كثيرون من تراجعها، أو في أحسن الأحوال من عدم مواكبتها لثقافات العصر وقرنه الواحد والعشرين، بعد أن أصبح كوكبنا مسرحاً لسباق العلم وثورة التكنولوجية.

**الواقع الثقافي العربي اليوم:**

إننا - والحال هكذا - نكاد - ومنذ سنوات عديدة - لا نجد مؤتمراً أو ندوةً، بل ولا شهرية أو دورية ثقافية عربية، إلّا ومحور حديثها يدور حول واقع الثقافة العربية وأزمتها المستفحلة وتخلُّف التعليم يوماً بعد يوم.

ففي حديث الشهر (أيلول / سبتمبر ٢٠٠١م) لرئيس تحرير مجلة العربي - على سبيل المثال - يشكو الدكتور سليمان العسكري، مثلَ غيره مستهلاً حديثه بالقول:

«لعل من أبرز المفارقات التي تَسم واقعنا الثقافي العربي في سنواته الأخيرة أنه في الوقت الذي تلح فيه على جدول جهدنا المجتمعي أولوية التركيز على تعزيز أسباب حضورنا الفاعل في ساحات هذا المعترك الحياتي الجديد الذي يعيشه العالم معترك الصراع الآخذ في التحول باطراد على الصعيد العالمي إلى جبهة الصراع بين الثقافات، وفي هذا الوقت الذي تصبح الثقافة فيه، بشكل متزايد، هي جبهة الدفاع الأولى في هذا الصراع، يصبح وجودنا مرهوناً بصورة متزايدة بوجودنا الثقافي.. في هذا الوقت عينه تمر الثقافة العربية بأكثر أوقاتها استنامت للجمود والانكفاء والتراجع، ويأخذ الواقع الثقافي العربي وجهة معاكسة لحركة التغيير والتطور من حولنا في ظل الإصرار المتزايد من قبل القوى الرافضة للتغيير، والمتغلغلة في ثنايا البناء المجتمعي العربي، على التضييق على حريات الفكر والاجتهاد والإبداع والتواصل الثقافي والفكري على المستويين الوطني والقومي، والتمترس خلف خندق أصالة وتقاليد، هي أشبه في العالم الإنساني المعاصر بفيزياء نيوتن الكلاسيكية التي سادت في القرون السابقة على القرن العشرين...».

أما المؤتمر القومي العربي الحادي عشر الذي انعقد في أيار/ مايو من هذا العام وشارك فيه ما يزيد عن ١٦٤ مثقفاً ومختصاً من مختلف أرجاء

الوطن العربي فقد ناقش: «قضايا التنمية والثقافة العربية، ملاحظاً أن هناك محاولة لقطع العرب عن ماضيهم الثقافي وعن أفكارهم وتجاربهم التنويرية، وكأن هناك عولمة للثقافة العربية وجعلها ثقافة استهلاكية رخيصة» كما أكد المؤتمر: «على ضرورة الاهتمام بالانتقال بالبحث العلمي في الوطن العربي إلى مرحلة التجربة والتطبيق، ودفع عملية التعليم والبحث العلمي وربطهما بعملية التنمية وتنسيق الجهود العربية العلمية في هذا الاتجاه..» (المستقبل العربي ٦/ ٢٠٠١م: ٢٢٣).

وإذ توحي العبارة الأولى من بيان المؤتمر بأن هنالك ما يشبه المؤامرة في عصر العولمة لجعل الثقافة العربية ثقافة استهلاكية رخيصة، وهو بالطبع كلام سياسي أكثر منه تشخيصي للأزمة، يعترف البيان بأن المحاولة المزعومة «هي قطع للماضي الثقافي والتجارب التنويرية»، أي ثقافتنا العربية الإسلامية التي توقفت قديماً بعد ازدهار، بإقفال باب الاجتهاد في القرن السادس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد في أحسن الأحوال ثم تلك (التنويرية) في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ثم إن التعليم والبحث العلمي لم ينتقلا بعد من مرحلة التجربة والتطبيق.

إننا بهذا المعنى نراوح في عصر رفاعة الطهطاوي (ت ١٨٧٣م)، والشيخ الأستاذ الإمام محمد عبده (ت ١٩٠٥م) ومعاصريه وتلاميذه المتنورين، وتلك النتائج والآثار المباشرة وغير المباشرة التي خلقتها حملة نابليون بونابرت على مصر وبلاد الشام (١٧٩٨م).

لقد كان الدكتور العسكري إيجابياً ومحقاً حين دعا إلى الأخذ (بالخطة الشاملة للثقافة العربية) التي استغرق إعدادها أربعة أعوام (١٩٨١ ـ ١٩٨٥م) وشارك في أبحاثها وندواتها مئات المفكرين والخبراء والمثقفين العرب وكان من أبرزهم فيما أذكر ممثلاً لليمن فيها الأخ الأستاذ الدكتور

عبد العزيز المقالح وآخرون (كنت واحداً منهم كوزير للتربية والتعليم حين ذاك)، وعقدت بعض اجتماعاتها هنا في صنعاء.

لقد صدرت تلك الخطة في ستة مجلدات عام ١٩٨٩م، طبعت بدولة الكويت التي كان لها الفضل في استضافة مؤتمرات وأعمال لجان الخطة طيلة تلك السنوات. أما وقد مضى على تلك الجهود أكثر من عقد، لهذا فإن (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) مدعوة اليوم أكثر من ذي قبل لضرورة تفصيل تلك الخطة وما استجد من استراتيجيات لاحقة بحثت ونوقشت في أكثر من مؤتمر ولقاء، بما في ذلك تلك الندوة التي «شارك في أعمالها نخبة من الخبراء والمثقفين العرب» حديثاً في الكويت أيضاً، وبحثت وقيّمت فيها خطة المنظمة للفترة (٢٠٠٣ ـ ٢٠١٠م) في محاور رئيسية ثلاثة هي: ـ

تحديات العولمة والتكنولوجية الحديثة في مجالات التربية والثقافة والعلوم.

والاستفادة من الثقافة الحديثة في رفع نسق التنمية التربوية والثقافة العلمية.

والسوق الثقافية العربية المشتركة وآفاق التكامل بين الدول العربية.

إن التَّكاملَ العربي في مجال المعلومات والتبادل الثقافي والعلمي والاقتصادي ما زال هو حجر الزاوية لأي نقلة حقيقية مما نشكو من تَخلفٍ ثقافي وعلمي، ولاسيما وقد عمَّت رياح التغيير عالمنا الصغير بمناخات الديمقراطية والحرية النسبية، وتلك كانت من الأمور المحبطة للثقافة، بل والآمال العربية في وحدتها وعزّتها وتقدمها.

وليس من شك بأننا في اليمن أكثر من غيرنا حاجةً وإلحاحاً لسرعة اللحاق بما تخلفنا عنه، ولاسيما في مجال التعليم، وقد تم توحيده، وفي مُجمل شؤوننا التي تمثل الثقافة والتنمية فيها جناحي الانطلاق.

# الجيوسياسية اليمنية بين الجزيرة العربية والقرن الإفريقي[1]

## مدخل

إن الوحدة اليمنية هيأت للوطن دوراً بالغ الأهمية.. وذلك لما تحققه الوحدة لليمن وشعبه من ميزات أهمها:

## أولاً- الموقع

لا تختار البلدان موقعها وإنما هو مقدَّر لها. وقد لعب موقع اليمن الاستراتيجي دوراً هاماً في نقل الحضارة والحِرَف والتجارة. وكما قال إدموند جوف - أستاذ الحقوق بجامعة رينيه ديكارت -: «يعد اليمن إحدى بوابات الجزيرة العربية، وإحدى الركائز الأساسية لسياسة عربية حيوية، وشريكاً ثميناً في البحر الأحمر من جانب، وإفريقية والخليج العربي والمحيط الهندي من جانب آخر»[2]، ولا سيما موقع اليمن

---

(١) ورقة قدمت في الندوة اليمنية / الفرنسية التي حملت العنوان نفسه جامعة صنعاء (صنعاء ٢٥/١/٢٠٠٨).
وشارك فيها معالي الأخ د. عبد الكريم الإرياني والأخ أ. د. خالد طمم رئيس الجامعة وآخرون، من اليمن ومن فرنسة السيد وزير الثقافة السابق عضو البرلمان اليوم السيد جان لانغ ومعه قائمة رفيعة من العلماء والسياسيين والمعنيين.

(٢) إدموند جوف: اليمن دراسات في الجغرافية السياسية: ترجمة خالد طه، معهد دراسات الجغرافية السياسية ومعهد العلاقات الدولية بجامعة السوربون (ط. التوجيه المعنوي - صنعاء، ٢٠٠٥م): ٦٧.

الخاص والهام على مدخل البحر الأحمر وعلى المحيط المفتوح.. ويمكن لليمن أن تصبح أهم موقع في العالم لشحن النفط من ساحل البحر العربي وبذلك يتحاشى منتجو النفط في الخليج ومستهلكوه في العالم نقل هذه المادة الاستراتيجية الهامة عبر مضايق الخليج، علاوةً على وجود اليمن على خطوط الملاحة الدولية مما يحقق وفراً كبيراً في تكاليف النقل.. كذلك فإن موقع (عدن) الهام على خط الملاحة الدولية بين الشرق والغرب وسمعتها التاريخية، يهيئُها لأن تصبح من أهم المناطق الحرة وأكثرها نجاحاً وقد ثبت ذلك في الماضي القريب.

### ثانياً- السكان

كثافة سكانية ومتعددة القدرات تجعل اليمن الأكبر سكاناً أصليين في المنطقة والأكثر تنوعاً. وكان ولا يزال لأهل اليمن أثرٌ بالغٌ على محيطها وعلى مرِّ العصور حيث حصلت الهجرات منها قديماً وحديثاً. وقد لعب اليمن دوراً بشرياً طارداً وآخر مستقبلاً. فالدَّور الطارد حدث بهجرات اليمنيين نحو الخليج بعد الطفرة البترولية الأولى، ثم دوراً مستقبلاً بعد عودتهم إثر أحداث العراق والكويت عام ١٩٩٠م، ومستقبلاً لهجرات دول الجوار من القرن الإفريقي نتيجة الحرب الإرتيرية الإثيوبية والحرب الأهلية الصومالية. وللزيادة السكانية المطردة هذه أثَرٌ سلبيٌ على التنمية، لذلك؛ ولاعتبارات الأمن القومي الإقليمي ينبغي على دول مجلس التعاون الخليجي، ولمصلحة الطرفين، استيعاب فائض العَمالة اليمنية بالقدرة الممكنة.

### ثالثاً- جيوسياسياً

أ- في اليمن اليوم نظام ديمقراطي تعددي وهو الوحيد في دول الجزيرة العربية ولعلَّ اليمن الدَّولة الوحيدة بين هذه الدول التي لا ترتكز

سياستها الخارجية بالدرجة الأولى على علاقتها بالولايات المتحدة.

ب- إن تفكك أو ضعف أو صِغَر دول الجوار الإفريقي جعلت من اليمن الدولة الأكثر مناسبة لحفظ أمن باب المندب.

جـ- وللسبب السابق - نفسه - تمثل اليمن الحصن الأفضل لعدم تسرُّب جماعات الإرهاب إلى قلب مصالح الغرب النفطية في الجزيرة العربية، وقد يكون لاستبعاد اليمن في عمليات التنمية المشتركة وتعرضها لأية مشاكل اقتصادية آثارٌ عكسية **بحيث تصبح منبعاً خصباً للجماعات الإرهابية والمتطرفين بشكل عام.**

**رابعاً- استراتيجياً**

وقد بدا واضحاً بعد الهجمات الإرهابية في الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر أن لليمن أهمية سياسية واستراتيجية على المستوى الدولي، وكذلك على مستوى العلاقات مع الولايات المتحدة على وجه الخصوص. وستبقى اليمن الموقع الأهم لقربها من المصدر الأكبر للاحتياطات النفطية العالمية، ولكونها ملتقى الخطوط الاستراتيجية للتواصل بين أوربة وآسية.

**- هل اليمن شريك استراتيجي مامون، ولا غِنى عنه بالنسبة للغرب؟**

هذا السؤال يتصل صميمياً بثلاث قضايا أساسية: استقرار النظام في اليمن، والثوابت المميزة للدولة اليمنية، وأخيراً الإرادة السياسية لدى السلطات اليمنية في مجال التعاون مع الغرب، كما يظهر في تعاطيها المتأخر مع موضوع الإرهاب:

- الاستقرار: أي إن اليمن تواجه تحديات اقتصادية واجتماعية وسياسية تتطلب اهتماماً خاصاً، ومهما يكن فمنذ عام ١٩٩٥ م أخذت الحكومة عدة خطوات هامة ومعبِّرة

للتخفيف من حدَّة المشاكل المتعلقة بالبطالة والفَقر والتعليم والتنمية.

- الثوابت اليمنية: تعني أن أهم ما يميز اليمن عن غيرها من دول الجزيرة العربية هو التوحُّد الجغرافي لليمن الطبيعية والتعدُّد السياسي والبيئة الديمقراطية المنفتحة.

-التعاون في المسائل الإقليمية: يتجلَّى في أحسن صُوَرِه حالياً في النظرة إلى الإرهاب كمثال بارز.

**خامساً- تصوّر لدور اليمن دولياً**

مما تقدّم تتضح أهمية اليمن ودورها موقعاً وسكاناً وثرواتٍ طبيعيةٍ ومساحةً وتاريخاً، ويمكن تلخيص ذلك في التالي:

١- المساهمة في أمن واستقرار المنطقة وتأمين سلامة الطرق الملاحية.

٢- المساهمة في تنشيط التجارة الدولية عبر (عدن) كمنطقة حرة.

٣- تأمين موقع للشحن البحري لنفط المنطقة، لتجاوز الاختناق في مضيق هرمز وباب المندب.

٤- إحداث التوازن المطلوب في المنطقة وبصورة خاصة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والأيدي العاملة.

٥- إعداد اليمن لعصر (العَولمة) ليس برفضها، وإنما بالتعامل معها بما يحقق مصالح اليمن والعالم.. وذلك بإحداث التغييرات اللازمة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وإدارياً وخدمياً وقضائياً وقانونياً، وبما يؤدي إلى استيعاب معطياتها، ومن أهمها الانفتاح على العالم والاتجاه إلى اقتصاد السوق مع مراعاة القيم الروحية وقيم العدالة الاجتماعية في مجتمع يكاد الفقر أن يسحق الغالبية العظمى من سكانه.. وبذلك يمكن أن تُهَيَّأ اليمن للتعامل مع معطيات (العولمة)

ليس كأمرٍ مفروض عليها من الخارج، وإنما كأمر مرغوبٍ يجب الاستفادة منه؛ حتى لا تَدفع بلادنا ثمناً دون تحقيق الفوائد المرجوة التي لا يمكن تحقيقها إلا بإحداث التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية.. إلخ، أي إن تستوعب معطيات (العولمة) بما يحقق مصالحنا الوطنية.

٦- اتخاذ كل الخطوات والترتيبات التي تصون اليمن ومصالحه من أن يقع تحت وطأة المنافسات الاقتصادية القطبية المتعددة الأطراف، الساخنة، القادمة، واتخاذ كل التدابير التي تصون اليمن من الآثار الضارّة باقتصاده واستقراره، من ذلك الصراع الاقتصادي الدولي القادم، والنأي به عن ذلك الصراع قدر الإمكان.

٧- الاضطلاع بدوره العربي والإسلامي الحضاري المبنيّ على الاعتدال والتسامح والتعايش دون عنف أو تطرُّف، وهو الدور الذي عَهِدَه اليمن في تاريخه، وأتقنه دُعاتُه ومهاجروه بكفاءة عالية، وتمثل في سلوك راقٍ ومسؤولية لا تُضاهى في حمل الأمانة، فانتشروا في أنحاء الأرض يعكسون هذا الدور المميز للإسلام وتعايشوا مع المجتمعات التي هاجروا إليها دون استخدام العنف، ودون أيّ نوع من أنواع الصراعات مع المجتمعات التي انتشروا فيها، وإنما بالعمل الجادّ والقدوة الحسنة كما تجلّى ذلك في هجرتهم في القرن الإفريقي وجنوب شرق آسية.

# علي عبد الله صالح

## «زعامة تاريخية»[1]

تحمل هذه الندوة التاريخية الهامة في جدولها تسعة عشر محوراً، كل واحدٍ منها جديرٌ وحده أن نقف عنده طويلاً، لربط دلالته التاريخية والواقعية بشخصية هذا القائد الفذ الذي ارتبط به حديث ومداخلة المحور في مسيرة أكثر من ربع قرنٍ؛ هي فترة ترسيخ الوحدة الوطنية أولاً، وفي طريقٍ طويلٍ لتحقيق وحدة الوطن أرضاً وشعباً، مروراً بإنهاء مشاكل تاريخية عالقة كقضايا الحدود بعد نزاعٍ وخلافٍ لأكثر من ثلاثة أرباع القرن، وتأتي خطط التنمية وتوسُّع التعليم وتوحيده، واتخاذ الديمقراطية منهجاً كأساسٍ شرعيٍ للحكم، إلى غير ذلك من العناوين الهامة الوطنية والقومية والدولية، بلْ والإنسانية في حياة وقيادة هذا الرجل العظيم. وهي التي ـ لا شك ـ سيحدثنا عنها الإخوة المشاركون في هذه الندوة وعن أهم جوانبها بقدر مَا هُو مُتاح.

بَيْدَ أنني وقد طُلِبَ إليّ الحديث في المحور الثامن عشر، أستهلُّ مستشهداً بقول أبي الطيب المتنبي:

---

(١) أقامت صحيفة ٢٦ سبتمبر ندوة خاصة شارك فيها عدد كبير من المفكرين والساسة بمناسبة ذكرى ١٧ تموز/يوليو ١٩٧٨م، اليوم الذي انتخب فيه مجلس الشعب التأسيسي فخامة الأخ علي عبد الله صالح رئيساً للجمهورية، وكانت هذه الورقة مساهمة متواضعة مني في تلك الندوة.

وإذا كـانـت الـنُّـفُـوسُ كِـبَـاراً   تَـعِـبَـتْ في مُـرادِهـا الأجـسـامُ

حقاً مَا وَصَفَ به (المتنبي) أصحاب النفوس الكبيرة، من تَعبِ أمثالنا في تتبُّع مسيرتها وأهدافها (مرادها). ففي كل يومٍ احتمالٌ جديدٌ ومسيرٌ طويلٌ، لتحقيق تلك الغايات والأهداف.

فبعد نحو أربع سنوات عجاف بين مغادرة الرئيس العلامة القاضي عبد الرحمن الإرياني إلى دمشق يوم ١٤ حزيران/يونيو ١٩٧٤م، ومقتل الرئيسين «الحمدي: في ١٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٧م، وبعده الغشمي: في حزيران/يونيو ١٩٧٨م، ألقَتِ الأقدارُ الإلهية حِملَ اليمن بأثقاله وأوضاعه الموجعة إلى شخصيةٍ غيرِ مشهورةٍ في بعض الأوساط، ولعله - في هذا - شأن كثيرين من القادة والزعماء الذي يَظهرون - عبر التاريخ في الأوقات الصعبة للشعوب والملمّات الخطيرة التي تلمُّ بها - والأمثلة في هذا كثيرة - كما تعلمون - في الشرق والغرب.

لقد كانت الثورة - أو بالأصح - النظام الجمهوري قد مرّ منذ عام ١٩٦٢م بمراحل ثلاث كلنا يذكرها، انتهت الأولى بغياب الرئيس الراحل المشير عبد الله السلال عن مسرح أحداثها الأولى، بكل مصاعبها وإشكالاتها، بحركة الخامس من تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٦٧م وعودة نزلاء السجن الحربي من القاهرة، ومن ثمَّ انسحاب القوات المصرية من اليمن حيث تُرِك حُكمُهُ للأقدار!!

وكانت فترة حكم المجلس الجمهوري - برئاسة القاضي عبد الرحمن الإرياني - من أصعب فترات التاريخ المعاصر لليمن؛ فاستقلال جنوب الوطن دون توحّدِه بالوطن الأم، واستمرار تدفق الدعم السعودي لمناهضي النظام الجمهوري[1] حتى تم الاعتراف والمصالحة الوطنية عام

(١) وهو للأسف كذلك - حتى اليوم - ومثاله أحداث حرب الإنفصال عام ١٩٩٤م والعطف والدعم المادي مستمر على بعض العناصر القبلية وغيرها كذلك!!

١٩٧٠م، وتفاصيل كل ذلك بما فيها الصمود البطولي في ملحمة السبعين يوماً، وبطولات أحداثها التي كان من رجالها المعلومين المجهولين من نتحدث عنه اليوم.

ولقد كان للأفكار والإيديولوجيات السياسية أهميتها ودورها الذي لَبِسَتْ فيه أثواباً أكبر من اليمن وأصحابها سواء في الشمال أو الجنوب.

ولا شَكّ بأنكم قد اطلعتم على عددٍ من كتابات بعض الإيديولوجيين المعنيين بالوضع السياسي آنذاك ـ وكان من أبرزها التنظير اليساري والقومي ـ والتي كانت قد تجاوزت أوضاع البلد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولعلها هِيَ التي ولدت بالمقابل الأحداث الدموية التي تنامت مع مجيء الرئيس علي عبد الله صالح.

واسمحوا لي بعد هذه المقدمة أن أقتبس رأياً فيه تقديم لمجيء الرئيس علي عبد الله صالح من باحثٍ ووطنيٍ لا نَشُكُّ في إخلاصه وموضوعيته وثاقب رأيه، ذلك هو شاعر اليمن الكبير المرحوم الأستاذ عبد الله البردوني في الفصل الأخير من كتابه اليمن الجمهوري[1]، حين عرَّفنا - بعد من سبقه - بمن هو علي عبد الله صالح، من يوم تكليفه بتحمُّل السلطة حتى تاريخ إصدار (البردوني) كتابه عام ١٩٨٣م، وهي مرحلة من أصعب مراحل حكم الرئيس وأوضاع اليمن.

**يقول الأستاذ:**

«أمَّا (علي عبد الله صالح) فإنه يؤكد في كل أحاديثه جُنديته للثورة، ولا يَدّعي ما لا يفعل، **ولا يُحِبُّ أن يَدّعِي لَهُ أحد**، لأنه خَيرُ من يَعِي أن نفاق المديح يعزل الممدوح عن الحقائق الموضوعية، كما أن الحقيقة ذاتها أهدى إلى دخائل الأمور، ويكفي أن (علي عبد الله صالح) من

(١) اليمن الجمهوري: ط ١٩٨٣م، ٦٠٤ ـ ٦٠٥.

شرائح القوة المنتجة التي تصنع رَغَدَ اليمن، فالفلاحون بكل المقاييس هم غالبية شعبنا وغالبية كل الشعوب، وهم طاقة الإنتاج والعطاء ومَواطِنُ البراءةِ والطيبة.

انتقل (علي عبد الله صالح) من الفلاحية إلى الجندية، فكان تناميه من الشعب وإليه، وكان تَرَقِّيهِ بتدرّج خبرته، فمن حركة حزيران/يونيو ١٩٧٤ إلى ١٩٧٨م مَارَسَ الاختبارَ المباشر في العسكرية والموطن، تولّى عام ١٩٧٥م قيادة لواء تعز، وقَوّى صِلاته بكل المواطنين، وبعد مقتل (أحمد الغشمي) في حزيران/يونيو ١٩٧٨م أفزع منصب الرئاسة كل الشجعان، لأنه رادف القتل العنيف، فأصبح الطموح إليه فراراً منه، وعلى خطورة ذلك المكان قَبِلَ (علي عبد الله صالح) ترشيحَ مجلسِ الشعب لهُ رئيساً للجمهورية وقائداً عاماً للقوات المسلحة في تموز/يوليو عام ١٩٧٨م وعمره يقرع بوابة الأربعين.

فكيف يمكن كتابة تاريخ هذه الفترة وهي لم تزل تصنع تاريخها حياتياً، لكي تنتقل إلى مادة كتابية؟؟..

بغض النظر عن حياة المؤرّخ لهُ أو غيابه، فإن لهذه الفترة معالم تستحق التنويه قبل أن تصبح تاريخاً، فإذا كان التاريخ علم الماضي، فإن هذا لا يمنعه من الإشارة إلى الحاضر، قبل أن تتحول ملامحه إلى تاريخ علمي، فلأنّ الفترة ما زالت تنسج تاريخها، وما زالت تكتب نفسها لكي يستكتبها المؤرخون. على أن أبهى المعالم التي ستُحوّلُ تاريخاً، هي بطولة الرئيس في استلام الرئاسة في ذلك الظرف.

والمعلم الثاني: هو أن الرئيس علي عبد الله صالح هو أول رئيس من أبناء الفلاحين الكادحين الذين يشكلون غالبية الناس وأكثرية القوى المنتجة.

المعلم الثالث: أن الرئاسة الحالية اقتدرت على استمرارها الكائن من

منتصف عام ١٩٧٨م إلى آخر عام ١٩٨٠م، وكان مجرد الاستمرار أهم الحاجات الأمنية في ذلك الحين، أما من عام ١٩٨١م إلى ١٩٨٣م فقد بدأ الرئيس يشكل عهده المميز، ففتح صدره للحوار الشعبي الديمقراطي الذي أدى إلى صدور الميثاق الوطني، وشكل المؤتمر الشعبي وعاد إلى دورته الثانية في الرئاسة على أكتاف المظاهرات الجماهيرية التي أصرّت على استمرار رئاسته.. وهذه المعالم مهما كانت موطن الإعجاب فإنها لَمَّا تَؤُل إلى مادة المؤرخ، فالجمهورية الثالثة سلسلة واحدة توصل نفس المسيرة من حزيران/ يونيو ١٩٧٤م إلى كتابة هذا الكلام عام ١٩٨٣م».

ذلك ما كتبه أستاذنا البردُّوني الذي لم يَكُن يخاف في الله لومة لائم، وكان من آرائه: «أنهُ لم يوجد في تاريخ اليمن المعاصر في القرن العشرين سوى حَاكِمَين يستحقان التقدير والتنويه: (الإمام يحيى حميد الدين) - بغض النظر عن أيّ شيءٍ آخر! -، وذلك بصفته مؤسس دولة اليمن الحديث المتمسك بوحدة أراضيها، والرئيس (علي عبد الله صالح) ابن الشعب المحقق لآماله في الاستقرار والتقدم والحرية والوحدة»؛ وهو ما كان يعمل من أجله ثم تحقق بتصميمه وبُعد نظره وقوة إرادته.

من السهل الاسترسال في أمور كثيرة تميز بها حكم الرئيس (علي عبد الله صالح)، ولا يزال عطاؤه وإخلاصه وحُسن تدبيره موئلاً للقيادة والحكمة، غير أنه ربما من المفيد في هذه العُجالة أن أذكر تجاربَ خاصة شخصية في التعامل مع هذا القائد الموفق، شاركني في كثير منها عددٌ من الإخوة المسؤولين في مسيرة وطننا الحبيب نحو أهم الغايات التي حققها الرئيس (علي عبد الله صالح)، وأعني بها قضية وحدة الوطن وتحقيقها بعد أن كانت حلماً ورهناً للمزايدات والدعاوى السياسية الديماغوجية عقب اغتيال الرئيس أحمد الغشمي، وانتخاب (علي عبد الله صالح) رئيساً للجمهورية من قبل مجلس الشعب (البرلمان) صيف ١٩٧٨م، ثم انطلاق

الحرب بين الإخوة من الشطرين، كان الرابح فيها خاسراً - بغض النظر عن أيّ دعاوٍ باسم الوحدة المزعومة - لكن النتيجة على كل حال كانت اللقاء في مؤتمر الكويت في نيسان/أبريل ١٩٧٩م، وكُنت وقتها قد استُدعِيتُ من بريطانية لمقابلة الأخ الرئيس للمرة الأولى - وإن كنتُ على معرفة يسيرة به من قبل - وكُلفت بمنصب وزير الخارجية خلفاً للداهية المجرب ومتعدد الولاء الأخ الأستاذ عبد الله عبد المجيد الأصنج الذي سبق لي العمل وكيلاً لهُ من عام ١٩٧٥ حتى ١٩٧٩م.

وقد كنتُ - في الحقيقة - مشفقاً في ذلك اللقاء على الإخوة في الكويت وكان على رأسهم المرحوم (عبد الفتاح إسماعيل) الذي كان يصور لنا بأنه خلاصة العقل السياسي والأدبي للفكر الماركسي والتقدمي.

واسمحوا لِي أن أدَع الأخ الرئيس نفسه يصف لنا ماذا جرى يومها في الكويت[1]:

«.. وبناءً على دعوة الجامعة العربية ولجنة الوساطة العربية تم اجتماع قمة في الكويت من ٢١ إلى ٣١ آذار/ مارس ١٩٧٩م حيث رأس وفد الشطر الجنوبي الأخ عبد الفتاح إسماعيل أمين عام الحزب الاشتراكي ورئيس هيئة رئاسة مجلس الشعب الأعلى، وضم الإخوة: صالح مصلح، ومحمد صالح مطيع، وراشد محمد ثابت، ونصر ناصر علي، وعبد الله أحمد غانم، وعبد الله الأشطل، وعمر الجاوي.

ورأستُ أنا وفد الشطر الشمالي (الجمهورية العربية اليمنية)، وكان الوفد يضم: د. حسن محمد مكي، ومجاهد أبو شوارب، وحسين الدفعي، وسنان أبو لحوم، وعلي لطف الثور، وحسين العمري، وإسماعيل الوزير، ويحيى جغمان، وعبد الله حمران.

وصلنا إلى الكويت في ٢٩ آذار/ مارس ١٩٧٩م وبَدَا من اللحظة

(١) رياض نجيب الرئيس: رياح الجنوب (بيروت).

الأولى أن الحزب الاشتراكي يريد أن يفرض شروط المنتصر، لأنه اعتقد أنه باحتلاله البيضاء وقعطبة وحريب، أنه قادرٌ على فرض شروطه. كما كانوا على يقين في قرارة أنفسهم بأن الشطر الشمالي لم يكن يوافق على الوحدة الفورية المشروطة ويلمّح إلى فرضها بالقوة.

وكان الإخوان في قيادة الشطر الشمالي قد طلبوا مني كسب الوقت في موضوع الوحدة؛ حتى يتسنى لنا ترتيب أوضاعنا بعد الانهيارات المتلاحقة التي حدثت بعد مقتل الرئيس إبراهيم الحمدي واغتيال الرئيس أحمد الغشمي، ومقاومة المفاهيم الماركسية التي كانوا يَدعُون إليها عبر طرحهم مشروع الوحدة. وكان تلكُؤ الشطر الشمالي يعود - بالدرجة الأولى - إلى أن الاشتراكيين كانوا يريدون فرض الوحدة في ظل انتصارٍ عسكريٍ مدعوم من دول المنظومة الاشتراكية، في الوقت الذي كانت فيه أوضاع الشطر الشمالي صعبة إلى حدٍّ كبير.

وكان الخوف متأتياً من أنه لو تم فرض الوحدة بشروط الحزب الاشتراكي المطروحة في مؤتمر الكويت، لعاد شطرا اليمن إلى التقاتل قبل أن يجفّ حبر أي اتفاق. وكان دور الكويت في هذا المؤتمر يقتصر على استضافته ورعايته والتوفيق بين الأطراف. وحضر هذا اللقاء من جانب العراق عدنان حسين، حيث جاء مُمَثّلاً للعراق والأردن وسورية، للاطلاع على لقاء القمة في مبادرة حرص على نجاحها وإنصافاً للحقيقة، كان العطف الكويتي على الشطر الشمالي واضحاً في سياق الاجتماعات.

الاتجاه الذي اتفقنا عليه مع الإخوان في الشطر الجنوبي كان يقضي عدم الموافقة على وحدة فورية؛ إلا أنه تم الاتفاق في قمّة الكويت على استكمال اللجان التي كانت موجودة منذ بيان طرابلس العام ١٩٧٢م، لبقية أعمالها وإنجاز مشروع دستور لدولة الوحدة خلال أربعة أشهر، ثم

يُرفع بعدها إلى القيادتين السياسيتين في كلٍّ من صنعاء وعدن للمناقشة، على ضوء ما اتفقت عليه اللجان، ويحال ـ بعد الموافقة عليه ـ على السلطتين التشريعيتين في الشطرين لإقراره نهائياً».

وفي مسيرة الخير والنماء - وبعد سَبعَ سنوات - **حلّ بالوطن كارثة عظيمة، لم يحدث مثلها من قبل، هو الصراع الدموي القاتل بين الإخوة في الجنوب** - الثالث عشر من كانون الثاني/يناير عام ١٩٨٦م -، وقبل ذلك الحادث المؤسف والمرَوِّع بنحو أسبوعين، كان قد زار الأخ الرئيس (علي ناصر محمد) صنعاء ومعه عددٌ من كبار المسؤولين من بينهم الإخوة: د. ياسين سعيد نعمان رئيس الوزراء، ـ فيما بعد ـ وعلي سالم البيض وزير الإدارة المحلية (وقتها)، وآخرون، وكان واضحاً مدى القلق وسوء ظن بعضهم ببعض، وقد أُتيح لي مع معالي الأخ الدكتور عبد الكريم الإرياني والأستاذ إسماعيل الوزير، الجلوس والحديث بانفراد ساعات طويلة مع الأستاذ البيض والمرحوم عبد الرحمن عشيش، وكانت توجيهات الأخ الرئيس هي التأكيد على أن الوحدة هي الحل والمخرج لكل الصراعات والتأثيرات الخارجية، وهي نفس الرسالة التي حَمَلتُها عقب الأحداث إلى كلٍّ من الرئيس الراحل حافظ الأسد، وخادم الحرمين الشريفين وإخوانه من قادة مجلس التعاون الخليجي.

كانت رؤية الرئيس (علي عبد الله صالح) وثبات موقفه من تحقيق الوحدة أمراً لم يتزعزع طيلة مسيرة حياته السياسية والعملية، حتى كانت الوحدة في ٢١ أيار/مايو ١٩٩٠م بكل إرهاصاتها بل ومحاولة إجهاضها قبل مولدها، والدليل على ذلك ما تم محزناً ومؤلماً في صيف عام ١٩٩٤م؛ إلّا أنَّ حكمة الرُّبّان، والتفاف الشعب في الجنوب والشمال، حَوَلَهُ لهزيمة الانفصال، وحَفِظَ للوطن وَحدَتَه المُنْجَزَةُ للأبَد.

## حديث

# في الحُكم الصالح[1]

اسمحوا لي في البداية أن أعتذر عن أنني لا أملك وصفةً سحريَّةً للحُكم الصالح خاصة. وقد أتى على أمتنا العربية والإسلامية «حين من الدهر» اضطربت فيه الأوضاع، واختلطت فيه الألوان والمعايير والمقاييس، حتى بات المرءُ لا يصدق عينيه أو أذنيه بما يرى أو يسمع.

ومع كل ذلك فبوادر الأمل المستمر يدفع بكل القادرين والمخلصين لأوطانهم ومستقبل أبنائهم في الاستمرار في طريق الخير والبناء، العدالة والحرية، ومن ثم التفتيش عن مفهوم (الحُكم الصالح) في مختلف الأوقات والأزمنة، ومنها أوقاتنا الصعبة هذه.

ولقد جرت عادة الأبحاث والدراسات الماضوية وحتى المستقبلية منها في هذا الموضوع الرجوع إلى مصادر التراث التاريخي والسياسي العربي للتعليل أو التفسير أو استنطاق تلك المصادر بما لا يُستطاع البَوحُ بِهِ، فها هو - على سبيل المثال - الدكتور سعد الدين إبراهيم - وفي أواسط ثمانينيات القرن العشرين - يرجع بنا في بحثٍ لهُ عن (مستقبل حقوق الإنسان في الوطن العربي) ليستشهد بنصٍّ من كتاب ابن قتيبة (الإمامة والسياسة). الذي يذكر فيه ذلك الاجتماع الفريد الذي دعا إليه الخليفة

---

(١) ورقة مقدمة إلى ندوة (الإصلاح بين المبادرة الدولية والأهداف الوطنية).. يوم الأحد ٢٧/ ٦/ ٢٠٠٤م أقامها منتدى جسور الثقافة، [راجع عنه الملحق رقم ٤].

الأموي معاوية بن أبي سفيان في دمشق قبل نحو ١٣٧٠ سنة ليأخذ البيعة لابنِهِ يزيد، وقد ذكر ابن قتيبة أن أبا حَنيفٍ حين قام يؤدي دورَهُ - خطيباً - قال: «أنت، أمير المؤمنين، فإن هلكت فيزيد بعدك، فمن أبى فهذا وسَل سيفَهُ فقال معاوية: أنت أخطب القوم وأكرمهم»[1].

ويخطر الآن في بالِنَا جميعاً قولةُ المعزِّ الفاطمي «ذَهَبُ المعزِّ وسَيفه»! حين شُكَّك في أصله ونسبه في مِصر التي دخلها عام ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م..

أذكر هذا لأنني لم أطلع فيما كُتِبَ عن مصدرٍ هامٍّ لمفكّرٍ كبيرٍ جاء بعد ابن خلدون وتُوفي عام ٨٩٦هـ/ ١٤٩١م.

في حين كان ابن خلدون قد تُوفي سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م، أي إن بينهما نحو ثلاثة أرباع القرن، ذلك أبو عبد الله بن الأزرق الذي استوعب مقدمة ابن خلدون وما سبقها من كتابات سياسية وتحاليل اجتماعية. وكان مثله جاء من الأندلس إلى تونس إلى مِصر وأتحفنا بكتابه الهام (بدائع السلك في طبائع الملك) الذي نُشِرَ في مجلدين كبيرين في مطلع سبعينيات القرن العشرين بتحقيق العلامة الدكتور علي سامي النشار.

إنني، وقبل الوصول إلى تحاليل اليونسكو وتقارير التنمية الإنسانية العربية وغيرها حول أوضاع عالمنا العربي والحكم الصالح، أستميحكم العذر والوقت لألَخصَ بعض ما جَاء في مقدمة (بدائع السلك في طبائع الملك): يسير ابن الأزرق- في الجزأين الأول والثاني من كتابه ـ على النسق والمنهج نفسيهما، فهو يقبل من ناحية (الواقعيّة الحسّيّة) التي كانت سِمَة الأبحاث الاجتماعية السياسية في المدرسة السياسية الإسلامية، والتي عبّرت عن رُوحِ الإسلام الحقيقي، وهي مدرسة المتكلمين

(١) العقد العربي القادم: المستقبلات البديلة، تحرير هشام شرابي، مركز دراسات الوحدة العربية ومركز الدراسات العربية المعاصرة ـ جامعة جورج تاون ١٩٨٦م (ص: ٥١ وانظر حاشية بحث د. إبراهيم).

والأصوليين - سواء كانوا أهل سنة أو معتزلة أو أشاعرة أو خوارج. ومن ناحية ثانية، يضفي على هذه الواقعيّة الحسّية اتجاهاً أخلاقياً، وبهذا مزج بين علمٍ واقعيٍّ حسّيٍّ، هو علم الظواهر الذاتية، علم الاجتماع السياسي، وبين علمٍ أخلاقيٍ قريب من المثالية الإسلامية، لا المثالية على الإطلاق، وهو علمَ الأخلاقِ السياسي. ولا شك أنه يختلف اختلافاً جوهرياً عن ابن خلدون.

كانت غاية ابن خلدون أن يفسر التاريخ وأن يرى في حوادثه، فلسفةً، أو مذهباً، يجمع بين الحوادث، في شجرة العلل، والعلل تطّرد عنده على طريقة العادة. والعادة هي ما يحدث في كل المناسبات، والعادة تسير في مسارها المنتظم، سنة الله في خلقه، ولا يخرق العادة، سوى تدخُّلِ القدرة الخالقة. ومن دون هذا التدخُّل، يعيش المجتمع في جبرية مطلقة، فالمكان هو المكان، والزمان هو الزمان، والأشياء متكررة معادة، وحوادث المكان والزمان تتشابه وتتلاحق في الشرق وفي الغرب، ولكن تدخل الله (باد) وقد حدث، حين قاد هذا التدخل الأمة العربية الفقيرة من الجزيرة القاحلة، إلى حيث ساد العرب الزمان والمكان، ثم تحكمت فيهم السنن الاجتماعية، فأخذوا ينحسرُونَ شيئاً فشيئاً، ويتقلصون رويداً رويداً، حتى عادوا إلى (القفر) ثانيةً، وأصبحوا مِلكاً لكل مكان ولكل زمان، ولم تكن هذه أبداً غاية ابن الأزرق. إنه بدأ كما بدأ ابن خلدون، من المنطلق نفسه، يفسر الظواهر الاجتماعية، ويحاول تحليل العوارض الذاتية، ويُطبّق المنهج الاستقرائي الأصولي نفسه الذي طبقَهُ ابن خلدون، ولكنه لم يتوقف عن التفسير المادي للظواهر كما هي، إن التاريخ لا يتوقف، والدورة الحضرية لا تنتهي، بل يعود الزمان، ويمتلئ المكان، إذا ما صلح الراعي والرعية، إذا لم يحدث الصراعُ بين الحاكم والمحكوم، ولهذا لم يوافق ابن الأزرق على

نظرية ابن خلدون في أطوار الدولة، إن الدولة تعيش أبداً إذا تحقّقَتِ العدالةُ، بين الحاكم والمحكوم، إذا لم يحدث نزاعٌ بين الحاكم والمحكوم، ولهذا يتكلم على الظلم والاحتجاب، ويتكلم على فساد الجباية والاحتكار، ويتكلم على مسؤولية الحاكم تِجَاهَ رعيّتِهِ وتجاهَ جُندهِ. إنه هنا يلجأ إلى الأئمة العظام الذين وقفوا في وجوهِ الحكام إلى الطرطوشي في سراج الملوك، وهو يَعِظُ حكام مِصرَ، ويتهدّدُهم بالانتقام الإلهي، وإلى سلطان العلماء عزّ الدين بن عبد السلام، في قواعده. ونحن نعلم كيف قاوم الإمام عز الدين بن عبد السلام سلاطين مِصر، وكاد أن يُشعلَ الثورةَ عليهم، فَعَلَ هذا حفاظاً على الشعب، وحمايةً لحقوقه الاقتصادية، وإلى ابن الحاج في مدخله، ونحن نعلم أن هذا الفقيه المغربي كان يعيش في مصرَ يحاربُ ويجاهدُ احتكارَ السلاطين وكبارَ التجار والأغنياء، ويقنّنْ، حتى لأسعار السوق، وإلى ابن فرحون في تَبصُّرِهِ الحكام، وهو يتكلم على آداب القاضي وعدالته، وفسادِهِ، وقبولِهِ للصّلات والهدايا والرشاوي، وإلى كثيرٍ غيرهم.

لم يكن فساد المجتمع العربي أو الإسلامي راجعاً - عند ابن الأزرق - إلى نظرية في أطوار الدول - بل إلى نظرةٍ ورؤيةٍ حسّيّةٍ، إلى ما انتابَ هذا المجتمع من فسادٍ ماديٍّ وانحلالٍ اقتصادي، وانعدام كلّ ثقة بين الحاكم والمحكوم، بالإضافة إلى التمزق السياسي الذي ساد البلاد الإسلامية المتعددة، وقد رأى هذا التمزق السياسي في الأندلس، في رقعة صغيرة من دار الإسلام، في مملكة غرناطة، ورآها وهي تهوي تحت أقدام طاغية الإسبان تتنازعها أطماع الأمراء، يختلفون ويقتتلون، والعدو على الأبواب. وحين وصل إلى (فاس) وجدها تحترق بين المرينيين والوطاسيين، والأمر نفسه وجده في تونس. ثم انتقل إلى مِصرَ، والمماليك حينئذٍ في نزاع مع الأتراك، ولم يعرف الرجل اليأس، كان

يؤمن أن العودة ممكنة، وأن البعث آتٍ، إذا ما تخلص الحاكم من أطماعه، وإذا ما تخلّص المحكوم من أطماعه. فكتب ابن الأزرق: أخلاقية للحاكم وأخلاقية للمحكوم. وهذا هو ما يميّزه من ابن خلدون.»[1] الذي يختم معظم فصول مقدمته العظيمة بلازمتِهِ الحكيمة «وفَوقَ كُلِّ ذِي عِلمٍ عَلِيم!».

ولنَعُد بعد هذا الاستطراد إلى حديث الساعة أو ما دَارَ ويدُورُ حول تقريرَي التنمية الإنسانية العربية الأول والثاني، والقادم الثالث حول (الحُكم الصالح) وما أثِيرَ إيجابياً وسلباً، ولعل من يتابع منكم مجلة (الثوابت) قد وَجَدَ ملفاً متكاملاً حول كِلا التقريرين في العددين (٣٠) و (٣٤).

ولقد كان **مجلس الشورى** - الذي أتشرّف بعضويته - قد أعدَّ لندوةٍ استمرت ثلاثة أيام؛ كان محورها التقرير الثاني للتنمية البشرية، وقد شارك فيها عددٌ كبيرٌ من الأكاديميين والرسميين وبعض أعضاء المجلس، وكان في طليعتهم معالي الأخ الدكتور عبد الكريم الإرياني الذي استعرض التقرير بصفتِهِ أحد مستشاري التحرير.

وعلى الرغم من قِصَرِ الوقت فقد كُنتُ من المتحدثين في اليوم الثاني للندوة، ولمَّا كُنتُ قد تابعتُ اللّغَط وسوء الفهم الذي بلغ ذروته في اتهام التقريرَين بالتّسويغ للإدارة الأمريكية فيما أقدَمت عليه سواءٌ في احتلال العراق أو دعوتها المُلحَّة في إجراء الإصلاحات المختلفة في دول الشرق الأوسط إلى آخر ما قِيل من نقدٍ وتجريحٍ يفتقدُ إلى الموضوعية والاعتراف بحقائق الأمر الواقع كما تُظهِرُها الإحصاءات والأرقام.

وبعد حذفي لكل النقاط المتعلقة بالتعليم والمعرفة أعَدتُ المجلسَ

---

(١) من مقدمة المحقق: ٢/ ٥ ـ ٧.

الموقَّر - على تقريرٍ تنشُرُه منظمة (اليونسكو) كل عامين، عن حال العلم والمعرفة في العالم، واختَرتُ تقريراً منشوراً عام ١٩٩٣م - أي قبل عَقدٍ كاملٍ على هذا النمط من التقارير - وقبل أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م المفجعة والمؤسفة بأحَدَ عشر عاماً، واسمحوا لي فقط أن أقرأ عليكم المقدمة المتعلقة بأقطار الوطن العربي وتشخيص حالِهِ وقتها لتقولوا معي «ما أشبَهَ اليَومَ بالبارِحَة!».

لقد جاء في التقرير ما يلي:

**الدول العربية**

لقد رافق اليقظة السياسيَّة للمنطقة العربية بعد الحرب العالمية الثانية تصميم على بناء دول حديثة تعتمد على العلم والتّقانة، وعلى التعاون فيما بينها للوصول إلى درجة عالية من الاعتماد الجماعي على الذات ومن التكامل الاقتصادي، وإذا كان لإدارة الأمور أن يُحكم عليها بالنتائج، فيمكن اعتبار المنطقة اليوم تعيش فشلاً اقتصادياً مردُّهُ التشرذم الاقتصادي والتبادل التجاري الضعيف بين الأقطار العربية، والاعتماد المسرف على تجارة التقانة، وضعف القدرات العلمية والتقانة الذاتية. وتُظهر المؤشرات أن معدل الأمية بين البالغين في الدول العربية هو ٤٢٪ عام ١٩٩٠م، وأن نسبتي التلاميذ المسجلين في المرحلتين التعليميتين الثانية والثالثة كانتا ٥٢٪ و١٣٪ على التوالي، في حين بلغت نسبة المسجلين في المدارس التقنية ١٢٪ فقط من تلاميذ المرحلة الثانية، ومن ناحية أخرى فإن نحو ٦٨٪ من طلبة المرحلة الجامعية الأولى مسجلون في العلوم الاجتماعية والإنسانيات، مما يترك ٣٢٪ فقط ليوزَّعُوا على سائر الحقول العلمية، ولا تزال أنشطة البحث والتطوير محدودة باعتبار أن المكافئ العددي للباحثين المتفرغين (FTE) هو نحو ٣١٨ في كل مليون من السكان، في حين تبلغ استثمارات البحث والتطوير نحو ٠,٧٥٪ من الناتج القومي

الإجمالي (GNP) لعام ١٩٩٠م، إن العلم أداة قوية لتسريع التطوير، ولكن إذا كان العلم لازماً لإدخال تغيير جذري في المجتمع العربي فعلى هذا المجتمع أن يُدخل في كيانه التغييرات المطلوبة لخلق بيئة يمكن للعلم أن ينمو فيها.

## العلم في الثقافة العربية

• قبل الإسلام، أمكن للعرب الذين كانوا يعيشون بجوار البحر الأبيض المتوسط وفي أجزاء من شمالي إفريقية، أن يستفيدوا من المعارف البيزنطية في المجالات العلمية والتقانية، أما أولئك الذين كانوا يعيشون في بقاع أخرى فلم يتمتعوا إلا بالقليل من هذه المعارف. إلا أن الوضع تغيَّر مع اعتناق العرب للإسلام أو أواسط القرن السابع الميلادي، فقد حث الإسلام كدينٍ على طلب العلم وإنتاجه فيما يتعلق بالإنسان والظواهر الطبيعية من خلال التقصّي العلمي، باعتبار أن ذلك واجب ديني يهدف إلى تحسين شروط العيش. وقد أدخل الإسلام أخلاقيات ترسم علاقات الناس بعضهم ببعض كما أدخل مفهوم أمة الإسلام الموحّد لكل المسلمين وفوق هذا شجّع الإسلام التجارة والمشروعات الحرة والمهارات اليدوية والتطور الاقتصادي. وهذه العوامل شجعت بدورها على نشوء وضع شمل في نظام واحد ما يلي:

- مطلب التقصي العلمي باستخدام الملكات العقلية الاستقرائية والاستنتاجية (المعرفة).
- اكتساب المعرفة ونقلها بالتعلم والتعليم (التربية).
- الاستخدام الفعال للمعرفة من أجل فائدة البشرية (المهارة).
- تجارة حرة ومسلك تعاقدي في التعاملات وضمان اجتماعي.
- سوق إسلامية مشتركة واسعة النطاق تشمل أرجاء الأمة الإسلامية كافة.

وتحت هذا النظام ومع قيادة مستنيرة ذات بصيرة، تمكّن المسلمون من تأسيس حضارة حيوية ومتنوعة حملت راية العلم والتقانة وأقامت اقتصاداً قوياً استمر ستة قرون.

لقد شَرَعَ العلم يخسَر مواقعه في المجتمع العربي عندما ضَعفَ مفهوم الأمة وتعرضت وحدة المعرفة في ظل الإسلام للمعاناة، مما خلق هُوّة بين القيم الثقافية المعطاة للمعرفة الموحى بها وللمعرفة المكتسبة بالحجة والمنطق. إن مصادر الحكم في القضايا الاجتماعية والدينية في الإسلام هي القرآن الكريم والسنة والاجتهاد والإجماع والقياس. وعندما ارتبط المتعلمون في المجتمع بالقيادات المستبدة قمعت حرية التعبير، وتضاءل دور الاجتهاد، ومن ثم أخذ التفكير الاستقرائي موقعاً هامشياً في الثقافة، وتقلّص الحافز إلى الاستقصاء العلمي.

لقد كان تلك خلفية الدول العربية عندما نالت استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية، وعند هذه المرحلة بدأت شرائح عريضة من المجتمع العربي تطالب بمزيد من التعليم، وفي كثير من الحالات استجابت السلطة السياسية إلى هذا المطلب، وعموماً فإن الأنظمة التربوية في الدول العربية تشدّد على حفظ الوقائع والحقائق واختزان المعلومات أكثر مما تشدّد على تنمية قوة الملاحظة والتحليل، ومن ثم فإن القدرة على تمثّل (المنهج العلمي) واستخدامه في اكتساب معرفة علمية جديدة لم تَتَعزز. وبعبارة أخرى، لم يَرتَقِ استخدام التفكير الاستقرائي ارتقاءً كافياً. وبما أن الثقافة العربية المعاصرة مرتبطة بالإسلام، فلا يستطيع العلم أن يتسنّم موقعاً بارزاً في هذه الثقافة دون إحياء حقيقي للإسلام بفتح الأبواب على مصراعيها للاجتهاد، أو الأحكام المستقلة القائمة على العقل في أمور الدين ومسائل الدنيا.

وباختصار، إن وضع العلم في الثقافة العربية المعاصرة يمكن إيجازه كما يلي:

- إن التعلم والتعليم يكتسبان بسرعة أهميةً اجتماعية.
- وإن قيمة (التفكير العلمي) أو المحاكمة الاستقرائية تَكتَسب بالتدريج اعتراف شرائح عريضة من المجتمع تَقرِن العلم بالتقدم.
- وثمة شرائح صغيرة من المجتمع تَقرِنُ العلم بالهيمنة الأجنبية وتعدّه غزواً ثقافياً.

وهناك مجالات كثيرة للعلم والتقانة ترتبط بالعمل اليدوي، لكن هذا النوع من العمل ما زال غير مقبول اجتماعياً في قطاعاتٍ عدّة من المجتمع العربي.

وما لم تتغير هذه الصورة بسرعة فقد يتطلب الأمر جيلين تقريباً كي يحصل العلم على موقع ثابت في المجتمع العربي[١].

**وبعد:**

لقد عَلمتُ بأن تقرير التنمية الإنسانية العربية الثالث الذي سيصدر في هذا العام سيُوردُ استخلاصاتٍ للتقريرَين الأول والثاني بعنوان (تعزيز الحرية، وضمانها بالحكم الصالح) وخلاصة أخيرة أختِمُ بها حديثي إليكم:

«عند التمَعُّنِ في مُجمَلِ التطورات التي أمكن رصدُها منذ إصدار تقرير (التنمية الإنسانية العربية) الثاني، يمكن استخلاص أن أزمة التنمية الإنسانية في البلدان العربية لم تشهد انفراجاً يُعتدُّ بِه. هناك ولا شَكّ بداياتُ إصلاحٍ في أكثرَ من مجال من تلك التي يدعو لها التقرير، ولكنّها مازالت جنينيةً ومتناثرة من ناحية. ومن ناحيةٍ ثانية يُخشَى ألّا تعدو كونها

(١) تقرير عن العلم في العالم (اليونسكو) باريس ١٩٩٣م (٧٥ ـ ٧٦).

تجميلاً على السطح يؤجل أو يُبعد أفق الإصلاح في الجذور خاصة في منظور ضمان الحرية والحكم الصالح، موضوع هذا التقرير.

ومن ناحية ثالثة، تشتَدُّ أزمة التنمية الإنسانية في الوطن العربي، في منظور تقرير المصير، ضيقاً بتدفقِ سيلٍ من مبادراتِ إصلاح البلدان العربية من الخارج، يَلقَى استجابة رسمية، على النحو الموصوف، أي شكلياً وتجميلياً، على الرغم من الاستنكار الرسمي لنهج الرفض من الخارج. وهكذا تستحكم أزمةُ تهميش الشعب العربي من نطاق البتِّ بمصيرِه، بين شِقَّيّ رَحَى: الاستبداد الداخلي والإملاء الخارجي.

في هذه الحقبة الحرجة، يبدُو الواقع العربي بالغ التعقيد، لأسباب داخلية وخارجية في آنٍ واحد، كما أن المستقبل العربي، ابتداءً من الوقت الراهن، يكتنفُهُ غموضٌ شديد وإن كان يَعِد بأحداث جسام.

إن مُجمَل مضمون تقرير (التنمية الإنسانية العربية) يؤكِّدُ مجدداً على ضرورة أن تستجمع القوى الحيّة في البلدان العربية طاقتها من أجل قيام نهضةٍ إنسانيةٍ في الوطن العربي وأن تُسخِّر إمكاناتها، فكراً وفِعلاً، حتى تستنقِذ المستقبل العربي الأفضل من غمار العواصف المتكاثفة».



«ما أشبه اليوم بالبارحة!»

# وثيقة سرية للمستر سايكس عام ١٩١٨م

## يبرر فيها الوسائل الجديدة للاستيلاء على بترول العراق وخيراته

اشتهر اسم السِّير مارك سايكس«M.Syieks»[(١)] في الوطن العربي لارتباطه بذلك الاتفاق السري السيئ السُّمعة الذي وقعه ممثلاً للحكومة البريطانية مع شريكه الفرنسي (بيكو) في آذار/ مارس ١٩١٦م بهدف تقسيم المشرق العربي[(٢)] بين الدولتين الاستعماريتين في خارطة تعددت ألوانها وتقسيماتها كغنائم ما بعد الحرب العالمية الأولى، في وقت كانت الوعود الكاذبة قد تعهدت بها بريطانية فيما عُرفَ برسائل مكماهون - الحسين، وما كان السِّير سايكس والمقدم لورنس ينسجانه من تحقيق لآمال الأمة العربية في الاستقلال والحرية. وبعد أن فضح السوفييت (روسية) التي كانت طرفاً ثالثاً في اتفاق سايكس/ بيكو السري عام ١٩١٧م، لم تتورع بريطانية في ربيع نفس العام عن إصدار وعد بلفور المشؤوم الذي منح اليهود وطناً في فلسطين يقيمون فيه دولتهم العبرية

---

(١) لعله من مفارقة الأقدار أن السيد مارك سايكس هذا كان ممن أصابهم وباء الأنفلونزا القاتل الذي اجتاح أوربة في ربيع عام ١٩١٩م فمات في فندقه (في باريس)، حين كان ممن يعد ويحضر لمؤتمر السلام الذي أشار إليه في الوثيقة.

(٢) انظر: الموسوعة الفلسطينية ٢/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥.

(إسرائيل) كل ذلك وغيره كثير كان العرب في غفلة عنه، وقد كتب عنه كثير كما هو معروف، لكن أهدافه القديمة والمستدامة ما زالت قيد التنفيذ.

غير أن الجديد - وهو قديم بالطبع - وثيقة سرية متعلقة بالعراق نشرها باحث ألماني في أطروحة قدمها إلى جامعة أكسفورد عام ١٩٧٦م[١]، وأشار إليها الأخ الزميل الأستاذ الدكتور يوسف محمد عبد الله في عموده في صحيفة الميثاق[٢]، ونظراً لأهمية الوثيقة وعدم اطلاعنا عليها في المصادر العربية التي تطرقت إلى كثير من الوثائق البريطانية المتقدمة والمتعلقة بالأطماع والمؤامرات الاستعمارية المتمثلة اليوم بالهجمة الاستعمارية الأمريكية/ البريطانية الجديدة على العراق بالطريقة الأمريكية - كما أسماها الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل[٣]. فقد رأيت أن أقدمها معربة - كما هي - لتتحدث عن نفسها ولتردد القول الأثير لدينا «ما أشبه اليوم بالبارحة!»، وإلى أي حالٍ أو حضيض قد انحدرت أمتنا العربية والإسلامية في مطلع هذا القرن الأمريكي.



(١) Helmut Mejcher: Imperial Quest for oil; Iraq 1910-1928, Ithaca press, London, for middle East Center, Oxford, 1976, Appendix, I,pp. 199-180.

(٢) صحيفة الميثاق (العدد ١١٠٥) ٣١ آذار/ مارس ٢٠٠٣م.

(٣) كان عنوان مقال الأستاذ هيكل الهام عن خلفية الأطماع الإمبراطورية الأمريكية في العدد السابق من (وجهات نظر) (آذار/مارس ٢٠٠٣م) هو: «الإمبراطورية على الطريقة الأمريكية» ومقاله في العدد الأخير (نيسان/أبريل) يحمل عنوان «هذا الإعصار الأمريكي» وهو في نفس التوجه والاستطراد..

# كيف نُدير بلاد الرافدين

## (وثيقة سرية بريطانية)

## (نص الوثيقة)

مارك سايكس
النصف الأول من عام ١٩١٨م
موقفنا في بلاد الرافدين
(Mesopotamia)
فيما يتعلق بروح العصر

لا غبار على وضعنا في بلاد الرافدين قياساً بما كان عليه قبل الحرب. قواتنا المسلحة قادرة تماماً على السيطرة على الأراضي والسكّان يشملهم الهدوء ويحظى حكمنا بالشعبية. وتعتبر علاقاتنا مع القبائل المجاورة ودية ومتميزة ولو أن أمريكة لم تدخل الحرب، ولم تكن اندلعت الثورة الروسية، ولو كانت فكرة عَدم جواز إلحاق [أراضي الغير] لم تجد لنفسها قاعدة، وأن الروح العالمية التي نعيش حاضرها هي تلك الروح العالمية التي كانت سائدة عام ١٨٨٧م، لما كان ثمة سبب يعلل لزوم اتخاذنا لأي خطوات نحو تعزيز موقفنا أمام مؤتمر للسلام [في باريس]، ولكان موقفنا مرضٍ بما فيه الكفاية.

ومع ذلك، يتوقف علينا النظر إلى المشكلة من خلال رؤية جديدة تماماً. أما بالنسبة للاستعمار، ومناطق التبعيّة والنصر العسكري والمكانة المرموقة (البرستيج)، وأعباء الرجال البيض، فقد تم حذف كل ذلك من

القاموس السياسي الشائع، وبالتالي فإن المحميات، ومناطق المصالح أو النفوذ، ومناطق التبعيّة والقواعد،.. إلخ، يجب أن تحال إلى ميدان الدبلوماسية وساحاتها.

وإذا ما كان مكتوباً للبريطانيين أن يديروا بلاد الرافدين وجب علينا إيجاد ذرائع معاصرة تبرر ذلك، وكذلك إيجاد صيغة بحثية تمكنهم من إدارة البلاد. وسيتوجب علينا إقناع نظامنا الديمقراطي بأن على البريطانيين أن يقوموا بهذا العمل، وكذلك نظم العالم الديمقراطية أما حقائق القضية، فهي كالتالي:

i ) تعدُّ بلاد الرافدين أحد أهم المصادر الكامنة للمخزونات النفطية والغذائية في العالم. وإذا تم تنميتها بالشكل الصحيح فسيتوفر لعمال العالم الغذاء والدِّفء أفضل مما هم عليه في حالة عدم تنميتها بشكلٍ صحيح.

ii ) أما إذا استحوذ الأتراك على بلاد الرافدين فلن ينموها، وقد يسمحون للآخرين بتنميتها فقط من أجل تعزيز قوتهم العسكرية، طالما أن تركية ستظل إمبريالية عسكرية حتى ولو صارت بروسيا تقوم على مبدأ اللاعنف!.

iii ) لا يستطيع سكان بلاد الرافدين تنمية البلاد بأنفسهم. ولا توجد إمكانية في إنشاء حكومة فورية تتألف من أربع أو خمس (حكومات محلية) وتجمعات من أشتات البدو والعشائر القائم على غرار نظام بطريركي [الأبوي][١]. هذه الثلاثة الأسباب القوية من شأنها تبرير إدارة البلاد ومع ذلك فسيكون محل جدال أي ديمقراطي حديث مبنيّ على أن إدارة البلاد يجب أن تتم بالطريقة المناسبة بحيث:

(١) إشارة إلى بدائية المجتمع العراقي بالمفهوم الاستعماري (المعرب).

i ) ألا يكون تنميتها لصالح المجموعات الرأسمالية.

ii ) أن لا تَعْمل تنميتها على الزيادة من القوة العسكرية لمن يدير البلاد.

iii ) وأن تنميتها لا تعيق سكانها من حريتهم السياسية.

وفي حالة عدم المقدرة على تأمين أي من هذه التطلعات أو ثلاثتها، عندئذ ستكون الأفضلية لسيادة الفوضى ولن تكون هناك أي تنمية وحتى يتسنى لنا إدارة بلاد الرافدين يجب علينا إرضاء نظامنا الديمقراطي، والديمقراطية العالمية بتقديم ضمانٍ حقيقي بوحي بوجود هذه القواعد الثلاث وأنها ستكون الأساس الواقعي لإدارتنا.

وحتى يمكن ترسيخ هذه القناعة يجب أن نكون في وضع يظهر التالي:

i ) أن سكان بلاد الرافدين بأكمله يُفضل إدارتنا المؤقتة بدلاً من عودة الأتراك أو التأسيس الفوري لدولة مستقلة في بلاد الرافدين.

ii ) بأن إدارتنا المؤقتة حاصلة ليس على موافقة المحكومين فحسب، بل وإنها المدخل نحو استقلالية حقيقية.

iii ) وإن إدارتنا المؤقتة ليست مبنية على نظامٍ من الاحتكار التجاري، وفي اعتقادي يمكننا الوصول إلى هذا المراد شريطة تركنا الآن نحو: (A) إعداد الأرض في بلاد الرافدين، و (b) إتقان مخطط لإدارة مؤقتة والتي يمكننا تقديمها كحل معقول للمشكلة.

وفيما يتعلق بـ (A)، فلا أرى أي صعوبة في كيفية تطبيق ذلك.

I ) يجب حث المسيحيين واليهود على المطالبة بدوام إدارتنا كضمانٍ من أي انتقامات محتملة من قبل الأتراك والأتراك العائدين. ويمكن الوصول إلى هذا عبر اللجنة الأرمينية والصهيونية.

ii ) علينا أن نُمَوِّل (مالياً) كبار رؤساء البدو في الصحراء.

iii ) علينا أن نشجع التجارة في بغداد حتى تشعر الطبقات التجارية بأن ممتلكاتهم ستكون عرضة للخطر إذا غادرنا.

iv ) علينا تشجيع تقديم وسائل الراحة الحضارية قدر الإمكان، مثل إنارة المدن والمياه والمواصلات .. إلخ.

v ) يجب أن نوفر الكثير من الوظائف.

vi ) يجب أن نقدم الدعم المالي لإيجاد صحافة عربية تقوم على القومية [العربية]، والتي تجعل دوماً الأتراك محل كراهية، وتصنعنا حماةً للقومية العربية.

vii ) علينا تكوين حزب عربي قومي يتم تجنيده من طليعة المجتمع المدني، ونرقي أعضاءه إلى مراكز رسمية.

viii ) علينا تكوين إدارة تعليمية وتشييد أكبر عدد ممكن من المدارس التي تقوم على أساس من نهج القومية العربية.

ix ) إذا كان ممكناً فيجب أن نشكل لجنة محلية قوية للمتابعة من أجل التشاور معنا في نوع نظام الحكم المستقبلي.

x ) يجب أن نعمل على توفر العناصر (الآتية)؛ بمعنى: أولئك الذين يتطلعون إلى الوظائف، أي نخبة المجتمع من أهل الفكر، وأولئك الذين يريدون الأمان لحياتهم وممتلكاتهم، أي التجار والمسيحيين واليهود، والناس الذين يريدون ضرائب منخفضة وعدم الخضوع للخدمة العسكرية، أي الفلاحين المقيمين، وأولئك الذين يريدون المراكز، أي الوجاهات: لتكون كلها خطوطاً متقاربة تميل جميعها للالتقاء عند نقطة واحدة؛ وهي الدولة القومية تحت الوصاية البريطانية.

أما فيما يتعلق بـ (b)، فيجب علينا القيام بالتالي:

I ) أن نبحث إمكانية جعل الولايات المتحدة الأمريكية تتقدم بالاقتراح

[الانتداب] - شريطة استجابة سكان بلاد الرافدين لهذه الفكرة - وبأن علينا أن نتولى المسؤولية بالنيابة عن عصبة الأمم لإقامة نظام مؤقت في بلاد الرافدين لمدة خمس وعشرين سنة بهدف الإعداد لدولة مستقلة ذات حكم ذاتي تقوم في بلاد الرافدين، بعد مرور خمسة وعشرين عاماً.

ii ) ومع نهاية هذه الفترة، يتم تقرير مصير بلاد الرافدين من قِبَل السلطة الدولية المتواجدة حينها.

iii ) أن تكون وصايتنا محدودة بالانفتاح التجاري وبضمانٍ دولي للتأمين من الغزو من ناحية عسكرية، وبمعنى عدم الإبقاء على أي قوات هناك، سوى قوات لحفظ النظام الداخلي، وبشرط عدم احتمال تمركز أي قوات على الحدود.

iv ) علينا خلال فترة الخمسة وعشرين عاماً من وصايتنا أن نتقدم وبشروط معلنة بتقرير عن الوضع الإداري إلى تلك السلطة الدولية المعنية إن وجدت[١].

م. سايكس

* * *

---

(١) يلاحظ هنا مدى بعد نظر سايكس إذ إنه بعد ربع قرن كانت عصبة الأمم قد انهارت بسبب ما أقدم عليه هتلر في أوربة وموسيليني في إفريقية من تجاوزات خارجة عن المنظمة الدولية التي قامت على أنقاضها بعد الحرب العالمية الثانية منظمة جديدة هي (الأمم المتحدة) المعرضة اليوم لنفس المصير!.

وبعد: هل صحيح بأننا - نحن العرب - "لا نقرأ" كما قال ذات يوم الجنرال موشي ديّان، أم أننا قد أصبنا بعدم الفهم فيما هو معلوم ومفهوم ومكتوب، لأن معظم الحكام والأنظمة العربية المختلفة - ولنصف قرن - ما كان لها أن تستمر حتى اليوم إلّا بالتضليل والتجهيل وحجب الحقائق والمعلومات عن شعوبها بنفس القوة التي أقفلت بها أبواب الحرية والعدالة وطريق الديمقراطية، وفتحت أبواب السجون وطرق المنافي لكل صوت يعارض أو يقول الحقيقة عن الوطن؛ السجن الكبير، فكانت هذه بالإضافة إلى (البترول) هي ذرائع ما يحدث اليوم للاستيلاء على بترول العراق، بل والمنطقة، ولكي لا يقف أحدٌ أمام إسرائيل الكبرى.

وما دمنا بصدد ذكر «هل يقرأ العرب!»، فقد سبق أن ذكرت في مقال قريب في مجلة الثوابت العدد ٣٠ (أكتوبر - ديسمبر ٢٠٠٢ م) بأن تقرير التنمية البشرية العربية لعام ٢٠٠٢م ذكر بأن (٦٥) مليوناً من البالغين هم أُميّون، وبأن العالم العربي يفتقر إلى ثلاثة عناصر: (الحرية) و (المعرفة) و (حق المرأة) في المواطنة الكاملة..

بيد أن ما له علاقة مباشرة بهذه الوثيقة - وغيرها من الوثائق الكثيرة المتعلقة بموضوعنا - كتاب هام صدر عام ١٩٨٩م في نيويورك لمؤلفه ديفيد فرومكين David Fromkin بعنوان:

PEACE TO END ALL PEACE، تُرجم بعنوان:

(سلام ما بعده سلام)، وقد كان الأخ الدكتور عبد الكريم الإرياني مستشار رئيس الجمهورية الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام في نيويورك للمشاركة في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة بصفته نائباً لرئيس الوزراء، وزيراً للخارجية، فتكرم بشراء نسخة من الكتاب أهداها لي بما يلي:

«**عزيزي الدكتور حسين..**

أهدي إليكم هذا المؤلف الذي يحتوي على دقائق الأمور من وجهة النظر التي تبناها الطرف الآخر، والتي تكشف كيف كان السابقون منا يجهلون فعلاً دقائق الأمور ولا يدققون في خبايا النصوص التي أمامهم؟! واليوم ونحن على أبواب النظام العالمي الجديد الذي بدأ تطبيقه في منطقتنا أليس من الجائز القول: ما أشبه اليوم بالبارحة!».

**أخوك: عبد الكريم الإرياني**

**نيويورك ٣٠/٩/ ١٩٩١م**

نعم ما أشبه الليلة بالبارحة! و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١٣/ ١١].

**(صدق الله العظيم)**



## العنصرية وإقرار العدالة

قبيل الجلسة الأخيرة للجنة التحضيرية للمؤتمر العالمي لمناهضة العنصرية في جنيف بين ٣٠ تموز/ يوليو و١٠ آب/أغسطس، والذي تم انعقاده في دربان بجنوب إفريقية (٣١ آب/ أغسطس ـ ٧ أيلول/سبتمبر) أصدرت منظمة العفو الدولية (Amnesty International) تقريراً موجزاً بتاريخ ٣٠/٧/٢٠٠١م يحمل العنوان نفسه نورد ترجمة له بهذه المناسبة الدولية الهامة:

«تشهد تجارب ملايين البشر في شتى أنحاء العالم على حقيقة بسيطة، ألا وهي أن العنصرية من شأنها تقويض جميع حقوق الإنسان، وأن الأنظمة القضائية كثيراً ما تؤدي إلى إدامة العنصرية عندما تعكس أشكال التحيز الموجودة في المجتمع. وقبل انعقاد المؤتمر العالمي الثالث للأمم المتحدة لمناهضة العنصرية، الذي سيُعقد في العام ٢٠٠١م في دربان بجنوب إفريقية، تحث منظمة العفو الدولية الحكومات على ضمان أن يكون إقرار العدالة في بلدانهم متحرراً من التحامل والتمييز والتحيز العنصري».

ويقدم التقرير الموجز التالي ملخصاً لتقرير منظمة العفو الدولية الذي صدر تحت عنوان (العنصرية، وإقرار العدالة)، بالإضافة إلى بواعث قلق المنظمة بشأن الخلافات الحالية بين الدول حول سياق المؤتمر العالمي الثالث لمناهضة العنصرية.

## ما العنصرية؟

إن العنصرية تمثل اعتداءً صارخاً على فكرة حقوق الإنسان الأساسية، أي إن حقوق الإنسان هي لجميع البشر على قدم المساواة. وهي تصيب، بدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة كل بلد من بلدان العالم.

ويشكل منع التمييز العنصري مبدأ عاماً من مبادئ القانون الدولي، منصوصاً عليه في جميع المعايير الأساسية لحقوق الإنسان.

إن الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، التي اعتُمدت في العام ١٩٦٥م وصادقت عليها ١٥٧ دولة، تحدد الحقوق الأساسية بالإضافة إلى سلسلة من الخطوات التي يجب أن تُتخذ للقضاء على التمييز العنصري بجميع أشكاله.

ويستند عمل منظمة العفو الدولية المناهض للتمييز العنصري إلى التعريف المنصوص عليه في المادة ١ من الاتفاقية:

«يُقصد في هذه الاتفاقية بتعبير (التمييز العنصري) كل تمييز أو استثناء أو تقييد أو تفضيل يقوم على أساس العرق أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو الإثني، ويستهدف أو يستتبع تعطيل أو عرقلة الاعتراف بحقوق الإنسان والحريات الأساسية أو التمتع بها أو ممارستها على قدم المساواة في الميدان السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي أو في أي ميدان آخر من ميادين الحياة العامة».

إن العالم يعرف بعض أسوأ أشكال انتهاكات حقوق الإنسان التي تُرتكب على أساس عنصري، من قبيل الفصل العنصري، ومحرقة اليهود (الهولوكوست) إبان الحرب العالمية الثانية، وجرائم الإبادة الجماعية ضد التوتسي في رواندة في العام ١٩٩٤. ومع ذلك، فثمة، انتهاكات تُرتكب على أيدي الحكومات في عملياتها اليومية وفي المجتمع المدني، ولكنها تحظى بقدر أقل من التغطية الدعائية.

## كيف تشارك منظمة العفو الدولية في العمل ضد العنصرية؟

تعمل منظمة العفو الدولية ضد العنصرية من خلال عملها في مجال تعزيز مراعاة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في شتى أنحاء العالم. كما أنها تعمل بشأن حالات الانتهاكات الخطيرة للحق في التحرر من التميز العنصري.

كما أنها تعمل ضد العنصرية عن طريق العمل من أجل إطلاق سراح سجناء الرأي، الذين يُسجنون بسبب العنصر، أو اللون، أو الأصل القومي أو العرقي أو الاجتماعي، وعن طريق العمل بشأن الحالات التي تكون فيها العنصرية عاملاً من عوامل وقوع انتهاكات حقوق الإنسان، ومنها التعذيب وسوء المعاملة وعقوبة الإعدام وحالات «الاختفاء» والمحاكمات الجائرة للسجناء السياسيين وعمليات القتل غير القانونية والاستخدام المفرط للقوة والنفي القسري والطرد الجماعي وهدم المنازل. وتتدخل منظمة العفو الدولية في الحالات التي يمنع فيها التمييز العنصري إنصاف الضحايا، ويؤدي إلى ظاهرة إفلات مرتكبي انتهاكات حقوق الإنسان من العقاب، أو يعيق الهاربين من الاضطهاد في طلب اللجوء.

### التمييز العنصري العالمي

غالباً ما تعكس العنصرية أنماط قمع تاريخية عميقة الجذور ضد جماعات بعينها، تُستهدف بسبب العنصر أو اللون أو النسب أو الأصل العرقي أو القومي، وتوجد هذه الأنماط في مجتمعات معينة، أو ربما تتعدى الحدود القومية، بحيث تتعرض بعض الجماعات، من قبيل تلك التي تنتمي إلى أصل إفريقي أو غجري أو كردي، إلى التمييز في مختلف البلدان التي تسكن فيها.

إن التمييز العنصري على أساس اللون موجود في عديد من أنحاء العالم، ويؤثر في جميع مناحي الحياة.

ففي الولايات المتحدة الأمريكية، أظهرت دراسات موسعة أن التمييز العنصري من السمات الرئيسية لنظام تطبيق العدالة في جميع أنحاء البلاد. فقد بينت التقارير، مثلاً، أن ضحايا عمليات القتل هم من السود والبيض بأعداد متساوية تقريباً، إلا أن أكثر من ٨٠٪ من السجناء الذين أعدموا في الفترة بين ١٩٧٧م و٢٠٠١م أدينوا لقتلهم ضحايا من البيض، ويزيد معدل حبس السود عن ثمانية أضعاف معدل حبس البيض، كما يزيد معدل حبس السود بسبب جرائم المخدرات ١٣,٤ مرة عن معدل حبس البيض، على الجرائم نفسها، كما أن معدل حبس النساء من السود يفوق معدل حبس النساء من البيض بثماني مرات. أما بالنسبة للنساء من أصل إسباني، فإن معدل حبسهن يزيد أربع مرات.

وقد تم توثيق العنصرية في نظام تطبيق العدالة في عديد من بلدان أوربة، وبوجه عام فإن أفراد الأقليات العنصرية أكثر عرضة للاعتقال، للاشتباه في ارتكابهم جرائم من قبيل ترويج المخدرات أو السرقة. كما أن عدد الذين يتعرضون لحالات الاستخدام المفرط للقوة على أيدي الشرطة، وعدد الوفيات في الحجر، يتزايد بشكل غير متناسب، ونادراً ما يجري تحقيق فعال لانتهاكات العنصرية على أيدي الشرطة، كما أن عدداً قليلاً من السلطات يقوم بمراقبة الشكاوى من المعاملة العنصرية على أيدي أفراد الشرطة أو غيرهم من القائمين على تطبيق العدالة.

وفي المملكة المتحدة، تبين أن الشرطة مهملة في ردها على الهجمات العنصرية، ففي العام المنصرم، أعربت لجنة القضاء على التميز العنصري عن قلقها العميق حيال «استمرار الهجمات والمضايقات العنصرية، وتزايد شعور أفراد الأقليات العرقية بالضعف». كما أعربت اللجنة عن قلقها بشأن ما اكتشفته لجنة تحقيق قضائية في المملكة المتحدة العام ١٩٩٩م من تفشي العنصرية المؤسسية في قوة شرطة العاصمة، وظل التقدم في عملية

استئصال ثقافة التحيز العنصري من أجهزة الشرطة وغيرها من المؤسسات العامة بطيئاً تدريجية.

ولا تزال جنوب إفريقية التي تستضيف المؤتمر العالمي للأمم المتحدة لمناهضة العنصرية تصارع موروثات نظام الفصل العنصري الذي فرض بالقانون، والذي أعلن أنه يعتبر جريمة ضد البشرية بموجب القانون الدولي، وقد شاركت كل من الحكومة، والبرلمان، ومنظمات المجتمع المدني، في جهود إصلاح القوانين والتدريب وغيرها من المبادرات الواسعة النطاق، التي تهدف إلى تحويل اتجاه المؤسسات العامة ورفع المستوى العام بعد ما يزيد على أربعة عقود من حكم الفصل العنصري. إلا أن النضال من أجل إحداث تحول في المؤسسات التي انغمست في الممارسات التمييزية سيكون على الأرجح نضالاً طويل الأجل، وقد اتضح ذلك في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٠م، عندما بث إحدى محطات التلفزة الحكومية شريط فيديو صورته الشرطة سراً، أظهر أفراد شرطة بيض يحرضون الكلاب على مهاجمة ثلاثة معتقلين سود.

وفي آسية يعاني ملايين الأشخاص من التمييز بسبب النسب أو الطائفة، وغالباً ما يسفر التمييز عن الإفقار المدقع والتهميش لمثل هذه الجماعات، الأمر الذي يفضي بدوره إلى مزيد من التمييز على أساس الوضع الاقتصادي.

وفي الهند، وعلى الرغم من إلغاء «النبذ» قانوناً، فقد ظل أفراد طائفة الداليت يتعرضون للتمييز على أساس النسب. فهم مهمّشون، وخصوصاً في المناطق الريفية، ومن الانتهاكات التي تتكرر باستمرار: التعذيب (بما فيه الاغتصاب) والاعتقال التعسفي، والإعدام خارج نطاق القضاء.

وكثيراً ما يعاني الداليت من العنف في المجتمع أيضاً. وتمر الانتهاكات التي تُرتكب ضد الداليت من دون عقاب في كثير من

الأحيان، إذ إن الشرطة المحلية ترفض تسجيل الشكاوى التي يتقدمون بها. وتشير كثير من الأدلة إلى وجود تواطؤ بين الطوائف المتنفذة والشرطة في الهجمات العنيفة ضد الداليت.

ويعاني قرابة ٣٠٠ مليون من السكان الأصليين في شتى أنحاء العالم من الافتقار المدقع، والتهميش الثقافي، بالإضافة إلى تفشي التميز وغيره من انتهاكات حقوق الإنسان. وتتجاهل الدول في مختلف أقطار العالم، بصورة متعمدة، الانتهاكات التي يرتكبها عملاؤها وغيرهم من الأشخاص ضد السكان الأصليين، وأدت النزاعات مع مالكي الأرض والشركات الوطنية والمتعددة القومية التي تستغل الموارد الطبيعية في مناطق السكان الأصليين إلى عديد من الانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان، التي كثيراً ما تُرتكب بتواطؤ الدولة أو سكوتها عنها.

وكان التميز ضد السكان الأصليين في غواتيمالا، الذين تقدر نسبتهم بحوالي ٧٠٪ من عدد السكان، عاملاً رئيسياً من العوامل التي تكمن خلف عمليات الاغتصاب والمذابح الواسعة النطاق، التي اقتُرفت إبان (الحرب القذرة) الطويلة في غواتيمالا في الفترة بين أواخر السبعينات وبداية الثمانينات. وعلى الرغم من إعلان السلام رسمياً في العام ١٩٩٦م، فقد استمر إقصاء السكان الأصليين الغواتيماليين عن جميع مناحي الحياة. فهم، على سبيل المثال، محرومون من التمثيل القانوني بلغتهم الأم في المحاكمات الجنائية، سواءً عندما يكونون متهمين أو في الجلسات التي يحاولون في أثنائها أن يدلوا بشهاداتهم ضد مرتكبي الانتهاكات الجسيمة المزعومة.

وفي أسترالية، ظل ميزان نظام تطبيق العدالة ضد مصلحة السكان الأصليين. فنسبة السجناء من السكان الأصليين تزيد نحو ٢٢ مرة على نسبة السجناء الأستراليين من غير السكان الأصليين، كما أن نسبة

الأصليين الذي يصطدمون بقضاء الأحداث والقضاء الجنائي أعلى بكثير من نسبة الأستراليين من غير السكان الأصليين، واحتمالات تعرضهم للوفاة في الحجر أكبر من احتمالات تعرض غيرهم.

ويتعرض الغجر في أوربة إلى التمييز العنصري على نطاق واسع، لأنه يُنظر إليهم كجماعة عرقية (أدنى)، وهي نظرة تقوم، في بعض البلدان، على اختلاف نمط الحياة وإلى الفقر النسبي لطوائف الغجر، ويتفشى التمييز ضدهم في بلدان أوربة الوسطى والشرقية، حيث يشكل الغجر مجموعات كبيرة، وفي عديد من هذه البلدان، تحولت بعض أشكال التمييز الدفينة إلى كراهية عنصرية وأعمال عنف عنصري مكشوفة.

ففي جمهورية التشيك، يتعرض الغجر بشكل خاص إلى هجمات عنصرية عنيفة، ولاسيما عن أيدي عصابات (ذوي الرؤوس الحليقة)، وغالباً ما تمتنع الشرطة عن التدخل لحماية الغجر أو التحقيق في مثل مزاعم العنف هذه بصورة جادة، ووردت مزاعم عن تواطؤ الشرطة مع منظمات «ذوي الرؤوس الحليقة» وغيرها من المنظمات العنصرية.

ويزداد تعرض النساء لانتهاكات حقوق الإنسان في شتى أنحاء العالم عندما يكن من أقليات عنصرية أو عرقية تعاني من التمييز وفي حالات كثيرة، تتراوح بين الاستجواب من قبل الشرطة والحروب الأهلية إلى الاغتصاب وإساءة المعاملة الجنسية للنساء، بصورة متعمدة وعلى نحو منظم، لترهيب النساء والعائلات والمجتمعات بأسرها وإصابتها بالصدمة.

وفي إندونيسية، إبان اندلاع أعمال العنف واسعة النطاق ضد الأشخاص من أصل صيني في أيار/ مايو ١٩٩٨م، ورد أن عديداً من النساء من أصل صيني قد تعرضن للاغتصاب الجماعي، وزُعم أن ذلك تم بمساعدة من الجيش، وفي النزاعات التي نشبت مؤخراً في يوغسلافية السابقة، وفي دول إفريقية مثل جمهورية الكونغو الديمقراطية، شكل

الاغتصاب الجماعي للنساء اللواتي ينتمين إلى جبهة الأعداء من السكان سلاحاً من أسلحة الحرب.

وتظهر بعض أسوأ أشكال التمييز في الأنظمة القضائية في المجتمعات التي مزقتها النزاعات العرقية أو القومية، حيث يشكل النزاع خلفية، وأحياناً مبرراً رسمياً، للمعاملة التمييزية التي تمارسها قوات الشرطة والأمن ضد الأشخاص الذين ينتمون إلى معسكر (الأعداء)، في النتيجة، تلوث العنصرية جميع جوانب المجتمع، بما فيها النظام القضائي.

وفي أوربة والشرق الأوسط استُهدف الأكراد وتعرضوا لانتهاك حقوقهم الإنسانية بسبب هويتهم.

ويتعرض زهاء ١٢ مليون كردي في تركية لتمييز واسع النطاق، وإن لم يكن مكشوفاً على أساس هويتهم العرقية، سواء في القانون أو في تطبيق العدالة. فقد نفذت قوات الجيش والشرطة عمليات إعدام خارج نطاق القضاء وحالات (اختفاء) وعمليات اعتقال تعسفية جماعية، وتعذيب على نطاق واسع، وسُجن آلاف الأكراد بسبب جرائم سياسية، بعضهم بعد محاكمات جائرة للغاية، وكانت أغلبية الضحايا من المدنيين الأكراد، ولم يجر حتى الآن أي تحقيق سليم في معظم هذه الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان.

وفي ميانمار، في الصراع الدائر مع الجماعات العرقية المسلحة، استهدف الجيش المدنيين من تلك الجماعات العرقية، واقترف بحقها انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان، كما أرغم أفراد الأقليات العرقية على الرحيل عن ديارهم إلى أماكن أخرى، وأرغموا على العمل حمالين، أو في مشاريع الإنشاءات الضخمة، وهم غالباً ما يتعرضون لسوء المعاملة، ويُحرمون من الطعام ويسامون العذاب. وقد فر عدة آلاف إلى الخارج هرباً من تلك الانتهاكات.

وفي إسرائيل، يتفشى التحيز ضد المواطنين الفلسطينيين في نظام القضاء الجنائي، سواء في المحاكم أو في أساليب تنفيذ القوانين، فخلال المظاهرات وأعمال الشغب التي اندلعت في شمال إسرائيل في العام الماضي، استخدمت قوات الأمن الأسلحة النارية، فقتلت ١٣ مواطناً فلسطينياً. ومرت أسابيع من الاحتجاجات قبل أن توافق إسرائيل على إنشاء لجنة تحقيق قضائية في حوادث القتل، ونُقل فيما بعد عن شرطية من شرطة الحدود قولها: «إننا نتعامل مع حوادث الشغب اليهودية بشكل مختلف، فعندما تحدث مثل هذه المظاهرات، فإن من البدهي، منذ البداية، ألا نحضر أسلحتنا معنا».

وفي إسرائيل، والأراضي المحتلة، تُطبق قوانين مختلفة على المستوطنين اليهود والسكان الفلسطينيين، فالفلسطينيون محكومون بأكثر من ٣٠٠ أمر عسكري، تسمح بمحاكمتهم أمام محاكم عسكرية، غالباً ما تكون جائرة. وقد تم تدمير آلاف المنازل الفلسطينية في الأراضي المحتلة منذ العام ١٩٦٧م، لأنها بُنيت من دون ترخيص، إلا أن الموظفين الإسرائيليين يمارسون التمييز ضد الفلسطينيين عند منح التراخيص وتنفيذ حالات المنع في التخطيط.

وشهدت الجماعات العرقية الأرغورية والتبتية وغيرهما من الأقليات العرقية في الصين تآكلاً في حقوقها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، وكبتاً لحقوقها السياسية، وذلك من جراء الإهمال والتمييز والقمع. وقد ردت الحكومة على الاضطرابات العرقية وأعمال المعارضة بقمع شديد، بما في ذلك عملية الاعتقال التعسفي والمحاكمات بإجراءات موجزة والإعدام أحياناً. أما التعذيب فهو متفش في جميع أنحاء الصين، إلا أن السجناء السياسيين الذكور من الأرغور تعرضوا لأشكال من التعذيب الجنسي، لم ترد عنها أنباء من أي مكان آخر في الصين.

ويواجه طالبو اللجوء واللاجئون والمهاجرون في شتى أنحاء العالم أجواء مشحونة بإرهاب الأجانب، تحرض عليها الحكومات أو الأحزاب السياسية مباشرة في بعض الأحيان، وتنعكس في عملية تطبيق العدالة في معظم الأحيان.

ففي أوربة، ساهم السياسيون في عدة بلدان في إثارة مشاعر رُهاب الأجانب من خلال الخطاب العنصري والمناوئ للمهاجرين، أو بشكل غير مباشر من خلال وضع سياسات تسعى إلى تقييد الهجرة وطلب اللجوء. ففي بلدان مثل أسترالية وبلجيكة وسويسرة، توفي مواطنون أجانب في أثناء عملية ترحيلهم، نتيجة لاستخدام الشرطة أساليب تقييد خطرة من قبيل التكتم أو (اللجم)، كما كان أفراد الأقليات العرقية ضحايا لوحشية الشرطة بصورة غير متناسبة في بلدان مثل فرنسة.

وفي اليابان، تعرض العمال المهاجرون، الذين انتهت مدة صلاحية تأشيراتهم أو طالبوا اللجوء، المحتجزون في مراكز الاعتقال للضرب وللإذلال.

وفي جنوب إفريقية يشكل طالبو اللجوء واللاجئون من البلدان الإفريقية الأخرى هدفاً للعنف؛ بدوافع عنصرية أو بدوافع إرهاب الأجانب من قبل الجمهور والموظفين المكلفين بتنفيذ القانون.

### توصيات منظمة العفو الدولية

يدعو تقرير منظمة العفو الدولية الحكومات إلى اعتماد استراتيجيات وخطط عمل وطنية لمكافحة جميع أشكال العنصرية، واتخاذ تدابير محددة فيما يتعلق بعملية تطبيق العدالة، منها:

أن تصبح بلدانها أطرافاً في الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصرية من دون إعلان تحفظات مقيدة.

ضمان أن يعكس سلوك أفراد أجهزة الدولة واقع التنوع في

مجتمعاتهم، وأن يتلقوا تدريباً فعالاً، وتُتخذ بحقهم إجراءات تأديبية أو يُقدموا إلى المحاكمة عندما يرتكبون انتهاكات عنصرية.

توفير الحماية من الاعتداءات العنصرية، وذلك عن طريق منع جميع أشكال الاعتداءات العنصرية والرد عليها وتقديم المسؤولين عنها إلى العدالة.

ضمان إبلاغ طالبي اللجوء والمعتقلين بحقوقهم، والحصول على مساعدة قانونية ولغوية فعالة.

ضمان ألا ينطوي إجراء المحاكمات وفرض الأحكام على أساس عنصري، ويتعين على البلدان التي ما زالت تطبق عقوبة الإعدام إجراء تحقيق في أي تأثير غير متناسب لهذه العقوبة على الجماعات العرقية، وإعلان وقف تنفيذ عمليات الإعدام إلى حين إجراء مثل تلك التحقيقات.

شن حملات من أجل حشد الرأي العام ضد العنصرية، أو دعم مثل تلك الحملات.

**بواعث قلق منظمة العفو الدولية بشأن المؤتمر العالمي لمناهضة العنصرية**

تنعقد الجلسة الأخيرة للجنة التحضيرية للمؤتمر العالمي لمناهضة العنصرية في جنيف في الفترة بين ٣٠ تموز/ يوليو و١٠ آب/ أغسطس (ومن المقرر أن يُعقد المؤتمر في دربان في الفترة بين ٣١ آب/ أغسطس و٧ أيلول/ سبتمبر ومن المقرر أيضاً أن يُعقد ملتقى للمنظمات غير الحكومية في الفترة بين ٢٨ ـ ٣١ آب/ أغسطس).

وتشوب التحضيرات للمؤتمر العالمي خلافات تتعلق، بشكل أساسي، بقضايا التعويضات عن الرق والاستعمار، وقضايا تتعلق بإسرائيل والصهيونية واستخدام تعبير (المحرقة)، وبسبب هذه الخلافات يحتمل أن تخفض الدول مستوى مشاركتها في المؤتمر أو تمتنع عن حضوره،

ويخشى ألا يفلح المؤتمر في التوصل إلى اتفاق بشأن برنامج عمل مشترك. وإذا حدث ذلك، فإن العالم سيكون قد أضاع فرصة نادرة للتأثير في المعركة ضد العنصرية، وهو ما يعني خذلان ضحايا التمييز بشكل كبير.

وتعتقد منظمة العفو الدولية أن جميع الأشخاص الذين وقعوا ضحايا لانتهاكات فادحة لحقوق الإنسان يجب أن يحصلوا على تعويضات، كما ينبغي تقديم الجناة إلى العدالة ولا يجوز للدول أن تتنصل من المسؤولية عن تلك الانتهاكات لأن الحكومة السابقة هي التي اقترفتها كما تعتقد المنظمة أن الاعتراف بالأخطاء أمر أساسي، وذلك اعترافاً بالمظالم التي وقعت في الماضي ومن أجل تفادي تكرارها في المستقبل. إلا أنه في الحالات التي يتعذر فيها تحديد الضحايا والجناة، فإن الشكل الأكثر فعالية وديمومةً للتعويض يتمثل في استئصال شأفة مظاهر العنصرية المعاصرة، ومنها إرث تجارة الرقيق عبر الأطلسي والاستعمار.

ويحدو منظمة العفو الدولية الأمل في أن يتوصل المؤتمر العالمي لمناهضة العنصرية إلى اتفاق بشأن اتخاذ مبادرات فيما بين الدول، تهدف إلى التعامل مع إرث الماضي، منها مقترحات تتعلق بمساعدات التنمية وإلغاء الديوان ومراجعة شروط التجارة، وإن لم يحدث ذلك، فإن منظمة العفو الدولية تحث الدول على الاتفاق على آلية لمعالجة هذه القضايا خارج إطار المؤتمر، لضمان أن يولي المؤتمر اهتماماً كافياً بوضع خطط مستقبلية للقضاء على الأشكال المعاصرة للعنصرية.

إن منظمة العفو الدولية تحمّل الدول مسؤولية انتهاكات حقوق الإنسان بموجب المعايير الدولية لحقوق الإنسان، ولا تحاول تحديد أو اتخاذ موقف من أنظمة الحكم أو الإيديولوجيات من قبيل الصهيونية. وفي هذا الخصوص، تعتقد منظمة العفو الدولية أن من الأفضل أن يتصدى المؤتمر

العالمي للممارسات العنصرية التي تقوم بها الدولة – من قبيل التمييز الذي تمارسه إسرائيل ضد الفلسطينيين في إسرائيل والأراضي المحتلة- وذلك بتذكير الدول بمسؤولياتها بدلاً من تناول إيديولوجية معينة.

وثمة خلاف آخر حول استخدام تعبير (المحرقة). وتشير منظمة العفو الدولية إلى أن لكل جريمة إبادة جماعية جوانب محددة، ويشير الناجون منها إلى تجربتهم بتعبيرات ذات معنى خاص بالنسبة إليهم، ومن ثم يمكن أن تدخل تلك التعبيرات دائرة الاستخدام العام. فتعبير (المحرقة)، على سبيل المثال، أصبح مفهوماً على نطاق واسع بأنه جريمة الإبادة العنصرية ضد اليهود إبان الحرب العالمية الثانية. إن الخلاف بشأن هذه القضية لا يراعي مشاعر الناجين. وإن جميع جرائم الإبادة الجماعية يجب أن تُقابل بالاستنكار على قدم المساواة، ويجب أن يضمن المؤتمر العالمي لمناهضة العنصرية عدم التقليل من شأن جريمة الإبادة الجماعية، والاعتراف بجميع الضحايا.

إن منظمة العفو الدولية تناشد جميع الحكومات أن تركز بشكل بناء على التحدي المتمثل في بناء عالم خال من جميع أشكال التمييز العنصري، وأن تضمن إسهام المؤتمر العالمي لمناهضة العنصرية في هذا الهدف بشكل فعال».

ولقد تمخض المؤتمر عن مجموعة من التوصيات نعرض خلاصة لها :

# توصيات مؤتمر دربان

## لمناهضة العنصرية

تتعرض التوصيات لجملة من القضايا المرتبطة بحقوق الإنسان تركيزاً على محاربة العنصرية والتمييز والتفرقة كأولويات للمجتمع الدولي في الألفية الثالثة. ويقدم المؤتمر (حسب التوصيات) فرصة فريدة وتاريخية لتعريف الأبعاد المتعلقة بالجوانب المسيئة للإنسانية نحو مبادرات تاريخية لتقوية وتعزيز المعايير الفاعلة والعملية على المستوى الدولي، إلى جانب تأييد شعب إفريقية في صراعه المستمر ضد العنصرية والتمييز والتضحيات المبذولة من قبلهم وجهودهم في توجيه الاهتمام والوعي الدوليين نحو المعاناة الإنسانية، والتأكيد على الأهمية الكبيرة لقيم الوحدة واحترام تعدد الثقافات التي تؤلف القاعدة الأخلاقية حول العالم للوقوف ضد العنصرية والتمييز، حيث الناس أفراداً وجماعات عائلة إنسانية، وجميعهم مشتركون في تقديم الحضارات والثقافات التي تشكل الإرث الإنساني، في سبيل بناء عالم للجميع مع التأكيد على واجبات الدول لفهم حقوقها والوفاء بها استناداً إلى معايير المساواة والوحدة والعدالة الاجتماعية، وفي إطار التكامل الاجتماعي.

### ومما جاء في التوصيات

.. الأسف للتناقض الواقع في عصر العولمة والتنمية المعول عليه جلب الناس بعضهم إلى بعض، وتحقيق قيم العدالة والكرامة مع إصرارنا على

منع التأثيرات السلبية للعولمة والتقدم الراهن الذي يمثل قوة لا بد من الاستفادة منها على نحو يشارك فيه الجميع وفي إطار جهود مستمرة استناداً إلى الجوانب الإنسانية التي تستطيع العولمة استنهاضها.

وندرك أن الهجرة عبر الأقاليم، والتي زادت بسبب العولمة والضغط السياسي للهجرة من الجنوب إلى الشمال، يجب ألّا تستند على العنصرية والتميز حسب العرق أو اللون أو المعتقد.

وفي جانب أسباب وأشكال التمييز تتابع التوصيات بإدراك أن الرق وتجارة الرقيق كانت المصادر الأولية للعنصرية والتمييز ورهاب الأجانب مع إدانة الظلم، ولاسيما ضد الأفارقة والأقليات اعترافاً بالمعاناة الإنسانية التي تسببت بها الدول المتورطة بهذه الممارسة وأسبابها السياسية والاقتصادية والثقافية والنتائج التي أدت إليها، وصولاً إلى الوضع في بعض المناطق التي تتعرض لانتهاكات.. وهو ما أشارت إليه المادتان التاليتان:

- على جميع الدول الاعتراف بالمعاناة التي تسبب بها نقص احترام المساواة بين البشر عبر حروب تصفية الفئات العرقية، ورفض معاقبة وتصفية الفئات العرقية والدينية في جميع المناطق في العالم والعمل معاً لمنع تكرار ذلك.

كما أن المحرقة، والتمييز العرقي للسكان العرب في فلسطين التاريخية، والبوسنة والهرسك، وكوسوفو يجب ألا تنسى.

وتؤكد أن الاحتلال الأجنبي في المستوطنات، وقوانينه المستندة إلى التمييز العنصري مع هدف السيطرة المستمرة على الأراضي المحتلة، إلى جانب الممارسات العسكرية في عزل السكان والقرى بعضها عن بعض تحت الاحتلال، **تناقض تماماً أغراض ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة،**

وترسخ عنفاً حقيقياً ضد حقوق الإنسان والقانون الإنساني، وجريمة ضد الإنسانية وتهديداً حقيقياً للسلام والأمن الدوليين.

وتتابع التوصيات حول ضحايا العنصرية والتمييز ورهاب الأجانب والأمور المتعلقة بذلك.. بالاعتراف بالضحايا والدعوة لحفظ حق السكان المضطهدين الذين يحاربون من أجل حقوقهم لقرون، مع ضرورة التنسيق وخلق انسجام بين المهاجرين وبقية أفراد المجتمع في مختلف الدول، وإدراك التحدي المتعلق بمشكلة اللاجئين مع اهتمام خاص بالقضايا المرتبطة بما يتعرضون له من عنف، وتخلص التوصيات مرة أخرى إلى القضية الفلسطينية في مادتها الستين، التي تُعبِّر عن القلق العميق بشأن الممارسات العنصرية ضد الفلسطينيين والسكان الآخرين في الأراضي المحتلة، والتي لها أثر في جميع النواحي المرتبطة بالوجود اليومي من خلال حرمانهم الحقوق الأساسية، والدعوة إلى وقف الممارسات العنصرية والتمييز من قبل إسرائيل.

كما تشير التوصيات إلى جوانب العنف من خلال القلق على المجتمعات الدينية مع التطرق للرهاب من الإسلام، اقتناعاً بضرورة وضع معايير للحد من معاداة السامية والخوف من الإسلام، نحو السيطرة على هذه الظواهر.

وتواصلاً مع قضايا المرأة وما تتعرض له في بعض المجتمعات تؤكد التوصيات على ضرورة الالتزام بالمعايير اللازمة لحقوق الإنسان، واتخاذ الإجراءات الفاعلة على جميع المستويات الوطنية والإقليمية والدولية، وتنتهي إلى ضرورة وضع استراتيجيات للوصول إلى أهداف المساواة في ظل تعاون دولي يعزز دور الأمم المتحدة والآليات الدولية الأخرى لوقف الممارسات العنصرية حول العالم.

## مؤتمرات

# السياسة والديمقراطية

### والحوار والقات

حين يصدر هذا العدد الجديد من (الثوابت) يكون قد مرّ نحو ثلاثة أسابيع على مؤتمر القمة العربية في بيروت ٢٨ ـ ٢٩/ ٣/ ٢٠٠٢م، الذي كان للأخ الرئيس علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية دور بارز في إنجاحه، وإقرار مبادرة سمو الأمير [الملك اليوم] عبد الله بن عبد العزيز ولي عهد المملكة العربية السعودية، وما تمخض عنه من قرارات أعادت اللُّحمة إلى الصف العربي وأظهرت أهمية دورية انعقاد القمة العربية، وهي المبادرة اليمنية التي نجحت وتحققت بحيث تصبح القمة مؤسسة ثابتة لها مواعيدها وجدول عملها لأي طارئ تستدعيه الظروف أحياناً، وللكوارث المحدقة بالأمة العربية أحياناً أخرى، وما أكثرها من قبل هذه القمة، وهاهي تبلغ ذروتها هذه الأيام في فلسطين المحتلة قتلاً وهدماً وحرقاً للأرض ومن عليها بآلية جهنمية لم يشهد العالم المعاصر أكثر بشاعة منها، ومع كل ذلك يكرر المسؤولون الأمريكيون الداعمون لما يقوم به شارون بأنه «دفاعٌ عن النفس إزاء الأعمال الإرهابية الفلسطينية!!»، بل إن وزير الخارجية الجنرال باول صرّح بأنه لا يجد ضرورة لحضور الرئيس المحاصر (أبو عمار) لأي مؤتمر من أجل السلام! ومازال الأمر كما هو قتلاً وتدميراً.

وفي يوم القمة نفسه افتُتِح في الدوحة بدولة قطر مؤتمر للديمقراطية والتجارة الحرة، وقد شارك - كاتب هذه السطور - مع عضو هيئة التحرير الزميل الدكتور عبد الهادي الهمداني في أعمال هذا المؤتمر الذي حضره ممثلون برلمانيون وأكاديميون وساسة، بالإضافة إلى عدد من الاقتصاديين ورجال الأعمال والمدير العام لمنظمة التجارة العالمية وآخرين من أكثر من ثلاثين بلداً، وقد افتَتَح المؤتمر سمو أمير البلاد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، كما ساهم وزير خارجيته الشيخ حمد بن جاسم بمحاضرة عن الديمقراطية الناشئة في بلده مجيباً عن أحد الأسئلة مازحاً بأن «حكم الأسرة يشبه حكم الحزب الواحد في عدد من البلدان، وبأن هذا ضرب من الديمقراطية بحسب ظروف كل بلد..».

وقبيل ذلك بأسبوعين استضافت البحرين ندوة حوار الحضارات بين العالم الإسلامي واليابان يومي ١٢- ١٣/ ٣/ ٢٠٠٢م، تلك الندوة التي تتبناها اليابان وتهدف إلى «تعزيز حوار الحضارات بين المفكرين اليابانيين والمفكرين المسلمين، وذلك للعمل على تعميق وتوسيع نطاق التفاهم المتبادل بين الدول العربية والإسلامية ودول المشرق البعيد، ولاسيما اليابان». وقد شارك في هذه الندوة (المؤتمر) نخبة من العلماء والمفكرين ومتخذي القرار في مختلف العلوم المعرفية، وشاركت فيه اثنتا عشرة دولة عربية منها بلادنا، كما شاركت إيران بالإضافة إلى اليابان التي سيعقد فيها مؤتمر أوسع حول الموضوع نفسه في العام القادم.

### حال الأمة ومؤتمرها القومي:

وكان قد انعقد المؤتمر العربي العام الثاني في بيروت يومي ١٤ ـ ١٥/ ٣/ ٢٠٠٢م، وهو المؤتمر الذي يضم (المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي الإسلامي ومؤتمر الأحزاب العربية) والذي كان من بين أهم أهدافه توجيه رسالة قومية إلى القمة العربية التي تنعقد في بيروت عقب

ذلك، كما مثل اليمن فيه الأخ الأستاذ يحيى محمد المتوكل الأمين العام المساعد للشؤون السياسية للمؤتمر الشعبي العام، ومعه عدد من الإخوة ممثلي الأحزاب والقوى الوطنية الممثلة في هذه المؤتمرات. كما شارك في المؤتمر القومي العربي الثاني عشر الذي انعقد في المنامة في أول نيسان/أبريل ٢٠٠٢م حتى الرابع منه، وتزامن ذلك بإصدار مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت لمجلد ضم (٥٦٩ صفحة) عن (حال الأمة العربية المؤتمر القومي العربي الحادي عشر: الوثائق والقرارات والبيانات)، وقد صدر عن المؤتمر الثاني عشر هذا (إعلان المنامة والبيان الختامي له)، وقام الأخ الأمين العام المساعد للمؤتمر الشعبي العام بتوجيه الدعوة باسم اليمن لينعقد المؤتمر القادم في بلادنا مع دعوات دول عربية أخرى، قد تكون اليمن هي الأرجح في استضافة المؤتمر.

ومن أوراق ومحاور المؤتمرين الأول والثاني يجد القارئ بعض ما اخترناه أو حصلناه في هذا العدد، ولعلنا بهذا نسبق الجهات المعنية والمراكز المختصة التي شاركت أو رتبت لهما لأنها في حاجة إلى بعض الوقت حتى تصدر كل الحوارات والأوراق والمداخلات، وهو الأمر الذي سيكون أكثر فائدة وننتظره قريباً.

**ومؤتمر للقات أيضاً:**

أما المؤتمر الأكثر أهمية وجدلاً بالنسبة إلى اليمن فهو (المؤتمر الوطني بشأن القات) الذي كان برعاية فخامة الأخ الرئيس علي عبد الله صالح، وافتتحه الأخ الأستاذ عبد القادر باجمال رئيس الوزراء يوم السبت ٦ نيسان/أبريل الجاري بقاعة الشوكاني، وواصل أعماله ليومي ٦ و٧ تحت شعار (رؤية وطنية حالمة بمستقبل واعد). وليس من شك بأن أخطر ما يواجه مجتمعنا اليوم وغداً هو استشراء هذه الشجرة المسيطرة على أوقاتنا وزراعتنا ومياهنا وصحتنا بل وحياة أبنائنا ومستقبلهم، وليس

في الأمر جديد باستثناء الإعداد الممتاز للمؤتمر والإنفاق بسخاء على الدراسات المفيدة التي أصدرتها وزارة التخطيط والتنمية بالتنسيق مع وزارة الزراعة ومنظمة الأغذية والزراعة FAO في مجلدين ضمّا (وثائق المؤتمر) وحملا شعاره: (الرؤية الوطنية الحالمة بمستقبل واعد!).

لقد سبق لمجلة الثوابت أن أصدرت في عددها الثامن (كانون الثاني/ يناير ـ آذار/ مارس ١٩٩٧م) ملفاً خاصاً بعنوان: (القات والمجتمع اليمني) ساهم فيه بعض الكُتاب والمشاركون في هذا المؤتمر، وقد سبق عقد عدة ندوات حول ذات الموضوع، كما صدرت عشرات الدراسات والكتب والأطروحات الجامعية ولم يتوقف الكتّاب والمهتمون عن طرح المشكل وتكوين جمعيات لمكافحة القات، وتكرار الكتابة، والتنبيه بالمخاطر المترتبة على استعمال السموم والمبيدات في الزراعة عموماً والقات على وجه الخصوص، (وهو الأمر الذي ركّز عليه المتحاورون في اليوم الأول للمؤتمر)، بيد أن كل ذلك يكاد يكون مجرد (رؤية) لكابوس يعتري مُخزّن القات إذا ما نام في القيلولة قبل الخزان! وهي تجربة يمر بها كل مدمن لمضغ القات.

إن النوايا الطيبة والأبحاث الجيدة والجمعيات الأهلية لا تقدم ولا تؤخر في الحالة الاستاتيكية الراسخة للقات، وإنما المعالجات والحلول الحقيقية عبر خطة زمنية تطول أو تقصر نقوم بها، على سبيل المثال ما سبق لي شخصياً أن قدمناه مدروساً عام ١٩٨٧م لمجلس الوزراء، وهو (مشروع إنشاء المركز الوطني لدراسة القات)، ذلك المشروع الموؤود في المهد لأسباب مازالت هي نفسها قائمة إلى اليوم، ومن دون إحياء المشروع تبقى المؤتمرات والندوات وما يكتب نثراً وشعراً مجرد حُلم هو إلى الكابوس أقرب منه إلى رؤية حقيقية لأي مستقبل واعدٍ، خاصة إذا تبين لنا أن هذا المؤتمر بكل جهود المعنيين به

والمشاركين فيه لم يخرج بجديد، حتى ولا صدور قرار يمنع المبيدات وتجريم استعمالها، دع عنك مشكلة القات نفسها بكل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية والصحية والنفسية وبكل ما ورد في أدبيات المؤتمر المؤثرة والمشكورة، وقد تم نشر التوصيات الصادرة عن المؤتمر الوطني بشأن القات في هذا العدد.



# مؤتمرات

# «للعلم والسياسة»

يصدر هذا العدد للربع الأول من العام الجديد (٢٠٠٦م) من مجلة (الثوابت)، بعد انقضاء العام الخامس من بدايات الألفية الثالثة، وكان عاماً مليئاً بالأحداث المختلفة والمضطربة والمحزنة في عالمنا العربي.. تخللها - مع ذلك - ومضات أمل هنا وهناك.. خاصة في وطننا - اليمن - الذي شهد في الأشهر الأخيرة من العام نفسه نشاطاً سياسياً وثقافياً متميزاً تمثل بلقاء القمة لدول لقاء صنعاء (كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥م) بعدن، ثم ذلك الدور الإيجابي والفاعل الذي قامت به القيادة السياسية في عقد مؤتمر عدن - أيضاً - للتقريب والاتفاق بين الإخوة قيادات الصومال الشقيق الذي مزقته الحروب وشتت أبناءه في الأصقاع، ومنه بلدنا المضيف لعشرات الآلاف منهم.. إلى غير ذلك من نشاط فاعل لسياستنا الخارجية في المجال العربي والقومي وفي طليعته مشروع محاربة الإرهاب الذي يرعاه الأخ رئيس الجمهورية ويجد صداه في الساحتين العربية والدولية.

بيد أن الاهتمام والتركيز على مستوى التعليم العالي والبحث العلمي وإعادة النظر في أوضاع الجامعات تمثل في ذلك المؤتمر العلمي الناجح لوزراء التعليم العالي والبحث العلمي العرب المنعقد في تعز (كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥م) وما خرج به من خطط وتوصيات نأمل أن تكون

نتائجها العلمية والعملية قريبة التنفيذ بما ينقل التعليم العالي العربي - عموماً -، واليمني خصوصاً إلى مرحلة أكثر تقدماً ولحاقاً بموكب العلم والتقدم البحثي والتكنولوجي، الذي مازلنا للأسف نلهث خلفه دونما إحراز ما تأمله شعوبنا وجيلنا الحاضر، فلعل ذلك يكون قريباً، وليس ذلك على الله بعزيز، إن توافرت الإرادة، وتحقق للجامعات حسن القيادة وحرية البحث وعدالة الفرصة.. ولعله من محاسن المصادفات بعد ذلك المؤتمر العلمي الكبير أن تناول (مجلس الشورى) في ثلاث جلسات متتالية (كانون الثاني/يناير ٢٠٠٦م) شاركت فيها قيادة وزارة التعليم العالي برئاسة معالي الأخ الأستاذ الدكتور عبد الوهاب راوح (عضو هيئة تحرير الثوابت) ونائبه الأكاديمي التربوي الأستاذ الدكتور محمد بن محمد مطهر وكل رؤساء الجامعات الرسمية الثماني، وغيرهم من رؤساء الجامعات الخاصة، وأركان وزارة التربية والتعليم، تناول المسألة التربوية وأوضاع الجامعات ومشاكلها المتعددة، فكان كل ذلك إثراء للموضوع الذي تم الخروج منه بتوصيات هامة رفعت لفخامة الرئيس لتوجيه الحكومة والجهات المعنية بما يحقق الغاية والآمال المنشودة.

وكم كان - بالمناسبة - عملاً غير مسبوق ما قامت به جامعة صنعاء (أو بالأصح رئيسها الأخ المؤرخ والإداري الحصيف الأستاذ الدكتور صالح باصرة[1] وأركان إدارته) في إقامة ذلك الاحتفال التكريمي الكبير لثلاثة من أبرز علماء الآثار.. أولهم يمني هو زميلنا الأستاذ العالم المؤرخ الأستاذ الدكتور يوسف محمد عبد الله، والثاني عالم الآثار الفرنسي المشهور الأستاذ الدكتور كرستيان روبان، وثالثهم عالم الآثار الإيطالي والدراسات اليمنية ألكسندرو ديمقريه، وكلهم عمل أكثر من عقدين في اكتشاف واستخراج ذخائر ما هو معروف إلى الآن في آثار الحضارة

(١) هو وزير التعليم العالي والبحث العلمي اليوم، وقد خلفه الأخ أ.د. خالد عبد الله طَميم.

اليمنية العريقة، ووزع مجلد ضخم بأبحاث هامة مهداة للثلاثة من زملائهم وتلاميذهم العرب والأجانب.

أمّا نجاح المؤتمر السابع للمؤتمر الشعبي العام وما خرج به من قرارات وسياسات حكيمة وعملية لقيادة البلاد إلى برّ الأمان، وذلك في مداولات قياداته وأعضائه (السبعة آلاف تقريباً) في عاصمة اليمن التجارية والاقتصادية وثغرها الباسم عدن في منتصف كانون الأول/ ديسمبر الماضي، فقد كان فاتحة أمل، وتأكيداً لمفهوم الحرية والديمقراطية التي تسير فيها بلادنا بخطا وئيدة وصبورة رغم الفهم الخاطئ أو الممارسة العرجاء التي تزاولها أحزاب أو صحافة أو أشخاص يجهلون أو يتجاهلون تلك المعاني والسبل الصحيحة للحكم الديمقراطي وتداول تسلم السلطة عبر صناديق الاقتراع.

وبعد: سيجد القارئ الكريم في هذا العدد ملفاً خاصاً بوثائق ذلك المؤتمر وما صدر عنه، كما سيجد عديداً من المواضيع العلمية والثقافية والاقتصادية والسياسية وكثيراً من المتابعات والمشاركات في مؤتمرات عربية ودولية ومقالة تُذكر بمرور قرن على نسبية آنشتاين (١٩٠٥ - ٢٠٠٥م)، وغيرها من المطالعات والمراجعات لبعض الإصدارات الجديدة، وكما درجنا عليه فسيجد القارئ المهتم بغيته أيضاً فيما يحب في القسم الإنجليزي.



# مُؤتَمَران

# بين الثقافة والسياسة

خلال شهر نيسان/ أبريل من ربيع هذا العام ٢٠٠٧، شَهِدَت عدنُ وصنعاء مؤتَمَرَينِ عالَميّيْن هامّين مَثَّلا سِمَةً بارزةً في الحياة الثقافية والسياسيّة اليمنية المُلفتة لنظر المهتّمين بالشأن اليمني والدّاعمين لمسيرة التطور والتقدم في دُرُوب الحرّية والديمقراطية، والاستمرار الحثيث في خطط الإصلاح الاقتصاديّ والماليّ مع إجراءات تشريعية للقضاء على أخطبوط الفَسَاد المستشري في كلّ مكان، وتلك كانت مهمّة حكومة الأخ القدير الأستاذ عبد القادر باجمال، الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام السابقة، كما هي مهمة الحكومة المشكلة مؤخراً برئاسة الأخ الأستاذ الدكتور علي محمد مُجَوّر، وذلك مَا جَاءَ بوضوح في بيانها الحكومي حَول مختلف السّياسات والاتجاهات التي ستواصل فيها مَسِيرة البناء والإصلاح.

١- أمّا حَدَثُ المؤتَمَريْن الهامّين، فقد كان الأول: (المؤتمر الدولي للحضارة والتاريخ السادس) الذي احتَضَنَتْهُ (عَدَن: التاريخ والحضارة) بتعاون وتكامل علميّ وعَمَلي جدير بالتنويه والشكر بين جامعَتَي صنعاء وعدن برعاية وزير التعليم العالي والبحث العلمي الأخ الأستاذ الدكتور صالح علي باصُرّة، الذي كان أيضاً رئيساً للجنة العليا للمؤتمر، ومَعَهُ الأخَوَان الأستاذَان الدكتور عبد الوهاب راوح، والدكتور خالد طميم

رئيسا الجامعتين وآخرون من الجامِعَتين تكلّلت جُهودهم في الإعداد والترتيب بالنّجاح، وبأن يَحضر ذلك المؤتمر أكثر من مئة عَالِم وباحث عَرَباً ومستشرقين. غَيْرَ العشرات من الأكاديميين والمتخصّصين اليمنيّين من الجامعات اليمنيّة الحكوميّة الثماني، وعددٍ كبيرٍ من المثقّفين والمهتّمين. وبرعاية كريمة من فخامة الأخ علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية، قام الأخ الأستاذ الكبير عبد العزيز عبد الغني رئيس مجلس الشورى في ٧/ ٥/ ٢٠٠٧م بافتتاح هذا المؤتمر العلمي الكبير الذي استمرت جلساته ثلاثة أيام (صباحاً ومساءً) قُدِّم ونُوقِشَ فيها نحو ١٧٠ بحثاً في مِحورَين رئيسيّين هما (الحضارةُ والتاريخ) اليمنيّ عبر العُصور، من سَبأ إلى يَمَن الوحدة اليوم، وكان لمدينة (عَدَن) القَدح المُعَلّى بما خُصّت به من أبحاث ودراسات خاصة بماضيها العظيم وحاضرها الزّاهر، وهو ما كان لشقيقتها (صنعاء) قبل نحو عامين بالعنوان نفسه (صنعاءُ الحضارة والتاريخ)، في المؤتمر الخامس الذي انعقد بجامعة صنعاء صَيف عام ٢٠٠٤م.

وسيجد القارئ الكريم نماذج من أوراق المؤتمر في هذا العدد (من المجلة)، كما أن الأمل أن تَصدُرَ مجموعة الأبحاث والأوراق في أكثر من مجلدَين، كَمَا حَدَثَ وصَدَرَت في مجلّدين أعمالُ المؤتمر الخامس عن جامعة صنعاء صَيف عام ٢٠٠٤م، وهذا تقليد يستحق الثناء مع رَجَاء الاستمرار.

٢ ـ المؤتمر الثاني ـ كان لرابطة مجالس الشُّيوخ والشُّورى والمجالس المُمَاثلة في إفريقية والعالم العربي:

وجاء هذا المؤتمر السّياسي والديمقراطي الهام الذي افتَتَحَهُ الأخ الأستاذ عبد ربّه منصور هادي نائب رئيس الجمهورية يوم ٧/ ٥/ ٢٠٠٧م واستمر ثلاثة أيام برئاسة رئيس المنظمة، رئيس مجلس الشورى الأستاذ عبد العزيز عبد الغني، **بانعقاده في مقر المنظمة** (صنعاء)، ليؤكد جملةً من

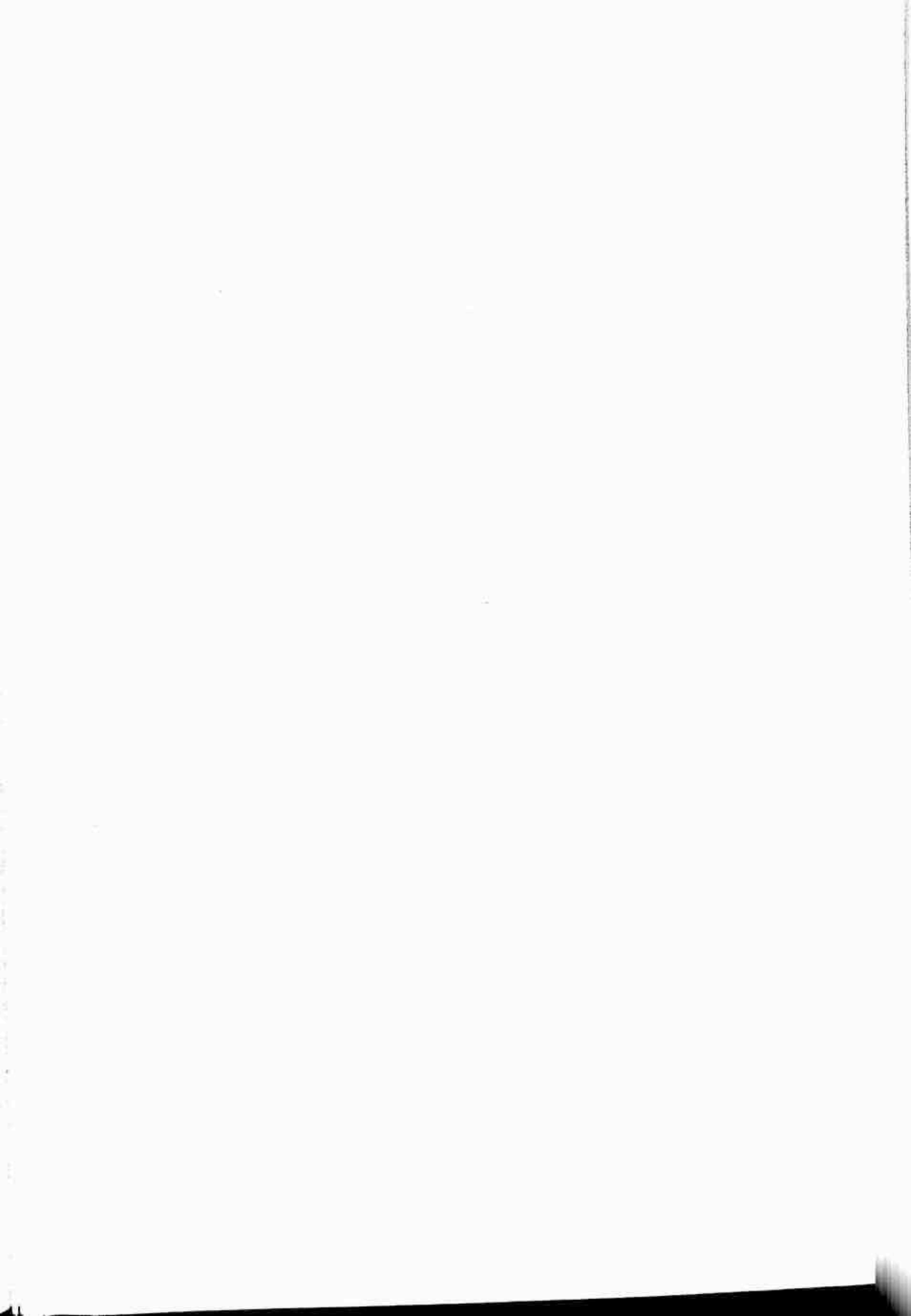
الحقائق، أهمُّهَا التقديرُ الأكيد الذي تَنَالُهُ بلادُنا من مُختَلَف الدول الأعضاء وغيرها للمَسيرة الوئيدة والراسخة التي انتَهَجها يَمَنُ الثاني والعشرين من أيار/مايو، بقيادة مُحقق وَحدَته وحُريّة إرادته في انتخاب ممثليه ومجالسه المختلفة، في أجواء من الحرّية والديمقراطية تُحسَدُ عليها، وفي البيَان الختامي للمؤتمر الذي نَنْشُرُهُ مع وثائق أخرى في هذا العدد (توثيقاً كالعادة) مادةٌ أوسع لهذا الدّور ولنتائج أعمال مؤتمر المنظمة الثاني هذا، وإقرار عَقد دورتها القادمة في ضيافة السُّودان الشّقيق.

هذا غير عودة الرّوح مؤخّراً إلى نشاط وزارة الثقافة بتنسيق وترابط عَمَل مؤسساتها في ظلّ قيادتها المجرّبة والرَصيْنَة الجديدة لقيادة عَرَبَتها الثّقيلة بأكثر من حصَان للسّير جَاهدَةً نَحوَ غاياتها المرجُوّة في اتجاهٍ واحدٍ، وليسَ في اتجَاهينِ مُتضَادّينِ، كَمَا كَانَ - للأسف - في الأمسِ القَريب.

والله الموفق..



# في الثقافة وحوار الحضارات



# حوار الثقافات والحضارات في صنعاء

## (عاصمة الثقافة العربية)

### امتداد لحوارات عربية أوربية في القرن الماضي

«لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر، ففي عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام» [من ميثاق اليونسسكو].

من الخطأ الظن، بأن هذه الندوة الهامة المنعقدة في صنعاء يومي ١٠ و١١/ ٢/ ٢٠٠٤م برعاية منظمة اليونسكو ومشاركة ذلك العدد الكبير من المفكرين والسياسيين، والممثلين لعديد من المنظمات والمؤسسات الفكرية والثقافية والسياسية الدولية والإقليمية الأجنبية والعربية والإسلامية بعنوان (حوار الثقافات والحضارات)، هو رجع صدى للحاجة الملحة للحوار بعد أحداث (١١ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١م) المفجعة، والتي أقحم الإسلام فيها بتراثه وحضارته العظيمة على يد حفنة مهووسة هي في الحقيقة خارج تيار التاريخ الإنساني الحديث والمعاصر، القائم على الحوار والتعاون والتفاهم بين مختلف شعوب الأرض على اختلاف عقائدها ودياناتها وثقافاتها المتعددة والتي نجحت «منظمة اليونسكو»، منذ وقت مبكر في تحقيق الكثير من ذلك التعاون والفهم المشترك الذي من أجله تأسست هذه المنظمة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية «لكي تسعى عن طريق تعاون أمم العالم في ميادين التربية والعلم والثقافة إلى بلوغ أهداف السلم الدولي وتحقيق الصالح المشترك للجنس البشري..»

وتخاطب ديباجة الميثاق التأسيسي للمنظمة شعوب العالم بتلك العبارة الجزلة الجامعة المانعة المكتوبة بلغات المنظمة ـ بما فيها العربية ـ على مبناها المعروف في باريس: «لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر، ففي عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام».

نعم، لقد كانت الحاجة قديمة للحوار بين مختلف الشعوب وخاصة بين الشرق والغرب الذي قال الشاعر الإنجليزي كبلنج (Kiplinj) أواخر القرن التاسع عشر بأنهما (لن يلتقيا) «فالشرق شرق والغرب غرب!...» وكان ذلك تعبيراً عن البعاد بينهما في رأي شخصي لا يمثل حقيقة المعنى الحضاري لمدلول كلمتي (الشرق والغرب) والتلاقح الحضاري المستديم بينهما.

لقد مضى دهر على الصراع من أجل الاستقلال، وكانت الأقطار العربية بصفتها ـ قلب الشرق الإسلامي ـ ومصدر الإشعاع الحضاري والثقافي فيه الذي مثل الجسر لنهضة الحضارة الغربية، وقد أدركت كغيرها من دول الشرق الأقصى والأدنى التي اكتوت بمرحلة الاستعمار مدى الحاجة إلى إعادة الحوار القديم، فكانت السبعينيات من القرن العشرين بدايات حثيثة للحوار الجديد مع دول أوربة الغربية، وكانت (ندوة همبورغ من ١١ ـ ١٦ نيسان/ أبريل ١٩٨٣م) على سبيل المثال - نموذجاً مبكراً للحوار العربي - الأوربي الذي حمل عنوان «العلاقات بين الحضارتين العربية والأوربية» وجرى بعد ذلك عديد من المؤتمرات والندوات في أوربة وأمريكة والعالم العربي، بما في ذلك ما عرف بحوار الديانات الثلاث (الإسلام والمسيحية واليهودية) وكذا المؤتمر الدولي الذي انعقد في جامعة آل البيت في الأردن في حزيران/ يونيو ١٩٩٦م بعنوان (أوربة والإسلام).

وكما تبنت اليابان منذ وقت قريب مؤتمر الحوار مع الإسلام، فقد انعقد مؤتمر في كل من المنامة وطوكيو ٢٠٠٣م.

وفي الدوحة تم من ١٠ - ١٢ كانون الثاني/ يناير الماضي تأسيس منتدى الحوار الأمريكي - الإسلامي ليكون - كما أعلن - «آلية دائمة عربية - إسلامية أمريكية» وقد شارك فيه عدد كبير من المفكرين والساسة الأمريكيين والعرب، ولعل الهدف الأكيد هو تجسير الفجوة القديمة والمستحدثة في ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م بين عالمنا العربي والولايات المتحدة التي زادها سوءاً موقفها المنحاز في فلسطين واحتلالها في ربيع العام الماضي للعراق.

ولعل ما يميز ندوة صنعاء هو أنها قد عنيت بمواصلة حوارات سابقة متعددة أبرزتها المحاور التي تبنتها وهي:

- العولمة وحوار الثقافات والحضارات.
- إسهامات التعليم في كافة مستوياته ومراحله في الحوار بين الثقافات والحضارات.
- تأثير الثقافة العربية وإنجازاتها في الثقافات الأخرى.
- دور الحوار بين الثقافات والحضارات في الحد من الإرهاب بكافة أشكاله ودوره في توطيد سلام شامل ودائم.
- الحوار بين الشرق والغرب بين الأمس واليوم والغد.

إن هذا اللقاء العامر بالأوراق المفيدة والمتعمقة لمجالات الحوار بين الثقافات والحضارات في عالمنا المعاصر، وكذلك (رسالة الندوة) التي وجهت إلى أمم العالم في اختتام انعقادها من المنتدين في صنعاء عاصمة الثقافة العربية لتسهم ولا ريب في عملية استمرار الحوار نحو تفاهم أفضل بين الشعوب وتدفع بها إلى آفاق رحبة من التسامح والاحترام والتعاون والتعايش.

# تعزيز الحوار

# بين الحضارات والثقافات

# في المنطقة العربية

## ١- الخلفية والأوضاع:

إن الندوة بشأن الحوار بين الحضارات التي عقدت في صنعاء يومي ١٠ و١١ فبراير/ شباط ٢٠٠٤م بجهد مشترك بين حكومة الجمهورية اليمنية واليونسكو، ودعم من أموال الودائع اليابانية، تعكس الدور الهام الذي يمكن لحوار الحضارات أن يؤديه في عالمنا المعاصر، وذلك أياً كانت المصاعب والتعقيدات وضروب الجهل. وتندرج هذه الندوة في الإطار العالمي الأوسع لإعلان وبرنامج عمل الأمم المتحدة بشأن ثقافة السلام[١]، وجدول أعمال الأمم المتحدة العالمي للحوار بين الحضارات[٢]، (وإعلان نيودلهي) الصادر عن اليونسكو[٣]، وكذلك

(١) قرار الأمم المتحدة (إعلان وبرنامج عمل بشأن السلام)؛ A/RESS5/3/243 وقرار الأمم المتحدة: ثقافة السلام ١٣/ .RES52/A

(٢) قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٦/٥٦ المؤرخ في ٣١ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠١م: جدول الأعمال العالمي للحوار بين الحضارات.

(٣) الذي اعتمده المؤتمر الوزاري الدولي بشأن الحوار بين الحضارات: البحث عن آفاق جديدة في نيودلهي بالهند يومي ٩ و١٠ يوليو/ تموز ٢٠٠٣ ـ للاطلاع على النص الكامل انظر: / .http://www.unexco.org/dialogue2001delhi.html"

(رسالة أوهريد)[١] الصادرة عن منتدى اليونسكو الإقليمي للحوار بين الحضارات، وقد وضعت كلها نهوجاً ومفاهيم ورؤى جديدة لأنشطة اليونسكو المقبلة في مجال الحوار بين الحضارات على الصعيدين العالمي والإقليمي. ويأتي في مقدمة هذه المجموعة من الجهود الدولية القرار المتميز الذي اعتمده المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثانية والثلاثين (أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠٣م)، والذي يرحب فيه بـ«الدور الرائد الذي اضطلعت به على جميع الصُعد في سبيل تعزيز الحوار بين الحضارات والثقافات» وأبرز «دورها الفريد في بناء جسور جديدة بين الحضارات والثقافات»[٢].

إن باستطاعة الحوار بين الحضارات والثقافات أن يمنح حقوق الإنسان والديمقراطية والتسامح المزيد من القوة، ويعزز السلم والممارسات السلمية، وتداول الأفكار بوجه عام، كما أن للحوار أهمية فائقة في تبليغ ونقل صورة واقعية عن تنوع وثراء العلاقة بين الحضارات. وبالمثل، ينطوي الحوار والمبادلات أيضاً على طاقة ملازمة كقوة تدفع إلى الاعتدال، كما يمكنها أن تقوم بدور هام في مواجهة الإرهاب أو الميول إلى الإرهاب، وفي هذا النطاق، يغدو أمراً حاسماً التوفيق بين النهوض بالقيم العالمية المشتركة وبين التنوع الثقافي، وإبراز أهمية التربية باعتبارها في آن واحد أساساً لثقافة السلام والتسامح، وبوتقة للتنمية والتخفيف من وطأة الفقر. وبصورة مشابهة، تستحق مساهمة الثقافات العربية الإسلامية

(١) التي اعتمدها المنتدى الإقليمي للحوار بين الحضارات الذي عقد في أوهريد يومي ٢٩ و٣٠ أغسطس/ آب ٢٠٠٣م للاطلاع على النص الكامل انظر:

http://www.unesco.org/dialogue2001/messagw. html

(٢) آفاق جديدة في أنشطة اليونسكو المتعلقة بالحوار بين الحضارات والثقافات، بما في ذلك بوجه خاص متابعة مؤتمر نيودلهي الوزاري، قرار المؤتمر العام ٣٢م ٤٧/ الصادر في أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠٣م.

في حضارات أخرى أن تكون موضوع لقاءات علمية حقيقية، وأن تحظى بالاهتمام اللائق.

وبناء عليه، فإن لقاء صنعاء هو أول حدث إقليمي يأتي بعد أن ناقش المؤتمر العام لليونسكو هذه القضية (في الجلسة العامة)، ويجري في الإطار المصادق عليه حديثاً. وتسعى هذه الندوة إلى أن تستنبط وتقدم ما هو أكثر من مجرد تصريحات واتفاقات عامة بشأن الآثار الطيبة للحوار، إذ ترمي إلى تحديد تدابير عملية، وحفز نشاط ملموس، يمكن أن يكون حجر أساس في إقامة حوار فعلي ومستدام في القرن الحادي والعشرين، والحق أنه يمكن وصف المطمع الأعظم بأنه تنشئة ثقافة الحوار وصوغها.

تنتشر أطراف المنطقة العربية في قارتين. وهي ليست مهد الحضارة الإسلامية فحسب، بل ومنشأ ديانتين توحيديتين أخريين أيضاً، وهما المسيحية واليهودية، واليمن الذي يقع في جنوب شبه الجزيرة العربية، يوجد في مفترق الطرق بين هذه الأديان المختلفة وغيرها. ويملك هذا البلد تراثاً ثقافياً غنياً جداً، ذلك أن ثلاث مدن يمنية، وهي مدينة شبام العتيقة المسورة، ومدينة زبيد التاريخية، والعاصمة صنعاء، مدرجة في قائمة اليونسكو للتراث العالمي. وقد سكن الناس صنعاء منذ أكثر من ٢٥٠٠سنة، حتى أصبحت مركزاً عظيماً لنشر الإسلام في القرنين السابع والثامن الميلاديين. وما زال التراث الديني والسياسي حاضراً بقوة في مساجدها التي يبلغ عددها ١٠٣، وفي حماماتها الأربعة عشر، والبيوت التي يبلغ عددها ٦٠٠، وكلها مبنية قبل القرن ١١ الميلادي، وهي في مجموعها تشكل خلفية حية ورائعة لندوة تركّز اهتمامها في الحوار بين الحضارات والثقافات[١].

---

(١) انظر: http://www.unexco.org/nwhc/pages/sites/main.htm

إن تطور اليمن من بلد منقسم، ومن محن حرب أهلية في سنة ١٩٩٤م إلى دولة موحدة لهو مثال حي للتحولات الطارئة في المنطقة، ويعدّ إعداد أنشطة ونهوج ملموسة في نطاق الحوار بين الثقافات والحضارات عنصراً أساسياً في سبيل مواجهة تحديات العولمة والتحديث، شريطة صون الذاتيات الثقافية المتباينة في إطار مجتمع دولي يسعى إلى التوصل إلى توافق الآراء بشأن القيم العالمية المشتركة وحولها.

**٢- إنشاء إطار دولي لتعزيز الحوار بين الثقافات والحضارات:**

أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ٢٠٠١م سنة دولية للحوار بين الحضارات، مبرزة الأبعاد الجديدة للحوار في مواجهة التكافل المتزايد بين المجتمعات والأمم والثقافات والحضارات، فرتبت بذلك الأوضاع لنقاش دولي أوسع، والتزام مجدد بالحوار على جميع المستويات، ودعت اليونسكو إلى القيام بعدد من المهام، من بينها «تخطيط وتنفيذ برامج ثقافية وتعليمية واجتماعية ملائمة لتعزيز مفهوم الحوار بين الحضارات، بوسائل من بينها تنظيم المؤتمرات والحلقات الدراسية ونشر المعلومات والمادة الأكاديمية بشأن الموضوع»[(١)].

وقد شددت خطة عمل اليونسكو لسنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات (٢٠٠١م) على ضرورة تحديد (الحضارة) بوصفها ظاهرة عالمية ومتعددة وغير تراتبية، وذلك لسبب بسيط - ولو أنه كثيراً ما يهمل - وهو أن الحضارات كانت دائماً تغتني بفضل الاتصال والتبادل مع حضارات أخرى، ومن ثم كانت دائماً منخرطة في عملية دينامية قوامها التغيير وإعادة تجديد (الذات). والحضارات بطبيعتها (جامعة بين الثقافات). فالحوار الثقافي المنكفئ على الذات، أو الأصولية الثقافية،

---

(١) قرار الجمعية العامة ٢٢/٥٣ المؤرخ في ٤ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩٨م.

التي تحنّط (الآخر) باعتباره غريباً، وهو بذلك عدو محتمل، تتعارض مع هذه السمة المكونة للحضارة البشرية والتنظيم الاجتماعي.

وقد نهضت اليونسكو لمواجهة التحدي على المستوى العملي، فبادرت إلى تنظيم ورعاية عديد من المبادرات، والمؤتمرات والحلقات الدراسية بشأن الحوار بين الحضارات، وذلك على كل من الصعيد المحلي، والإقليمي، والدولي. وتمخضت الأعمال الإرهابية في ١١ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١م عن زخم جديد وشعور بضرورة القيام بعمل عاجل. وبتأثير من هذه الأحداث، اعتمد المؤتمر العام لليونسكو في دورته الحادية والثلاثين قراراً بالإجماع[١]، رأى فيه «أن جميع أعمال الإرهاب تشكل تنكراً للمبادئ والقيم المعلنة في ميثاق الأمم المتحدة والميثاق التأسيسي لليونسكو، وفي إعلان اليونسكو الخاص بالمبادئ بشأن التسامح (١٩٩٥م)، وتمثل اعتداء على البشرية جمعاء». وأكد القرار عدداً من الأمور، من بينها أن الحوار بين الحضارات «يشكل تحدياً أساسياً يقوم على وحدة الجنس البشري وقيمه المشتركة، والاعتراف بتنوعه الثقافي وبتساوي الحضارات في الكرامة».

وبعد عامين، قام مؤتمر نيودلهي الوزاري الدولي لعام ٢٠٠٣م بشأن (الحوار بين الحضارات - البحث عن آفاق جديدة) بتحديد سبل جديدة لأنشطة اليونسكو وتوجهاتها المقبلة، وبوجه خاص ضمن ميادين التربية والعلم والتكنولوجيا، وفي مجال القيم المشتركة.

وفي ظل هذه الأوضاع، لم يؤيد المؤتمر العام لليونسكو في تشرين الأول /أكتوبر ٢٠٠٣م إعلان نيودلهي فحسب، بل وطلب أن تتجاوز

---

(١) «آفاق جديدة لأنشطة اليونسكو الخاصة بالحوار بين الحضارات، بما في ذلك على وجه الخصوص متابعة مؤتمر نيودلهي الوزاري»، قرار المؤتمر العام لليونسكو ٣٢م/ ٤٧ والوثيقة المرجعية ٣٢م/ إعلام ١٥.

المنظمة مرحلة الاتفاق العام والإعلان عن النيات، فتبحث عن ردود جديدة تستغل المؤثرات المتمثلة في التربية، والعلم، والتكنولوجية، والتنوع الثقافي، ووسائل الإعلام، وتكنولوجيات المعلومات والاتصال، وذلك بهدف إنشاء إطار للتحاور، ولاسيما على الصعيدين الإقليمي ودون الإقليمي.

### ٣- دور الحوار في المنطقة العربية:

**- البحث عن قيم مشتركة**

يتميز العالم العربي بتنوعه. فسكانه ينتمون إلى مجموعات إثنية، ولغوية، ودينية متنوعة تقطن في بلدانه التي يبلغ عددها ٢١ بلداً، بينما تشكل التقاليد المتجذرة في الإسلام وفي اللغة العربية عامل تجميع وحشد للمجتمعات العربية وعلى مر عصور التوسع الإسلامي، عاش المسلمون سوياً مع المسيحيين واليهود، ثم مع الزرادشتيين والبوذيين، والهندوس فيما بعد. ويحترم الناس في هذه المنطقة أيضاً قيم السلام والتسامح، والمساواة بين الرجال والنساء والحرية الدينية، كما يعملون بها.

وقد تجلى دائماً في الثقافات العربية أيضاً الانفتاح والنمو وتشجيع التفاعل والتبادل، ولم تتقبل هذه المنطقة حضارات أخرى فحسب، بل واعتنقت وأدمجت أيضاً عاداتها وممارساتها الثقافية في كثير من الأحيان. ويعد التلاقح مع الحضارة اليونانية في القرنين الميلاديين ٩ و١٠، وانفتاح العالم العربي على العلوم، والفنون، والمعارف، والتكنولوجية الغربية في القرن ١٩، مثالين مشهورين عن الإلهام المتبادل في شتى الميادين.

إن النزعة الحالية إلى التركيز على العلاقات التناحرية بين الثقافات والحضارات تهمل الحقيقة التاريخية وهي أن المبادلات بين الحضارات

كانت قوة تنمية عظمى. ففي الماضي، استفادت الحضارة الأوربية التي كانت على درجة أقل من النمو أيما استفادة من التبادل السلمي للسلع والأفكار في إطار الدولة العربية الإسلامية. واتخذت هذه العلاقات شكل المبادلات التجارية واعتناق الدين، والتفاعلات الأكاديمية، والمجتمعية، والتكنولوجية. وقد بلغت الآن بعداً جديداً بفضل التكنولوجيات الحديثة للمعلومات والاتصال، وكذلك النقل.

وكما هو الحال بالنسبة إلى مناطق وثقافات أخرى، فإن الثقافة العربية تواجه اليوم تحدي العولمة ونتائجها من حيث التحولات الاقتصادية، والاجتماعية والجيوسياسية والعالمية، فضلاً عن ألوان الانقسام والتفاوت الإقليمي والمجتمعي. وتشمل التحولات التقدم نحو المزيد من الديمقراطية والممارسات الديمقراطية، والتقيد بالحريات الأساسية وحقوق الإنسان، بما في ذلك حقوق المرأة، وكذلك احترام القيم العالمية المشتركة. كما أنها تنصب على العقليات والصور والآراء النمطية وأنواع جديدةٍ من الجهل والنزعات الأصولية. وتواجه هذه المنطقة كذلك التحدي المتمثل في قوة الاتصال الجماهيري الفوري، وقوة الشبكات المالية العالمية. وهذا يثير المخاوف بشأن صون اللغة والهوية. ومن الواضح أنه ينبغي عند السعي إلى إقامة مجتمع عالمي حقيقي ومشترك أن تُستغل وسيلة الحوار بين مختلف المعتقدات والثقافات والحضارات.

ثمة قيم ومبادئ مشتركة عالمية، ومعتمدة عبر جميع الحضارات، وينشأ عن هذا الشعور ما يجمع بينها، والحوار يغذي قاعدة مشتركة للوجود البشري المتجذر في التاريخ والتراث والتقاليد. ولا بد لأي حوار أن يركز على أهمية القيم المشتركة التي تعطي الحياة معناها، وتُكسب الهويات شكلها ومادتها. والتسامح هو مبدأ جوهري من هذا القبيل يتجاوز الفوارق الحضارية. وينبغي للحوار أن يعزز التسامح واحترام

الآخر ويقر بالتنوع ويؤيده. والقيم، فوق هذا وذاك، أساسية في الحفاظ على مجتمع مسالم وعادل.

وسيكون من الأهمية بمكان في المستقبل ترويج وعي لا ينفك يتجدد بهذه القيم العالمية، والمبادئ والمواقف الأخلاقية التي تقع في صلب الحوار الحقيقي. فاحترام حقوق الإنسان، وقبول الآخرين ضمن الجماعة، والبحث عن الوحدة في إطار التنوع، في حاجة إلى التأكيد عليها وترسيخها باستمرار على «ضوء التحولات الاجتماعية والاقتصادية الكبرى، مثل التحولات التي تتمخض عنها العولمة».

**- التعليم عنصر لا غنى عنه للحوار المستمر**

التعليم أداة وعملية فريدة للمساعدة على إقامة الوحدة ضمن ضرب الاختلاف، وتأمين إجراء حوار مسترسل ومتواصل بين الثقافات والحضارات. وذلك أن التعليم على جميع المستويات - سواء تناولناه في إطاره النظامي، أو غير النظامي، أو غير الرسمي - قادر بطبيعته على إتاحة الفرصة لإجراء الحوار، شريطة أن يستفيد منه الجميع.

إن العالم العربي منطقة تمر بمرحلة انتقالية، فهو يسعى إلى تطوير ذاته وتحديث أوضاعه، بينما يكرس جهده لصون تقاليده وقيمه، وشبابه في حاجة إلى مؤسسات ومواد تعليمية قادرة على أن تكون أداة للسلم، والحوار، والتفاهم بين الثقافات. وإلا فقد يُستغل هؤلاء الشباب ويُسخرون لنشر سوء التفاهم والتعصب والكراهية.

بيد أن السعي إلى التعليم وحده غير كاف. وينبغي أن يوجّه الطموح إلى اعتماد مفهوم «جودة التعليم» والاسترشاد به بغية الوصول إلى فهم القيم المشتركة عالمياً، وتشجيع تنمية مهارات أساسية لتحقيق السلام ودرء النزاعات وإيجاد الحلول لها، تلك المهارات التي يمكن أن تُسخر

لنقل المعارف بصفة عامة، ومعرفة الثقافات والحضارات والأديان والتقاليد الأخرى بصفة خاصة. وستكون الحاجة إلى تحقيق جودة التعليم، في نطاق حركة التعليم للجميع، أعظم حاجة في العالم العربي.

أنشأ الالتزام ـ السياسي ـ العالمي بالأهداف الستة للتعليم للجميع المعتمدة في داكار في أبريل/ نيسان ٢٠٠٠م قاعدة قوية بشكل بارز لمجموعة من المبادرات والنهوج الرامية إلى تحقيق عدد من الأهداف من بينها المساواة بين الجنسين في الالتحاق بالمدارس بحلول عام ٢٠٠٥م. وقد حفظ ذلك في أهداف التنمية للألفية التي اعتمدها جميع رؤساء الحكومات في قمة الأمم المتحدة للألفية. غير أن السعي إلى تحقيق المساواة بين الجنسين لن يكون أساسياً لتحقيق أهداف التنمية للألفية فحسب، بل وكذلك للتنمية المنتجة على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي لجميع المجتمعات في المنطقة.

وبفضل مساعدة المجتمع المدني، ووسائل الإعلام، والهيئات الحكومية، بدأت الخطط الوطنية الخاصة بالتعليم للجميع تثير الوعي لدى الآباء بما يكلفه إهمال تعليم الفتيات من النواحي الاجتماعية، والاقتصادية، والإنمائية. ويُعد وضع مؤشرات صحيحة لمتابعة الوضع وتقويمه استراتيجية هامة أخرى في سبيل تحقيق التعليم للجميع، وله من ثم أثر قيم على تعزيز السلم والحوار والتفاهم.

ويتطلب الإدماج المنتظم للحوار في المناهج الدراسية إصلاحات تعليمية هامة. وقد تحتاج غايات وأهداف السياسات الوطنية في مجال التربية إلى التعديل؛ والمناهج الدراسية والكتب المدرسية ومواد التعليم المدرسية إلى المراجعة والتعديل؛ وأسس التنمية المستدامة إلى التعزيز؛ وتقدير وممارسة القيم الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والتعددية، واللاعنف إلى أن تُعلّم، كما قد تحتاج كل هذه الأمور إلى أن تُستكمل

وتُستوفى من خلال استخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصال. ويتعين استكمال جدول الأعمال هذا باستراتيجيات لتعليم أجيال جديدة من المعلمين، وإعادة توجيه وتأهيل المعلمين العالمين. إن عمليات تعليم حقوق الإنسان وحل النزاعات التي تستغرق حتماً مدة طويلة تدل على ضرورة توسيع نطاق هذه الأنشطة كي تشمل التعليم مدى الحياة، ممَّا يشجع التعليم خارج نطاق التعليم النظامي، ليشمل أوضاع التعليم غير النظامي والتعليم غير الرسمي.



# ثقافة التسامح الديني والسياسي في اليمن[1]

## بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٥/٦٣]

**مدخل**

يستدعي الحديث عن موضوع هذه الندوة التي اختير لها عنوان (ثقافة التسامح الديني والسياسي في اليمن) العودة - ولو بشكل عاجل - إلى قضيتين أساسيتين:

الأولى: تعريف سريع في كيفية تبلور ما أصبح (المذاهب) أو المدارس الإسلامية (السنية والشيعية منها)، فيما عُرف تاريخياً بداية بمذاهب الأمصار أو الأقاليم إلى المذاهب المتبلورة الفقهية المشهورة اليوم.

الثانية: (قضية الاجتهاد والتقليد) وكيف أدى إقفال باب الاجتهاد إلى الانغلاق الفقهي والفكري، واندفاع تيار الخلافات إلى تصادم بين أصحاب المذاهب، بل وأحياناً بين أصحاب المذهب الواحد، وأدى إلى اتهامات بالتكفير في كثير من الأمصار العربية والإسلامية

(١) ورقة قدمت في ندوة تحمل نفس هذا العنوان، وأدارها الأخ الدكتور عبد الكريم الإرياني رئيس (مركز الجسور الثقافية)، وشارك فيها عدد كبير من الباحثين والعلماء العرب واليمنيين في فندق سبأ يومي ٢١ و ٢٢/ ٥/ ٢٠٠٨م.

في تلك العصور المبكرة بعد القرن الرابع والخامس، وارتدى زياً معاصراً اليوم بأشكال وأسماء جاهلية بعيدةٍ كل البعد عن روح الإسلام.. إن هاتين القضيتين مفتاح للحديث عن دخول مذهبي الإمامين الجليلين محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ/ ٨٢٠ م) والإمام الشهيد زيد بن علي (ت ١٢٢ هـ/ ٧٤٠ م) إلى اليمن، واستقرارهما بين ظهراني أبناء اليمن وفي زمن متقارب منذ أواخر القرن الهجري الثالث وحتى اليوم، في تعايش وتبادل فقهي وفكري لم يعرف التصادم أو الصراع - دع عنك الاقتتال - بل التناظر والتتلمذ وربما كان يقع أحياناً بعض الخلاف الفقهي أو المصطلحي فيما نسميه اليوم الخلاف في وجهات النظر.

كان ذلك لأكثر من ألف ومئة عام من تاريخ اليمن شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً وحتى اليوم؛ هذا بالإضافة إلى التعايش والسلام الاجتماعي التاريخي، وإن تبدلت دويلاته مع أبناء اليمن من طائفة اليهود، وكذلك الفرقة الإسماعيلية (المكارمة) - وإن كانت أقلية - لكنها ومنذ نهاية الدولة الصليحية التابعة للدولة الفاطمية في قاهرة المعز، وبوفاة الملكة السيدة بنت أحمد سنة (٥٣٢ هـ/ ١١٣٨ م) عاشت الفرقة بين إخوانها زيوداً وشوافع في سلام وأمان، وإن كانت نفسها عقائدياً قد دخلت فيما عُرف بمرحلة الستر (المعروفة)، ورحل بعض زعمائها أو دعاتها إلى الهند وغيرها.

* * *

واسمحوا لي الآن ومن دون توسع أن أعود إلى القضية المتعلقة بموضوع تبلور مذاهب فقهاء الأمصار كالمدينة أو الكوفة أو البصرة أو العراق إلى مذاهب السنة الأربعة، وكذا المذهب الزيدي والإسماعيلي والجعفري (الإمامي) لتستقر في الأخير بعضها في قطر أو أكثر من قُطر فيما بَعد.

لقد انتشر الفقهاء (عرب وموالٍ) في المدن والأمصار الإسلامية في القرن الثاني الهجري وما تلاه كالحجاز والعراق ومصر وبلاد الشام

واليمن وغيرها ولم يكن هنالك مرجعٌ واحدٌ بينهم للإقليم نفسه؛ فالإمام الشافعي على سبيل المثال كان قد تردّد على اليمن عدة مرات بل وتزوج من صنعاء وأخذ عن العلامة المحدث الكبير عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١ هـ/ ٨٢٦ م) وغيره من علمائها. ولم يكن قد قَعَّد وتبلور مذهبه الفقهي العظيم، بل كان آنذاك على خلاف مع بعض معاصريه وتلاميذه من الفقهاء، وقد ذُكر أنّ له كتاباً بعنوان (كتاب اختلاف العراقيين)[1]، ومعروف أن آراءه القديمة في العراق تغيرت أو تجددت حين انتقل واستقر بمصر، وكما ابتعد تلميذه وناشر مذهبه المُزني (ت ٢٦٤ هـ/ ٨٧٧ م) منهجياً عن تعاليم شيخه الشافعي في الفروع؛ لكن ذلك الخلاف لم يكن بذلك القدر الكبير الذي بين الإمام أبي حنيفة وتلميذيه القاضي أبي يوسف صاحب (الخراج) والردود على مالك والأوزاعي وغيرهما، والشيباني إمام أهل الرأي وصاحب (الجامع الكبير) وناشر مذهب أبي حنيفة، ولهذا قيل بشكل عام «كانت آراء أبي حنيفة تُطبّق في أمور الشعائر والعبادات، وآراء أبي يوسف في أمور الإجراءات والمعاملات المالية، والشيباني في مجال الأحوال الشخصية..»[2]. ومثال أخير حول الموضوع لإمام المدينة مالك ابن أنس الذي سيصبح له أتباع ومذهب هو أحد مذاهب السنة الأربعة فيما بعد، فقد قال شارحاً المصطلح الذي استخدمه في الموطأ (ملخصاً هنا لمحقق الموطأ):

«في الواقع معظم محتويات هذا الكتاب ليست آرائي وإنما هي بالأحرى الآراء التي تلقيتها من علماء بارزين عديدين. ولقد كانت آراؤهم عديدة بحيث إنها أفضت إلى التسليم. لكن هذه هي آراؤهم التي أخذوها من الصحابة، وأنا بدوري أخذت هذه الآراء من هؤلاء العلماء الكبار.

---

(١) وائل حلاق: من مذاهب الأمصار إلى المذاهب الفكرية (مجلة الاجتهاد العددين ٥٧، ٥٨)/ ٤٧.

(٢) المصدر نفسه.

إنها تراث تطور من عصر لآخر حتى وقتنا الحاضر. وعندما أقول (رأي) فإنه كذلك. وعندما أقول: «إن الأمر موضع اتّفاق»، فإن ذلك يعني أن ذلك الأمر كان موقع إجماع العلماء. وعندما أقول: «الأمر عندنا»، فإن ذلك يعني أنه الأمر الذي يشكل عمل بلدنا وإقليمنا، وطبقة الفقهاء، وهو معروف عند العامة والعلماء معاً. وعندما أقول: «يرى بعض العلماء»، فإن هذا يعني أنه رأيٌ قال به بعض العلماء وأنا أميل إليه. وإذا لم أسمع رأياً منهم، فإنني أمارس اجتهادي بحسب ما توصلت إليه، بحيث لا يحيد اجتهادي عن عمل علماء المدينة»[1].

أما الزيدية، فقد كثر أتباع الإمام زيد بن علي في العراق والجبل والديلم قبل مجيء الإمام الهادي يحيى بن الحسن إلى اليمن (ت ٢٩٨ هـ/ ٩١١ م) ليؤسس المذهب الزيدي، مع خلافات مع بعض فقهاء الزيدية الأوائل وتقارب مع المعتزلة في أصولهم الخمسة، وسيعرف منهجه فيما بعد بالهَادَوِيَّة، وستأتي مرحلة متأخرة ينهج فيها فقهاء وعلماء يمنيون مجتهدون منهجاً تجديدياً، وآخر يبتعد كثيراً أو قليلاً عن مؤسسي المذهب ويقترب من منهج أهل السنة - كما هو معلوم - ويسوقنا هذا إلى الحديث عن القضية الثانية المتعلقة بالاجتهاد والتقليد.

إن أهمية هذه القضية في تاريخ الفقه والفكر الإسلامي، تكمن في ذلك الحَجْر الفكري على الاجتهاد في حَلِّ معضلات المجتمع المستجدة بعد القرون الأولى، واعتبار من خرج على ما هو سائد خارجاً على المذهب، بل ما هو أبعد من ذلك كالسجن أو العزل، وهو ما عاناه علماء كبار في مصر والعراق وبلاد الشام. ولقد تأمل في الأمر وأجاب عنه المفكر العلامة ابن خلدون (ت ٨٠٤ هـ/ ١٤٠٦ م) حين قال مقرراً:

«ووقف التقليدُ في الأمصار عند هؤلاء الأربعة، ودَرسَ المقلدون لمن

(١) نفسه: ٤٧، وطبعة الموطأ بيروت، دار الجيل ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م.

سواهم، وسدّ الناسُ بابَ الخِلاف وطُرقه لما كثُر تشعّب الاصطلاحات في العلوم، ولمّا عاق عن الوصول الاجتهاد، ولما خُشي من إسناد ذلك إلى غير أهله، ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه، فصرّحوا بالعَجز والإعواز وردُّوا الناسَ إلى تقليد هؤلاء، كل بمن اختصَّ به من المقلّدين، وحَظروا أن يَتداوَل تقليدُهم لما فيه من التلاعب. ولم يبق إلا نقلُ مذاهبهم، وعملَ كلٌّ مقلّد بمذهب من قَلّده منهم، بعد تصحيح الأصول واتصال سَنَدِها بالرّواية، لا محصولَ اليومَ للفقه غير هذا. ومدّعي الاجتهاد لهذا العهد مردودٌ (منكوص) على عقبه مهجورٌ تقليدُه. وقد صار أهلُ الإسلام اليومَ على تقليدِ هؤلاء الأئمة الأربعة»[١].

وفي الحقيقة، أن هذه المقولة ترجع إلى زمن أقدم من عصر ابن خلدون، فابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩ م) أنكر على معاصريه (القرن الثالث) وجود مجتهد يقارن به من سبق من مجتهدي الأمة وعلمائها فيمن قد مضى، وإن كان نفسه في كتابه (الشعرُ والشعراء) بعيد النظر في انتصاره للمحدثين من متأخري الشعراء على القدماء بقوله - بعد نقد حصيف - «.. ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره..». ومن اللافت للنظر أن شيخ الإسلام الشوكاني (١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٦ م) قد استخدم هذا المنطق نفسه، بل وبعض عباراته في دَحْضه لهذه المقولة (في مقدمة كتابه البدر الطالع)، وكان قد جند قلمه وكثيراً من وقته في الدفاع عن فتح باب الاجتهاد[٢].

إن فهم هذه القضية فهماً عميقاً في مختلف مراحل تاريخنا العربي والإسلامي، ومنه اليمني، يكشف جذور التعصب أو التسامح هنا أو

---

(١) ابن خلدون (المقدمة) ط باريس: ٣/٣؛ ط٣ (د. وافي): ٣/ ١٠٥٠.

(٢) انظر كتابنا: الإمام الشوكاني رائد عصره: ١٢٨.

هناك.

فمنهج المقلدين والمتعصبين من مقصري العلماء والمتفقهين هو ما ندعوه اليوم بالإرهاب الفكري ضد حُرية الفكر والاجتهاد، رافعين شعار (إغلاق باب الاجتهاد) مفتين - على سبيل المثال - في حق مجتهدٍ كبير وإمام عظيم كابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٨ م) «بأن من اعتقد عقيدة ابن تيمية حَلَّ دَمُه ومالُه! خصوصاً الحنابلة، فنودي بدمشق بذلك وقرئ المرسوم»[١]. وقد سجن وامتحن غير مرة في الشام ومصر حتى مات في محبسه بقلعة دمشق. وكان ذلك حال تلميذه ابن قيم الجوزية.

لقد بلغت الحياة الفكرية والحضارة العربية الإسلامية ذروتها قبل ذلك بنحو ثلاثة قرون. وقد جاء علامتنا ابن خلدون بعد نحو نصف قرن على وفاة ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ/ ١٣٥٠ م) الذي هدم فكرة التقليد من أساسها، وهاجم من قال بإغلاق باب الاجتهاد[٢] ذَاهباً إلى أن الإجماع قد أقر بإخراج المتعصب بالهَوى والمقلد الأعمى عن زمرة العلماء، وسقوطهما..».

يقول ابن خلدون الذي كان ظاهرة استثنائية مُدهشة في عصره، والذي خرج بمقدمته من ركام ظلماته «.. وأما لهذا العهد وهو آخر المئة الثامنة فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحنُ شاهدوه وتبدلت بالجملة.. وكأني بالمشرق قد نزل به ما نزل بالمغرب، لكن على نسبته ومقدار عمرانه، وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالإجابة!»[٣].

---

(١) الشوكاني: البدر الطالع، بتحقيقنا، دار الفكر، دمشق، وانظر ابن حجر: الدرر الكامنة، ١/ ١٤٤.

(٢) أعلام الموقعين، ١/ ٨٠٠.

(٣) المقدمة، ١/ ٤٠٥ - ٤٠٦.

* * *

وبعد قرن على عصر ابن خلدون جاء العثمانيون الأتراك إلى بلاد الشام ومصر والجزيرة العربية (٩٢٣ هـ/ ١٥١٦ م)، وبانسحابهم من اليمن عام ١٠٤٥ هـ/ ١٦٣٥ م وعودهم إليه بعد ذلك ثانية سنة ١٢٦٦ هـ/ ١٨٤٨ م، نعم اليمن بنحو قرنين من الاستقرار النسبي، وظهرت فيه سلسلة من كبار العلماء المجتهدين المجددين، يمثلون (التيار الزيدي المتفتح على أهل السنة)، وهو تيار له جذوره في اليمن زاد من تقارب وتتلمذ المذهبين السائدين (الزيدي) و (الشافعي) وكان من أبرز أعلامه المجتهدين محمد ابن إبراهيم الوزير (٨٤٠ هـ/ ١٤٣٦ م)، ومعاصره العلامة الإمام أحمد ابن يحيى المرتضى (ت ٨٤٠ هـ/ ١٤٣٦ م) صاحب متن (الأزهار وشروحه)، والعلامة الكبير الحسن بن أحمد الجلال (ت ١٠٨٤ هـ/ ١٦٧٣ م)، وصاحب (العلم الشامخ)، وغيره العلامة صالح بن مهدي المقبلي (ت ١١٠٨ هـ/ ١٧٣٨ م)، وشيخ الشيوخ العلامة المعمّر محمد ابن إسماعيل الأمير (ت ١١٨٢ هـ/ ١٧٦٨ م)، وآخرهم شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني الذي نهج نهج من سبقه من أولئك المجتهدين ضد التعصب والانغلاق واستمرار دعوة الاجتهاد، والمحبة والإخاء، وإلى التواصل مع مدارس اليمن السنية في زبيد وحضرموت وذمار وصعدة وتعز، بل وتجاوز قطر اليمن إلى أصقاع أخرى كمصر والحجاز والهند وغيرها.

**وبعد:**

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٣/١٧]..

**صدق الله العظيم**

# في العلاقات اليمنية الخارجية



# في العلاقات اليمنية الخارجية

## العلاقات اليمنية - الهولندية(١)

**مقدمة:**

تعدُّ العلاقات اليمنية الهولندية من العلاقات الممتازة القائمة على الاحترام المتبادل وتبادل المنافع، وهولندة من الدول الرائدة التي تقدم لبلادنا مساعدات تنموية طيبة، ويعود تاريخ تلك العلاقة إلى عام ١٦١٨م؛ عندما تم إنشاء أول مركز تجاري هولندي بالمخا، ولكن سرعان ما تم إقفال هذا المركز التجاري بعد فترة قصيرة من افتتاحه لظروف معينة، وقد تم إعادة افتتاحه في عام ١٦٩٦م، وقد بدأ تصدير البن مباشرة من المخا إلى أمستردام ١٦٦١م.

وفي بداية القرن الماضي قامت هولندة بفتح قنصلية في جِدة لرعاية الحجاج الإندونيسيين باعتبار أن إندونيسية ظلت مستعمرةً هولنديةً حتى العام ١٩٤٨م، وقام قنصل هولندة بزيارة اليمن في عام ١٩٣١م، كما قام قنصل هولندة الجديد السيد كوزيليس أدريانه بتوقيع أول معاهدة هولندية - يمنية في ١٢ آذار/ مارس ١٩٣٣م، وبالرغم من أن هذه المعاهدة تضمنت إلزام الطرفين بقيام علاقات دبلوماسية بينهما إلا أنه لم تقم مثل هذه

---

(١) نشر هذا بمناسبة افتتاح معالي الأخ أ.د/ أبو بكر القربي وزير الخارجية يوم ٢٢/ ٥/ ٢٠٠٣م للاحتفالية التي رعتها الحكومة الهولندية في مدينة ليدن، وشارك فيها عدد كبير من المعنيين ورجال الأعمال، وكان الكاتب من بين المشاركين.

العلاقات بسبب انغلاق الحكم الإمامي عن العالم، وفي عام ١٩٧٥م بدأ التمثيل غير المقيم للبلدين واستمر إلى أن قامت هولندة بفتح سفارتها في صنعاء في العام ١٩٧٩م.

وقد تُبودلت الزيارات بين البلدين ولكن أهمها كانت زيارتي فخامة الأخ الرئيس علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية اليمنية لهولندة في عام ١٩٨٤م وكانون الثاني/ يناير ١٩٩٥م.

والواقع أن اليمن تتمتع بجاذبية خاصة لدى صانعي القرار والمواطن الهولندي، باعتبار أن لدى اليمن تجربة خاصة بالديمقراطية، واحترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية.

**الدعم الهولندي:**

بدأ الدعم الهولندي عام ١٩٧٠م عندما تم منح اليمن قرضاً بـ(٧,٢) مليون جلدر قدمه البنك الهولندي بجِدّة بفائدة ١٠٪ لمدة أربع سنوات، واستمر الدعم بشكل قروض ومنح لا ترد، وزاد حجم الدعم مع منتصف الثمانينيات ليصل إلى (ثلاثين مليون جلدر)، ثم وصل في التسعينيات إلى (خمسين مليون جلدر) بما يعادل (خمسة وعشرين مليون يورو)، وبعد الوحدة المباركة أقرّ الجانب الهولندي توسيع نطاق التعاون ليشمل المحافظات الجنوبية وتم العمل على تنفيذ عدد من المشاريع في محافظة عدن، بالإضافة إلى مشروع متكامل للتنمية الريفية بمحافظة شبوه (صحة، تربية، مياه، صرف صحي، زراعة) إضافة إلى بعض الأنشطة الثقافية في محافظة حضرموت.

كما تساهم هولندة، على صعيد التعاون عبر المنظمات الدولية، في تمويل عدد من المشاريع أهمها: مشروع التعليم الأساسي الذي ساهمت فيه هولندة بمبلغ (سبعة عشر مليون جلدر)، كما قدّمت دعماً للصندوق الاجتماعي للتنمية بمقدار (خمسة ملايين جلدر)، وقدّمت دعماً بتوريد

مواد علاجية طبية بمبلغ (٢٤ مليون جلدر)، وفيما يتعلق بالتخفيف من أعباء الديون فقد قدمت ما يلي:

- إعفاء اليمن من كل الالتزامات والقروض الحكومية للأعوام ٨٤ ـ ٨٦م.

- عشرة ملايين جلدر لتخفيف أعباء الديون لعام ١٩٩٧م.

- عشرة ملايين جلدر لتخفيف أعباء الديون لعام ١٩٩٨م.

- عشرة ملايين جلدر لتخفيف أعباء الديون لعام ١٩٩٩م.

- وهناك أيضاً دعم آخر في مجال تشجيع الصادرات الهولندية لبلادنا ORET. وقد تم إخراج بلادنا من هذا الدعم في العام ٢٠٠١م؛ بسبب عدم اهتمام الجهات المختصة بالرد والمتابعة، كما كان هناك نشاط للمتطوعين الهولنديين وبعض المنظمات غير الحكومية ولكنه توقف.

### العلاقات التجارية اليمنية- الهولندية:

على الرغم من أن العلاقات التجارية بين بلادنا وهولندة بدأت قبل أربعة قرون، وتحديداً عام ١٦١٨م؛ عندما تم إنشاء أول مركز تجاري هولندي في المخا، إلا أن هذه التجارة لم تتطور، وأصبحت جزءاً من التاريخ، والحقيقة أنه لم تُبذل أي محاولات من الجانبين لتعزيز العلاقات التجارية أو لتحفيز الجانب الهولندي للاستثمار في اليمن، سواء في القطاع التجاري أو النفطي، ولاسيما أن شركة (شل) قد كان لها في الماضي اهتمامات للعمل في بلادنا، إلا أنها أقفلت هذا الملف في الوقت الحالي وتركز نشاطها في سلطنة عُمان الشقيقة، كما أن خطوط الطيران بين البلدان قد انقطعت، فالطيران اليمني توقف في نهاية الثمانينيات، والطيران الهولندي توقف في العام ٢٠٠٠م، ولم تَعد هناك أي رحلات جوية مباشرة، ونستطيع القول: إنه في التسعينيات شهدت

بلادنا نشاطاً تجارياً مشتركاً بين الشركات والمؤسسات اليمنية والهولندية، إلا أن هذه المحاولات قد منيت بالإخفاق، وأصبحت من العلاقات السلبية المعيقة لتطوير العلاقات التجارية، بسبب عدم حل المنازعات التجارية بين الشركات اليمنية والهولندية، وعدم تنفيذ قرارات القضاء بشأن تلك المنازعات.

كما أن بعض الشركات الهولندية التي عملت في اليمن قد أظهرت شكواها من عدم الالتزام بالقوانين وتعقيد إجراءات التصديق على شهادة المنشأ التجارية، وتبين أن حجم التبادل التجاري يأتي لمصلحة هولندة التي تصدّر إلى اليمن ما قيمته ١٢٠ مليون يورو سنوياً.. بينما لم تُسجّل أي مواد يمنية مصدّرة إلى هولندة، ولعل أهم السلع التي تصدّر لليمن هي:

- الألبان المستخدمة في عمليات التصنيع.
- البذور الزراعية.
- الأعلاف والأغذية، والفقّاسات الخاصة بالدواجن.
- مواد كهربائية.
- مبيدات كيميائية زراعية.
- قطع غيار ومعدات تبريد.
- مواد خام تدخل في التصنيع الغذائي.

* * *

## صدر حديثاً كتاب الثوابت الـ(١٨) بعنوان

# العلاقات اليمنية - اليابانية

قبل بضعة شهور أرسل إليّ معالي الأخ العزيز الدكتور أبو بكر القربي وزير الخارجية - عضو هيئة تحرير مجلة (الثوابت) هذا الكتاب المفيد في صيغته الأولية، طالباً الرأي في إمكانية نشره.

وقد وجدت فيه جهداً مثمراً يستحق التقدير؛ فالأخ السفير الدكتور شايف بدر عبد الله الذي سبق له العمل والدراسة في كورية واليابان[١]، واحد من قلةٍ قليلة تعمل اليوم في وزارة الخارجية استفاد من خبرته وواسع معلوماته، فاتجه إلى بحث العلاقات اليمنية - اليابانية في بحثه هذا منذ بدايتها المبكرة عام ١٩٣٨م حين أرسل الإمام يحيى حميد الدين ابنه الحسين على رأس وفد عالي المستوى إلى طوكيو، وتم تبادل الرسائل وتأسيس العلاقات المتميزة، ثم تَتبَّعَ تلك العلاقات بعد عام ١٩٦٣م حيث تم تبادل التمثيل الدبلوماسي بين البلدين مروراً بفترتي السبعينات والثمانينيات ففترة التسعينيات من القرن المنصرم - والتي مثلت ما أسماه «بالفترة الديناميكية في التعاون اليمني الياباني»، وهي التي تُوّجَت بزيارة فخامة الأخ علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية لليابان من ١٤ إلى ١٧ آذار/ مارس ١٩٩٩م، ولم يكتف الأخ الباحث - الأديب والدبلوماسي النشيط - باستقصاء المعلومات والإحصائيات من مصادرها

(١) هو الآن سفيراً لليمن في بولندة.

وعطائه في موضوعه من المشاريع والمساعدات السّخِيّة التي قدمتها لبيئة بلاده وغيره من دول العالم الثالث، بل رغب أن يعطي القارئ العربي - واليمني على وجه خاص - خلفية تاريخية ومعلومات وافية، مركزاً على تاريخ هذه الدولة الإمبراطورية عبر العصور حضارةً وأرضاً ومجتمعاً وثقافات وسياسة، ثم كيف كانت علاقة اليابان مع الغرب والانفتاح بعد عزلة في مطلع القرن التاسع عشر، وبعزيمة لا تلين لينهل شعبه بخطى حماسية من علوم الحضارة الأوربية الصاعدة والاستفادة من علومها وثورتها الصناعية فيها، دونما تخلٍّ عن تقاليدها وأسلوب حياتها الشرقية العريقة، ولعلّه من غريب المفارقات أن مصر في ظل حكم محمد علي باشا (١٨٠٥ - ١٨٤٨م) التي اتجهت كذلك لبعض الزمن للاستفادة من علوم وحضارة أوربة الحديثة - ومن فرنسة بالذات - كانت قد استقبلت عام ١٨٢٨ - بعثة يابانية للدراسة في مصر!

ولقد مرت التجربة اليابانية بكثير من النجاحات المطردة على عكس الإخفاق الذي أصاب التجربة في مصر وعالمنا العربي بشكل عام، وكان المثقفون والشعراء العرب ينظرون، بل يُعزون أنفسهم بالتغني بها، ليس في مصر والعراق وبلاد الشام فحسب، بل واليمن البعيدة والمنعزلة في ظل حكم الإمام يحيى حميد الدين (١٩٠٤ - ١٩٤٨م)، ومن ذلك ما وجدناه لأحد شعرائها في ثلاثينيات القرن العشرين، وفيه نَفَس شوقي وحافظ، حين قال من قصيدة[1]:

لا تغفل قد ذَهَبتْ أيّامُهُ  وإلى اليابان فانظر يا أُخي
هُم بنشرٍ بعدَ طَيٍّ بَدّلُوا  وعرانا بعد ذاك النشر طَيّ!

وبعد: فهذا جهد جميل مُقدّر لصاحبه الذي حرصنا معه أن يطّلع

(١) راجع: سفينة الأدب والتاريخ بتحقيق وتحرير الكاتب، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر - دمشق (٢٠٠١م): ١/ ١٨.

القارئ والمعنيون على صورة صادقة للعلاقات التي تربط البلدين الصديقين، ولنشكر القائمين على جمعيتي الصداقة اليمنية/ اليابانية في كُلّ من صنعاء وطوكيو على تعزيز الجهود الرسمية المبذولة من قبل الحكومتين واستمرار ذلك مستقبلاً بما يخدم تلك العلاقات العريقة والمستمرة، بل العلاقات العربية ـ اليابانية في إطار ذلك التعاون القائم والحوار الحضاري الياباني الإسلامي والذي أسهم الكاتب مع عشرات آخرين فيه.

❋ ❋ ❋

# العلاقات

# اليمنية الألمانية[١]

## (١٩٢٧ ـ ١٩٤٠م)

**خلاصة عامة**

حكمت العلاقات اليمنية - الألمانية عدة عوامل، منها :

١ ـ وضع ألمانية الاقتصادي والسياسي بعد الحرب العالمية الأولى.

٢ ـ وضع اليمن الاقتصادي والسياسي بعد الاستقلال.

٣ ـ التنافس الدولي، بين القوى العالمية الكبرى.

فقد دخلت ألمانية عصر التصنيع ابتداءً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتحولت من بلد زراعي متخلف (بالمعنى الإنتاجي)[٢] إلى بلد صناعي سُرعان ما أثبت قدرته على منافسة تقسيم مناطق النفوذ في العالم، ابتداءً من مطلع القرن العشرين، إلى اشتعال فتيل الحرب العالمية الأولى التي خرجت ألمانية منها مُدمّرة اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، وقد أثر ذلك الدمار الشامل في علاقاتها الدولية، وطبع سياستها الخارجية بطابع المصانعة والحرص على عدم إثارة مخاوف وغضب الدول الأوربية الكبرى، ومن هنا فقد وجدنا أن وضع ألمانية الاقتصادي والسياسي كان

---

(١) مُنْتل بتصرف من كتاب الأخ الزميل أ.د. أحمد قايد الصايدي الذي يحمل نفس العنوان والصادر في صنعاء عام ١٩٩٢م احتفاءً وتقديراً لجهده العلمي الرفيع.

(٢) التقدم والتخلف مصطلحان متناقضان، يحتاجان إلى مزيد من الجهد لتحديد معانيهما.

عاملاً من العوامل التي أثرت في طبيعة وشكل العلاقات اليمنية - الألمانية.

أما وضع اليمن الاقتصادي والسياسي - وهو العامل الثاني - من العوامل التي حكمت العلاقات اليمنية - الألمانية، فقد ظل اليمن متخلفاً في أوضاعه الداخلية، سواء في هيكل الدولة وأجهزتها ووظائفها أم في اقتصاده وخدماته الصحية والتعليمية... إلخ، ولم تنشأ سوق تجارية نشطة، فقد ظلت حركة السوق ضعيفة، واحتياجات الناس محدودة، وأوضاع العملة سيئة، مع غياب البنوك وصعوبة المعاملات المالية وضعف القدرة الشرائية لدى المواطنين، بسبب شدة الفقر. ولم تَرُج في هذه الفترة رواجاً ملحوظاً، سوى تجارة السلاح، وكان طرفها الرئيسي هو الحكومة اليمنية، وكانت علاقات اليمن الخارجية امتداداً لأوضاعه الداخلية المتخلفة، ومحكومة بسياسة الإمام المتسمة بالانغلاق والحذر، من ناحية وبالخوف من مطامع جيرانه، في الشمال (ابن سعود) وفي الجنوب (بريطانية) من ناحية أخرى.

وقد أثر الانغلاق والحذر، كما أثر الخوف من مطامع الجوار، تأثيراً مباشراً في طريقة تعامل الإمام مع القوى الخارجية، فقد سعى بكل جهده إلى انتزاع اعتراف دولي بحكمه وباستقلال مملكته، عن طريق عقد معاهدات صداقة وتجارة مع هذه الدولة وتلك.

وقد سهَّل التنافس الدولي وتسابق الدول الأوربية إلى مد نفوذها التجاري والسياسي في اليمن - وهو العامل الثالث - سهّل للإمام يحيى عقد عديد من المعاهدات، فقد ظنّت كل دولة من الدول المتنافسة بأن عقد معاهدة مع الإمام سوف يعزز موقفها التنافسي ويمنحها امتيازاً في السوق اليمنية، على منافسيها الآخرين، ولكن هذه المعاهدات - في الواقع - لم يكن لها أثر يُذكر، باستثناء حصول الإمام على مبتغاه، وهو

الاعتراف بحكمه واستقلاله، أما الدولة الموقعة معه فسرعان ما يفتر حماسه تجاهها وتضعف مكانتها، إذ يتجه الإمام باهتمامه إلى دولة أخرى، لم توقع معه معاهدة بعد.

وقد تأثرت العلاقات اليمنية - الألمانية بهذه العوامل تأثراً لا تخطئهُ العين، فسواء على مستوى المفاوضات التي دارت حول عقد معاهدة صداقة وتجارة وما سبقها ووافقها وتبعها من مراسلات، أو على مستوى النشاط التجاري، ولاسيما في مجال تجارة الأسلحة، نلمس حذر وتردد ألمانية وحرصها على تبين مواقف الدول الأوربية ذات المصالح في المنطقة، ولاسيما بريطانية، وعلى توضيح موقفها باستمرار، تجنباً لأي التباس، وتحاشياً لأي ردود فعل سلبية تجاهها.

ورغم أن حذر ألمانية وتَردُّدِها قد تلاشيا تدريجياً، خلال الفترة النازية، التي امتدت من عام ١٩٣٣م وحتى عام ١٩٤٥، وتغيرت مواقفها وخطها السياسي الخارجي، مع تصاعد درجة التأزم في علاقاتها بالدول الأوربية الأخرى، وعلى رأسها بريطانية وفرنسة، رغم ذلك فإن موقفها تجاه اليمن لم يتغير تغيّراً واضحاً، وذلك لاعتبارات جديدة، كما نعتقد، تمثلت في وقوع اليمن خارج دائرة الاهتمام المباشر لألمانية الهتلرية ووقوعها - في الوقت نفسه - داخل دائرة مصالح حليف ألمانية الأول، وهو إيطالية.

وتُغَطّي الوثائق، التي استعرضناها، فترة تمتد بشكل أساسي من عام ١٩٢٧م وحتى عام ١٩٤٠م. وتتداخل بداية هذه الفترة مع فترة انتعاش الاقتصاد الألماني، التي امتدت من عام ١٩٢٤م وحتى عام ١٩٢٩م، حيث عاود الاقتصاد الألماني نشاطه وبحثه عن أسواق خارجية، بعد أن كانت الحرب قد دمرته، وخنقتهُ الأزمة الاقتصادية الحادة التي امتدت منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وحتى عام ١٩٢٣م.

وقد بدأت الاتصالات بين الحكومتين اليمنية والألمانية برسالة وجهَهَا

الإمام يحيى إلى الرئيس الألماني المارشال (فون هندنبورج)، بواسطة الدكتور (قابس) - رئيس البعثة الدبلوماسية الألمانية في الحبشة، الذي زار اليمن مع زوجته في خريف عام ١٩٢٧م لقضاء إجازته السنوية - كما تشير الوثائق - ثم تواصلت المراسلات بعد ذلك، وكان محوَرها الرئيسي هو رغبة اليمن في عقد معاهدة صداقة وتجارة مع ألمانية وعدم تحمُّس ألمانية للاستجابة لهذه الرغبة.

وبعد تردد طويل، وبعد أن استطلعت ألمانية موقف بريطانية تجاه فكرة عقد معاهدة يمنية - ألمانية، فوّضت - أي ألمانية - الدكتور (فون شتورر) - رئيس البعثة الدبلوماسية الألمانية في مصر - بالتفاوض مع ممثل الإمام، على أن تُجرَى المفاوضات في القاهرة. وكانت قد بدرت إيحاءات، بأن الإمام ربما يفوض (محمد بن محمد زبارة) الذي كان حينها موجوداً في القاهرة بإجراء المفاوضات، كما صدرت إيحاءات أخرى بأنه يمكن أن يمثل اليمن في تلك المفاوضات (عبد الواسع بن يحيى الواسعي)[1] الذي قَدِمَ إلى القاهرة أيضاً، ولكن التأكيدات جاءت من صنعاء إلى برلين، من قبل [القاضي] (محمد راغب)[2] بأنه لا (زبارة) ولا (الواسعي) يمكن أن يُكلّفَ بإجراء مفاوضات سياسية، وأنهما موجودان في القاهرة لأغراض أخرى، وأن المفاوضات لا بُدَّ أن تتم في صنعاء.

وفي شهر نيسان/ أبريل من عام ١٩٣٠م كَلفَت ألمانية رئيس البعثة

---

(١) هما المؤرخان اليمنيان المعروفان، وكانا في القاهرة في هذا العام بتكليف من الإمام يحيى ودعم ابنه المتفتح سيف الإسلام محمد البدر (الغريق سنة ١٩٣٠م) للإشراف على طبع بعض كتب التراث اليمني للعلامة ابن الأمير وشيخ الإسلام الشوكاني، وبعض مؤلفات المؤرخين نفسيهما، وقد تُوفي الشيخ عبد الواسع سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م كما تُوفي الآخر سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م (العمري).

(٢) وزير خارجية الإمام يحيى (ت ١٩٥٨) (العمري).

الدبلوماسية الألمانية في الحبشة حينذاك (الدكتور بروفر) بالسفر إلى صنعاء، لإجراء المفاوضات هناك، وزَوّدَتهُ بمشروع المعاهدة المقترح من الجانب الألماني، إضافة إلى وثائق أخرى، تتعلق بموضوع المعاهدة.

ووصل (بروفر) إلى صنعاء في نهاية شهر حزيران / يونيو من العام نفسه، وباشر المفاوضات، التي وصلت إلى طريق مسدود، بسبب تباين وجهتي النظر، اليمنية والألمانية. فقد تقدم الجانب اليمني بمشروع آخر للمعاهدة تضمن - فيما تضمنه - نقطتين، رفضت ألمانية الموافقة عليهما، وهما: الاعتراف بالإمام كحاكم مستقل لليمن المستقل، وخضوع رعايا كل من الدولتين للقضاء والقوانين السارية في بلد الدولة الأخرى في حالة وجودهم فيها، وبعد مُضِيّ شهرين على وجود (بروفر) في صنعاء طلب من وزارة الخارجية الألمانية إرسال برقية إليه - مفتوحة - تطلب منه فيها القدوم إلى برلين للتشاور، وذلك كذريعة لانسحابه من المفاوضات. وغادر (بروفر) صنعاء وقد تكونت لديه قناعات، ضَمّنَها تقريره حول سير المفاوضات، الذي قدمه إلى وزارة الخارجية بعد عودته من صنعاء، وهي أنه ما دام الإمام مُصِراً على التمسك بالمشروع المقدم من الجانب اليمني ـ وخاصة النقطتين المذكورتين ـ فإنه لا يمكن عقد المعاهدة، عدا عن أن المعاهدة لا قيمة لها أصلاً ـ من الناحية الاقتصادية ـ فاليمن فقير وقليل السكان، وأوضاعه الاقتصادية سيئة، ولن تفيد المعاهدة سوى الإمام، الذي يريد أن يدعم بها موقفه تجاه بريطانية.

وقد سادت هذه القناعات فيما بعد جهاز وزارة الخارجية الألمانية، وأصبحت تمثل الموقف الرسمي للحكومة الألمانية، تجاه موضوع المعاهدة، ومع ذلك فقد استمر الإمام والقاضي راغب في اتصالاتهما الرسمية، بالكتابة مباشرة إلى المسؤولين الألمان، وغير الرسمية، بتوسيط بعض الشخصيات، مثل الدكتور (كارل رائينس)

والدكتور (فون قيسمن)، لدى الحكومة الألمانية، لإقناعها باستئناف المفاوضات، ولكن رغم إلحاح الجانب اليمني، بل ورغم موقف الشركات والمصانع الألمانية التي أخذت تُلِحُّ من جانبها أيضاً على وزارة الخارجية، مُبدية رغبتها في عقد المعاهدة، حتى مع قبول شروط الإمام، لِمَا في ذلك - حسب رأيها - من مصلحة للاقتصاد الألماني وللنشاط التجاري الألماني في اليمن، رغم ذلك كله فقد ظل الموقف الرسمي الألماني ثابتاً، ورفضت الحكومة الألمانية استئناف المفاوضات، ولكنها - في الوقت نفسه - حرصت على إبقاء قنوات الاتصال مع اليمن مفتوحة، من خلال رسائل المجاملات وتبادل الهدايا والتأكيد على أن المفاوضات لا بد أن تُعقَد في المستقبل.

ورغم عدم قيام علاقات سياسية رسمية في هذه الفترة بين ألمانية واليمن، فإن الشركات والمصانع الألمانية قد واصلت جهودها لتسويق البضائع الألمانية في اليمن وأرسلت بعض الشركات مندوبيها وأقامت ممثلية لها في صنعاء والحديدة، وكان على رأس هذه الشركات والمصانع (شركة يوسف هانزن وأولاده J.Jansen & Sohne)، التي مثلت شركات ومصانع ألمانية عديدة، وكانت محور نشاط هذه الشركات والمصنع تجارة الأسلحة، وقد برزت في هذا المجال شخصيات كثيرة، منها (دبترش)، ممثل شركة هانزن، و(زكي كرام)، ممثل مصانع (موزر)، ومن الجانب اليمني (عمر سليمان المزجاجي وأولاده)، و(إسرائيل صبيري)[1]. وتنافست الشركات المختلفة، ألمانية وغير ألمانية، في السوق اليمنية، تنافساً شديداً، وكان المشتري الرئيسي للأسلحة هو الحكومة اليمنية، وقد نزل بعض أبناء الإمام إلى السوق يحاولون بدورهم المتاجرة بالسلاح أيضاً.

وكان من أبرز صفقات السلاح، التي تم الاتفاق عليها، تلك الصفقة

---

(١) كان من أبرز تجار اليمن اليهود أيام حكم الإمام يحيى.

التي مثّل الطرف الألماني فيها (هرمن كرنس)، والطرف اليمني (عمر سليمان المزجاجي)، وهي الصفقة التي تم الاتفاق عليها عام ١٩٣٧م وتضمنت توريد خمسة آلاف بندقية (موزر) مع مستلزماتها، إضافة إلى خمسة ملايين طلقة، وقد أشارت بعض الكتابات إلى هذه الصفقة، إشارات تؤكد بأن هذه الأسلحة قد وردت فعلاً إلى اليمن، وهو أمر اتضح لنا من خلال الوثائق عدم صحته. فقد فشلت هذه الصفقة وامتلأت ملفات وزارة الخارجية الألمانية بالرسائل والتقارير والمذكرات المتعلقة بها والتي تؤكد بأن الصفقة لم تُنَفذ، وأن اليمن لم يحصل على أسلحة من ألمانية في العام المذكور (١٩٣٧م) ولا في الأعوام التالية له، حتى عام ١٩٤٠م، الذي تنتهي عنده هذه الدراسة[١] فقد سافر (أحمد عمر المزجاجي) مع (هرمن كونس) إلى ألمانية بعد إبرام الاتفاقية، وهناك في ألمانية فوجئ (المزجاجي) بأن شركة (أوجست مبنز) ترفض تنفيذ الاتفاقية التي وقعها (كرنس) باسمها، بسبب تدني السعر الذي وافق عليه، كما رفضت الحكومة الألمانية تقديم دعم مالي لتنفيذ الصفقة، وذلك لأن نسبة الدعم المطلوبة تتجاوز بكثير الحد الأقصى الذي يمكن أن تقدمه الحكومة.

وعاد أحمد عمر المزجاجي خائباً إلى اليمن بعد جهود غير موفقة بذلها في ألمانية، من أجل الحصول على كمية السلاح المتفق عليها، وظل هو ووالده يراسلان من الحديدة رئيس الوزراء الألماني (أدولف هتلر)، ووزير الخارجية، لعلهما يتدخلان لتنفيذ الصفقة، ولكن اتصالاتهما لم تثمر شيئاً.

ورغم فشل هذه الصفقة فقد استمر المزجاجي في اتصالاته بالشركات

(١) تشير الوثائق إلى أن الأسلحة الألمانية التي بيعت في اليمن ترجع إلى ما قبل عام ١٩٣٧م.

والمصانع الألمانية لتوريد أسلحة وتجهيزات عسكرية مختلفة، ولكن رغم استعداد هذه الشركات والمصانع، قد منعت الحكومة الألمانية تصدير أسلحة إلى اليمن، وامتنعت حتى عن بيع اليمن أسلحة مستعملة من تلك التي لم تعد تُستخدم في الجيش الألماني، أو مما غنمته ألمانية في بولندة، في بداية الحرب العالمية الثانية، ولا نجد تفسيراً لهذا الموقف - رغم السياسة الخارجية الجديدة لألمانية - إلا فيما أشرنا إليه سابقاً، وهو أن اليمن لم يكن يقع ضمن دائرة الاهتمام الألماني المباشر. فقد ركزت ألمانية اهتمامها في ذلك الحين على الإطار الأوربي الذي عده الحزب النازي المجال الحيوي لألمانية، كما أن وقوع اليمن ضمن مجال نفوذ إيطالية، وهي الحليف الرئيسي لألمانية حينذاك، قد جعل ألمانية ـ كما تعتقد ـ تحرص على عدم مزاحمة حليفها في منطقة نفوذه. ولعل هذا التفسير يساعدنا على فهم الموقف الألماني الرسمي من اليمن برمته، خلال الفترة النازية.

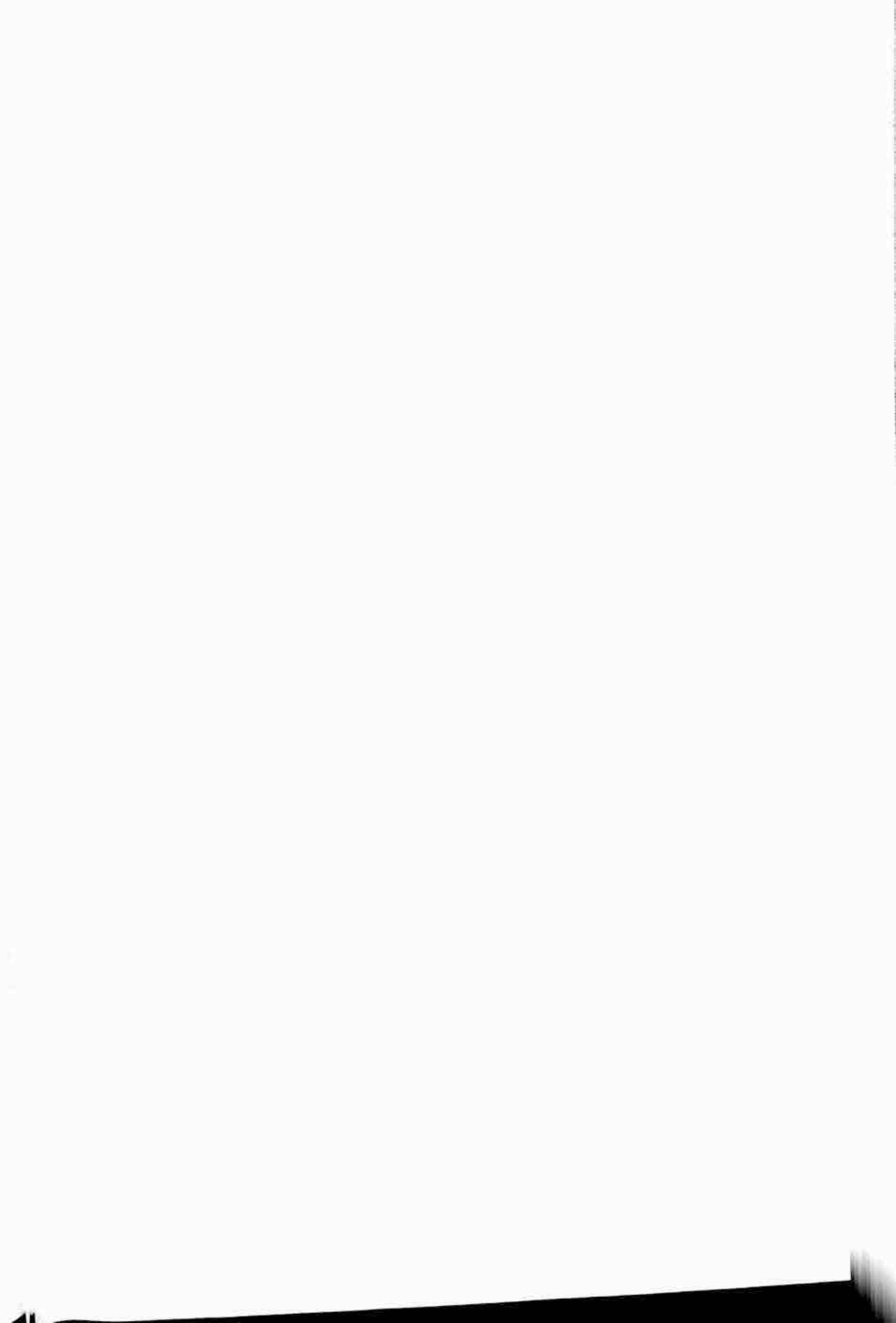
وفي موازاة الاتصالات، ذات الطبيعة السياسية والتجارية، كانت هناك اتصالات من نوع آخر، تتعلق بانضمام اليمن إلى اتحاد البريد العالمي، وتزويد اليمن بخبير ألماني يساعد في إنشاء الخدمات البريدية الحديثة في اليمن، وكذا بطباعة طوابع بريد يمنية في ألمانية، وقد نهض بهذه المهام بشكل رئيس الدكتور (كارل راثينس)، وساعدته في ذلك وزارة الخارجية ووزارة البريد الألمانيتان. وتحقق انضمام اليمن إلى اتحاد البريد العالمي عام ١٩٣٠م، كما قَدِمَ إلى صنعاء مستشار البريد (ستك آيزن) وتمت طباعة طوابع البريد مراراً في مطبعة الدولة الألمانية في برلين.

وعدا عن ذلك، فقد اهتمت ألمانية بتتبع النشاط الأجنبي في اليمن، ولاسيما النشاط البريطاني والروسي والإيطالي، كما اهتمت بعلاقة اليمن بالبلدان العربية، فضمت الوثائق معلومات متناثرة عن الحرب السعودية ـ

اليمنية [١٩٣٤م]، وعن الأطباء المصريين والعراقيين الذين حضروا إلى اليمن لمعالجة الإمام، والاتصالات العربية المتعلقة بإقامة اتحاد عربي، وغير ذلك.

* * *

# في التاريخ والتراث



## علاقة الإمام الشوكاني

## بمدينة ذمار وكبار علمائها[1]..

لعله من نافلة القول التعريف بعلم شامخ من أعلام اليمن، بل العروبة والإسلام في القرن التاسع عشر، هو العلّامة والمجتهد الكبير شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، الصنعاني المولد والنشأة والوفاة (١١٧٣ - ١٢٥٠هـ/ ١٧٦٠ - ١٨٣٤م). فلقد تجاوزت شهرته ودرست مؤلفاته في أنحاء الوطن العربي ووصلت إلى الهند وآسية الوسطى ووفد إليه منها علماء وطلبة للدرس وطلب الإجازة، وبات رئيس قضاة اليمن ومركز الفُتيا في الجزيرة العربية، وشيخ الأساتذة في كل أنحاء اليمن، ولم يكن قد تجاوز العقد الرابع من عمره الذي امتد إلى خمس وسبعين سنة.

كل هذا وغيره أو بعضه معروف عندكم وعند الباحثين والدارسين لعلمه وفقهه وفكره، فقد تجاوزت الدراسات والكتابات الأكاديمية وغير الأكاديمية العشرات من الكتب والأطروحات في اليمن وغيره من البلاد العربية والأوربية. ولم يكتف البعض بدَرسه مفسراً أو فقيهاً أصولياً أو محدثاً، أو مؤرخاً أو حتى أديباً وشاعراً، بل لقد أجاز بعضهم لنفسه مؤخراً الاجتهاد؛ فيصدر دراسة عجيبة بوصف الشوكاني منظراً قحطانياً

---

(١) ورقة مقدمة في احتفالية جامعة ذمار بمناسبة تكريم الأستاذ الكبير محمد عبد الوهاب جباري والقاضي المؤرخ إسماعيل بن علي الأكوع والأخ الأستاذ القاضي عبد الله بن حسين الحلالي وكاتب هذه الأسطريوم الأربعاء ٢٦/٣/٢٠٠٨.

ووهابياً! أو كما جاء في عنوان كاتبه زميلنا الدكتور عبد العزيز المسعودي (وهَّابية الشوكاني!).

واعتبرته الباحثة د. أشواق أحمد غليس مظلة لأفكار حزب الإصلاح في كتابها المعنون (فكر الشوكاني السياسي وأثره المعاصر في اليمن) (التجمع اليمني) نموذجاً وليس من شك بأن تعدد مواهب الإمام الشوكاني وغزارة إنتاجه في مختلف علوم الفقه والحديث والتفسير ومختلف ميادين العلم والمعرفة بمعناها الموسوعي الشامل المحيط جعله محط دراسة وبحث كثير، من المختصين وغيرهم من الهواة الباحثين عن الشهرة!

لقد جالد الإمام في معترك السياسة والحياة العامة خصوم (الاجتهاد) والتجديد، في ميادين الفكر العربي الإسلامي الرحبة، أولئك أعداء الحرية والتقدم في كل عصر، من متلبسين بالسياسة ومتدرعين بالمذهبية الصّماء والتقليد العقيم، وغيرهم من المتعصبين بجهالة أو بغير جهالة، ولهؤلاء يقول الإمام:

فلا خيرَ في عِلْمٍ يَضِلُّ عن الهُدى ... ويَجْـذب أهْـلِيه إلى الـعَـصَـبـيَّة
وفي الجَهل عن بَعْضِ المَعارف راحةٌ ... إذا لَم تَقُدْ أربَابها نَحو نِـصْـفَـة[1]

وفي بعض ما تقدم القول، فقد سبق لي الإسهام بكل تواضع - كغيري - ممن اجتهد، فوضعت عن علّامتنا الشوكاني رسالة دكتوراه في جامعة دُرم في بريطانية أنهيتها عام ١٩٨٢، ونشرت كتاباً مطبوعاً بالعربية بعنوان (الإمام الشوكاني رائد عصره - دراسة في فقهه وفكره -) بالإضافة إلى تحقيق ونشر ديوان شعره وكتابه التوفيقي الكبير (در السحابة في مناقب القربة والصحابة)، وكذلك تحقيق وإعادة نشر كتابه الفريد في التراجم عن الأصل بخطه (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع)، إلى غير ذلك

(١) ديوانه، بتحقيق الكاتب، ط٢، ١٠٢-١٠٥، ص١١.

من التحقيقات والأبحاث التي يمكن الإحالة إليها - دون الإطالة هنا عليكم -!.

* * *

وفي هذه المناسبة العزيزة التي تحتضنها جامعة ذمار الفتية احتفاء بأحد أبنائها اللامعين في الاقتصاد والسياسة والحياة العامة، بل ممن كان لهم نصيب وافر مشهود له في الجمع بين علوم الأوائل الذين كان الإمام الشوكاني آخر أهم أعلامهم، وبين ثقافة العصر الحديث وتيارات الفكر العربية والغربية منذ النصف الثاني للقرن العشرين، أعني به أستاذنا الجليل الأخ الصديق محمد بن عبد الوهاب جباري الذي أعترف بفضله الشخصي وأستاذيته منذ تلقيت على يديه دروساً أولى في تعز صيف عام ١٩٥٧، ساعدتني في الالتحاق بالمدرسة بعد ذلك في مصر، وامتدت علاقات التتلمذ والاسترشاد ثم الزمالة بعد ذلك سنوات الدراسة في مصر، ونمت بعدها علاقات الأخوة في معترك الحياة والعمل طيلة ما مضى لأكثر من أربعة عقود.

إنني - اليوم - وبهذه المناسبة لا أحب أن أتحدث فأطيل عن علامتنا الشوكاني، بل وجدت أنه سيكون قريباً لمثل من تكرمهم هذه الجامعة من أبناء مدينتها أن أختار نبذاً من علاقات شيخ الإسلام بعلماء هذه المدينة العريقة، التي زخرت وعبر القرون بأعلام كبار في مختلف حقول العلم والأدب والمعرفة والسياسة حتى اليوم.

* * *

معلوم ذلك التواصل والتتلمذ بين مختلف علماء المدن اليمنية، بل وبين مختلف علماء المدرستين الكبيرتين الزيدية والشافعية، وسنقصر الحديث هنا على صنعاء وذمار، وعلى وجه الحصر علاقة الإمام الشوكاني ببعض علماء ذمار شيوخاً أو تلاميذ من معاصريه الذين ارتبط بهم علماً وصداقة، وسجل ذلك باعتزاز وموضوعية في تراجمه عنهم في

(البدر الطالع) أو ديوان شعر (أسلاك الجوهر) أو غيرهما. ويأتي في طليعتهم العلامة الكبير أحمد بن محمد القابلي الحرازي (١١٥٨ - ... هـ/ ١٧٤٥م .. ) الذماري المولد والنشأة، حيث تتلمذ بها على العالمين المشهورين عبد القادر الشويطر والحسين بن يحيى الديلمي، وارتحل في شبابه إلى مدينة صنعاء فاتصل بجماعة من كبار علمائها وبرّز في مختلف العلوم، وبات شيخ شيوخ الفروع بلا مدافع، وصارت تلامذته شيوخاً ومفتين وحكاماً، وتفرد في معرفة الفقه، ويرى الشوكاني (.. بأنه لم يبق له - الآن - نظير لا في صنعاء ولا في ذمار..).

أما علاقته به فقد ذكر بأنه لازمه «في الفروع نحو ثلاث عشرة سنة»، ويضيف: «وانتفعت به وتخرجت عليه.. وكانت هذه القراءة قراءة بحث وإتقان وتحرير وتقرير..». وقد كتب الشوكاني ترجمة شيخه في أوج علمه، فوصفه بعاطفة صادقة «على قدرة على حسن التعبير وجودة التصوير مع فصاحة لسان، ورجاحة عقل وجمال صورة، ووفور حظ عند جميع الخلق، لا ترد له شفاعة ولا يكسر له جاه..» وقد استمر كذلك «.. وأحواله جميلة وغالب حركاته جليلة..» حتى مات سنة ١٢٢٧ هـ/ .. م، وقبل وفاة العلامة الحرازي هذا بسبع سنوات بصنعاء كان قد عاد إليها من ذمار شيخه العلامة الحسين بن يحيى الديلمي (١١٤٩ - .. هـ/ ١٧٣٦ - ..م) الذي سبق له التتلمذ بصنعاء على العلامة محمد بن إسماعيل الأمير وغيره، وفي رحلته العلمية الثانية هذه رافق الشوكاني في القراءة على شيخه العلامة الحسن المغربي، وأقرأ الطلبة في الفقه بجامع صنعاء، وإذ كان قد عزم على استيطان صنعاء، رجح العودة إلى ذمار. ويذكر زميله وصديقه الشوكاني بأنه بعد عوده إليها بات «.. عالمها المرجوع إليه المتفرد بها دون مدافع..».

ثم يشرح علاقتهما ومراسلاتهما المستمرة في مختلف المباحث العلمية والأدبية. بيد أن أمراً عكّر لوقت قصير تلك العلاقة حين بلغ الشوكاني أن

صديقه العلامة كان فيمن رد على رسالته (إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صَحب النبي)، ولم يكن في إجابة جماعة من الرافضة بصنعاء «إلا محض السّباب والمشاتمة والنقل عن الإمامية والجارودية..». وتبين فيما بعد للشوكاني بعد اطلاعه على ما كتبه الديلمي بأنه - كما ذكر «لم يبعد عن الحق ولكنه قد أثار فتنة بجوابه لظن العامة ومن شابههم أن مثل هذا العالم الذي لي من المحبين لا يجيب إلّا وما فعلته مخالف للصواب.. ثم إنه عافاه الله اعتذر إليّ مرات، ولم أشتغل بجواب على غيره..»[1].

وهكذا عادت الأمور إلى مجراها في التواصل العلمي والأدبي والتشوق للقاء، فكتب الشوكاني مرة إليه قائلاً:

ألا بلغا عني الحسين بأنني لرؤيته صادٍ مشوق متَيَّمُ
لعلّ إله الخلق يجمع بيننا على ما نشا فيما يشا فهو أكرمُ

ولقد تحقق أمل اللقاء، ففي عام ١٢٢٥ هـ/ ١٨١٠م؛ اصطحب المتوكل أحمد بن المنصور علي الإمام الشوكاني في جلوة - شبه حربية - امتدت إلى اليمن الأسفل، وفي ذمار نزل ضيفاً عند صديقه لمدة شهرين كانا خلالها يدرسان علوم الحديث والفقه ويلتقيان بكبار العلماء والأدباء..

وقد عُمر الحسين الديلمي وتوفي قبل وفاة الشوكاني بستة أشهر في عام ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٦ م بعد أن ناف عن المئة بسنة[2].

وخلال إقامة الإمام الشوكاني لدى صديقه كان ابنه اللامع عبد الوهاب بن حسين ملازماً له طيلة الشهرين ليلاً ونهاراً وذلك «لمحل الصداقة بيني وبين والده ولكوني نزلت في بيتهم، فسمع علي أوائل كتب لا أحصي عددها ولا أذكر أسماءها الآن لكثرتها، واستفاد بالمذاكرة

---

(١) البدر الطالع بتحقيقنا (٢٤٦).

(٢) البدر الطالع (٢٤٨).

والمباحثة شيئاً كثيراً وصار في مدينة ذمار - مع حدث سنه - مرجعاً في العلوم حتى علم الطب فإن له اليد الطولى..»[١].

وقد قام الشوكاني برحلة ثانية مع الإمام المتوكل سنة ١٢٢٦ هـ/ ١٨١١ م، ومكث في ذمار فلازمه عبد الوهاب بن حسين ليلاً ونهاراً وأثنى على علمه، وذكر له شعراً جيداً. ويبدو أنه انطوى بعد ذلك بسنوات على نفسه فذكر الشَّجني تلميذ الشوكاني العالم الذماري في كتابه التقصار بأنه انتحر بسكين في سنة ١٢٣٥ هـ/ ١٨٢٠ م، ولم يكن قد تجاوز الخامسة والثلاثين من عمره، إذ إنه من مواليد سنة ١٢٠٠ هـ/ ١٧٨٥ م.

وكم هو الحديث شيقاً ومفيداً لو تتبعنا أعلاماً آخرين أمثال القاضي العالم إسماعيل بن يحيى الصديق الصعدي ثم الذماري والحسن بن قاسم المجاهد القاضي العلامة الذكي، وشيخ الفروع ومحققها القاضي العلامة عبد الرحمن بن الحسن الأكوع تلميذ علماء ذمار وشيخ الشوكاني وغيره بصنعاء، والقاسم بن أحمد لقمان تلميذ الشوكاني في صنعاء بعد ذمار والذي كان مفرط الذكاء سريع الفهم، استفاد بدرايته أكثر مما استفاد بروايته، ونظم الشعر الفائق وطارح به جماعة من الشعراء بعد أن استقر بصنعاء وأضرب عن العود إلى وطنه ذمار[٢] كما يذكر الشوكاني.

ومن أولئك العلماء المبرزين والأدباء المجيدين المعاصرين من آل الشجري السحولي وغيرهم كثيرون، غير أنني أقف في الأخير عند - ترجمة صادقة ظريفة متحررة لأديب شاعر ذماري المولد والنشأة قبل أن يرتحل إلى صنعاء وبها يستقر، ذلكم هو الفقيه الشاعر محمد بن حسين دُلامة (١١٥٠ - ١٢٠٩ هـ/ .. - ١٧٩٤ هـ) معاصر الإمام الشوكاني وصديقه الذي وصفه بأنه كان «حسن المحاضرة دقيق الحاشية وكثير الميل

---

(١) نفسه ٤١١.

(٢) البدر الطالع (٥٥١).

إلى الصور الحسان مع عفة ونزاهة، بحيث أنه قد ناهز الستين، وهو كالشباب في الغرام، وكابن الثمانين في الهرم وضعف البنية، ويغلب على الظن أنه مات عشقاً! فإنه كان قبل موته يهيم ببعض الملاح، ثم أخبرنا من كان يتردد إليه في مرض موته بأوصاف لذلك المرض يقوي ما ذكرناه - والله أعلم!». ويضيف الشوكاني بأن صاحبه هذا كان قليل ذات اليد، ويتعجبه من تسلط الغرام عليه مع ضعف البدن وكثرة الأمراض ومزيد الفقر وعلو السن! ويزيد بشفافية - بلغة اليوم - فيذكر بأنه كان يمازحه قبل تحريره لهذه الترجمة بأكثر من خمس سنوات بأنه سيكتب ما صار فيه من مكابدة غرام بعد غرام وهُيام بعد هُيام، فكان يأذن بذلك مؤكداً بأنه لو علم أنه يكره ذلك ما ذكره.

وحين تولى الإمام الشوكاني القضاء الأكبر سنة ١٢٠٩ هـ/ ١٧٩٤ م نظم قصيدة عصماء يمدح فيها اختيار الشوكاني للقضاء، واصفاً علمه وأدبه وفضله وجلال قدره، ومنها:

أقسمت ما في الورى شخصٌ يماثله ... من ذا يماثل بدر التمّ إذ كملا
إن خاض بحر علوم خاض منفرداً ... في لجّ بحر رسَت في لجّه النُّبلا
أو خاض في لجة الآداب فهو لها ... ما الأصمعيُّ وما مرداس وابنُ جَلا
لا يُصدرُ الحكم إلا عن مُشاورةٍ ... كيما يكون غداً في حزب من عدلا

ولقد كان الإمام الشوكاني كذلك، وقد توفي صاحبه الهائم الدائم في نفس العام فحزن عليه متعزياً بأنه خلف عالماً «ذو همة عالية، ونفس شريفة، وطباع ظريفة، ومناقب منيفة..»[1]. وقد قرأ وتتلمذ على صديق والده شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني.

---

(١) البدر الطالع ٦٧٨ - ٦٨٠.

## قراءات مراجعات

عرض لرسالة: المصطلحات الدينية في (شمس العلوم)

لـ(نشوان الحميري) - دراسة دلالية

حصل الباحث محمد زين الله الأكسر عضو هيئة التدريس بجامعة صنعاء وموفد الجامعة إلى جامعة عين شمس على درجة الماجستير في علوم اللغة من قسم اللغة العربية بكلية التربية جامعة عين شمس بتقدير (امتياز)، وذلك عن رسالته العلمية الموسومة بـ(المصطلحات الدينية في (شمس العلوم)؛ لـ(نشوان الحميري) دراسة دلالية، وذلك في تاريخ ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٥م، وقد أشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، أستاذ ورئيس قسم أصول اللغة بكلية اللغة العربية (القاهرة) جامعة الأزهر، والأستاذ الدكتور محمد إبراهيم عبد الرحمن، أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية التربية جامعة عين شمس.

**وتكونت لجنة الحكم والمناقشة من السادة:**

١- أ. د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، أستاذ ورئيس قسم أصول اللغة بكلية اللغة العربية (القاهرة) جامعة الأزهر، (رئيساً مشاركاً).

٢- أ. د. محمد إبراهيم عبد الرحمن، أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية التربية جامعة عين شمس، (مشرفاً مشاركاً).

٣- أ. د. سعيد البحيري، أستاذ ووكيل كلية الألسن جامعة عين شمس. (عضواً).

٤- أ. د. مصطفى زكي التوني، أستاذ اللغويات بقسم اللغة العربية كلية التربية جامعة عين شمس، (عضواً).

وقد قررت اللجنة بعد المناقشة العلنية للباحث بالإجماع منح الرسالة (امتياز).

* * *

**وتهدف الدراسة إلى:**

- فهم طبيعة التطور الدلالي الذي لحق بالألفاظ الدينية عند انتقالها من محيط اللغة العام، واستقرارها كمصطلحات دينية.

- ضبط المصطلحات الدينية من خلال إيرادها في حقول دلالية توضح أهم السمات التي يتمتع بها كل مصطلح.

- أن تكون خطوة في طريق وضع معجم دلالي لمصطلحات اللغة الدينية.

- إبراز الجهد الدلالي لعالم لغوي فذ، هو نشوان بن سعيد الحميري (٥٧٣هـ - ١١٧٨م) من خلال ما ورد عنده من مصطلحات دينية.

**خطة البحث:**

قسمت الدراسة إلى بابين يتضمنان أحد عشر فصلاً، يسبقهما مقدمة وتمهيد وتتلوهما خاتمة.

المقدمة: وفيها عرف الباحث بموضوع البحث وأهميته والهدف منه، وأهم الصعوبات التي واجهته وكيف تغلب عليها.

**التمهيد:**

عرّف فيه الباحث بنشوان الحميري وبمؤلفه (شمس العلوم).

الباب الأول - وعنوانه (المصطلح الديني والدلالة):

ويمثل الدراسة النظرية واحتوى على أربعة فصول:

الفصل الأول - المصطلح الديني وعلم المصطلح:

وخصص هذا الفصل للحديث عن نظرية المصطلح الحديث وبيان مدى الاهتمام الدولي بوضع معايير لجودة المصطلحات وإنشاء هيئات لهذا الغرض، ومدى إمكانية تطبيق هذه النظرية على المصطلحات الدينية.

وعرّف الباحث في هذا الفصل بالمصطلح الديني وتاريخ نشأته وتطوره، وسمات المصطلح وشروطه، ووسائل تكوين المصطلح الديني.

أما الفصل الثاني - فقد خصص للحديث عن المصطلح الديني والدلالة:

وتحدث فيه الباحث عن علم الدلالة ونشأته وتطوره، وعن العلاقة بين المصطلح الديني وكل من نظرية المجال الدلالي والتحليل التكويني للمعنى ونظرية السياق، وأيضاً تعرض الباحث في هذا الفصل لجانب المصطلح الديني والعلاقات الدلالية.

أما الفصل الثالث - فكان موضوعه (الأصوليون والبحث الدلالي):

عرض فيه الباحث الجهد الدلالي للأصوليين ودوافعهم إلى البحث الدلالي، ومظاهر عنايتهم به، ومحددات المعنى عندهم، والتقسيمات المحكمة للألفاظ لديهم.

والفصل الرابع - خُصص للحديث عن المصطلح الديني والتطور الدلالي:

وناقش فيه الباحث مفهوم التطور الدلالي وأسبابه ومظاهره التي يمكن أن يخضع لها المصطلح الديني.

الباب الثاني - (المجالات الدلالية): وهي عبارة عن الدراسة التطبيقية على المصطلحات الدينية في شمس العلوم، وبه سبعة فصول:

الفصل الأول - المصطلحات العقديّة ويشمل ألفاظ العقيدة العامة وألفاظ الفرق والمذاهب الإسلامية.

الفصل الثاني - وخُصص للمصطلحات الدالة على العبادات وملحقاتها من طهارة وصلاة وزكاة وصوم وحج وما يلحق بهذه العبادات.

الفصل الثالث - وخصص للمصطلحات الدالة على المعاملات العامة، والبيوع المنهي عنها، والدين وملحقاته، وقضايا البيع والشركات.

الفصل الرابع - خصصه الباحث للمصطلحات الدالة على الزواج والطلاق ونظام الأسرة في الإسلام.

الفصل الخامس - يتعلق بالعقوبات: مثل مصلطحات العقوبات العامة، ومصطلحات الحدود، ومصطلحات الديات، ومصطلحات الأيمان وكفاراتها.

الفصل السادس - تحدث فيه الباحث عن مصطلحات المواريث والجهاد والأطعمة.

الفصل السابع - الأخلاق بقسميها الأخلاق المحمودة والأخلاق المذمومة.

**منهج البحث:**

وقد قام الباحث بتقسيم هذه المصطلحات تبعاً لنظرية المجال الدلالي إلى مجالات دلالية عامة تتمثل في الفصول، ثم إلى مجالات دلالية أصغر تتمثل في المباحث والمجموعات، ثم التناول الدلالي لكل مصطلح داخل مجموعته، والتأصيل له معتمداً على المعاجم العامة، وتتبع الدلالة الاصطلاحية من كتب المصطلحات والتفاسير وكتب الغريب وكتب الأخلاق والفرق والمذاهب.

ثم توضيح علاقة اللفظ بغيره من الألفاظ داخل مجموعته؛ موضحاً السمات المشتركة والمميزة له من غيره، ورصد التطور الدلالي الذي حدث له إلى أن دخل مجال المصطلح الديني، والعلاقات الدلالية بين بقية الألفاظ، وعمل جدولاً بيانياً يوضح تلك السمات في نهاية كل مبحث أو مجموعة.

وكذلك تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي استشهد بها الباحث وتخريج الأبيات الشعرية بعزوها لدواوين الشعراء واكتفى الباحث من شمس العلوم بما يخدم الدلالة، وترك ما خاض فيه من مسائل فقهية لا أثر لها في توجيه الدلالة.

**وقد خرجت الدراسة بعدد من النتائج من أهمها:**

- عدم تأثر نشوان الحميري بفكر المعتزلة في تناوله لأغلب المصطلحات الواردة عنده بدليل استشهاده بأقوال أئمة المذاهب الأربعة، ولكنه تأثر بعض الشيء عند عرضه لبعض ألفاظ العقيدة، وهذا يرجح كونه زيدي المذهب؛ لأن كثيراً من الزيدية تأخذ بآراء المعتزلة في الأصول، وبآراء الحنفية في الفروع.

- يمثل شمس العلوم بما حواه من مصطلحات فقهية ودينية موسوعة تجعل منه إلى جانب دوره اللغوي معجماً اصطلاحياً.

- كان للمجاز بعلاقاته المختلفة من مجاورة وسببية ومشابهة دور كبير في نقل دلالات كثيرة من الألفاظ إلى مجال الحقل الديني.

- انتقلت أكثر المصطلحات إلى الحقل الديني عن طريق تخصيص الدلالة.

- أهمل نشوان ذكر دلالة كثير من الألفاظ كالصلاة والزكاة وغيرها اعتماداً على شهرتها.

- وجود فجوات معجمية تمثلت في غياب بعض الألفاظ، مثل ابن السبيل والمسكين.

- تؤثر الدلالة اللغوية أحياناً في الحكم الشرعي، كما هو الحال في مصطلح المماسة في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢/٢٣٧] فمن يراها القرب والمداناة يوجب للمرأة المهر بمجرد إسدال الأستار ولو لم يجامع، وهو أبو حنيفة، ومن يراها الوطء يقول إنه لا يجب لها كامل المهر إلّا بالجماع.

- يجيء الاشتراك الاصطلاحي أحياناً من اختلاف المجال الدلالي، كما في مصطلح الإمامة ومصطلح الشنق.

- يبرز دور المقاصد الشرعية في تحديد الدلالة الاصطلاحية - كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٢/٢٩] إذ دل المراد على الطواف الركن وهو طواف الإفاضة.

- دخول ما جاء من معان جديدة تعارف عليها الفقهاء وغيرهم من الشرعيين تحت مسمى المصطلح الشرعي، وإن لم تكن من وضع الشارع نفسه؛ لأنه رُجِعَ فيها إلى ما جاء به الإسلام.

- نشأ الارتباط بين المصطلح الفقهي وعلم المصطلح على أيدي المعجميين من الفقهاء الذين أفردوا مؤلفات خاصة تشرح ألفاظ الفقهاء الواردة في كتبهم ومدوناتهم وتيسر على الطلبة معرفة معانيها.

- كانت أهم المراحل في تاريخ المصطلح الديني هي المرحلة الثالثة، مع بداية العصر العباسي.

- فكرة الاتفاق في وضع المصطلح الديني تتعلق بالتداول والاستخدام لا بالوضع الأولي.

- كثير من المصطلحات الدينية أصبحت ثابتة وغير قابلة للتطور، بعد انتقالها إلى حقل المجال الديني.

- قلة المصطلحات الدينية المركبة في شمس العلوم مقارنة بالمصطلحات المفردة.

- ميل الشريعة إلى الوضوح كان عاملاً قوياً نحو البعد عن التعميم الدلالي والاتجاه إلى التخصيص؛ لأن ذلك يتناسب مع التصاقها بحياة الناس.

هذا وقد طبع سفر (شمس العلوم) في اثني عشر مجلداً بتحقيق الأساتذة الدكتور حسين بن عبد الله العَمري، مطهر علي الإرياني والدكتور يوسف محمد عبد الله، وصدر عن دار الفكر، بيروت ١٩٩٩م.

# قراءات ومراجعات

# العلاقة اليمنية الخليجية

## انضمام اليمن إلى دول مجلس التعاون الخليجي

نال الباحث حسين أحمد علي بركات درجة الماجستير من الجامعة الأردنية بتاريخ ٤/٤/٢٠٠٥م بعنوان (العلاقات اليمنية الخليجية): انضمام اليمن إلى دول مجلس التعاون الخليجي.

وتقع الرسالة في خمسة فصول ومقدمة، وتحت كل فصل مبحثان، وفي الأخير ما أسماه «الاستنتاجات والتوصيات» وهي كما يلي:

### استنتاجات وتوصيات:

تعرفنا في الجانب التاريخي على أهم المحطات التي ألقت بظلالها على العلاقة اليمنية الخليجية بسب النزاعات الحدودية ومخاوف تصدير الأفكار اليسارية التي كان يتبناها جنوب اليمن. كما أدت المتغيرات التي شهدتها المنطقة في نهاية عقد السبعينات والمتمثلة في مخرجات الثورة الإيرانية، ومحاولات تسويق أفكارها إلى دور الجوار الخليجي، وأدى تطابق المصالح بين أطراف إقليمية ودولية إلى إشعال حرب الخليج الأولى التي استهدفت ضرب عصفورين بحجر واحد، وتمثلت أهدافها في إيقاف مخاطر تصدير الأفكار الثورية الإيرانية ووضع حد للطموح العراقي في لعب دور قيادي في المنطقة العربية بعد خروج مصر من حلقة

التفاعلات عقب كامب ديفيد، وكانت الظروف مواتية لهيمنة سعودية في تفاعلات النظام العربي، ولأنها لا تستطيع القيام بذلك منفردة في ظل ارتباط مصالح القوى الدولية الواسعة في المنطقة، لذا جاء تشكيل ما يعرف بمجلس التعاون لدول الخليج العربية في ١٩٨١م ليجسد مصالح النخب المحلية والخارجية، وبقدر ما كان مؤهلاً في أن يكون النواة الأولى لتوحيد الصف العربي بقدر ما عمق الانشقاق أكثر مما كان عليه، حيث تم استبعاد دول الجوار من عضوية هذا النظام الإقليمي، ودفع بالدول المستبعدة ومنها اليمن بشطريه إلى محاولة الخروج من العزلة المفروضة عليها، وكان ميلاد ما عُرف بمجلس التعاون العربي، الذي ضم اليمن ومصر والأردن والعراق، وهو ما عمق الخلافات العربية التي أفرزت حرب الخليج الثانية، التي لا زالت تلقي بظلالها على العلاقات العربية ـ العربية إلى يومنا هذا، وساعد على ذلك غياب ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي عن ساحة التوازنات العالمية، ودعم انفراد الولايات المتحدة بالهيمنة العالمية، وقاد إلى سلسلة حروب خفية بين النظم الإقليمية العربية وزج بها في فخ التآمر بعضها على بعض بما يخدم الهيمنة في العالم ويحمي مصالحها أكثر وأكثر من ذلك محاولات تمزيق اليمن وإعادة تشطيره، وتغذية النزاعات الحدودية، وتنمية النعرات الطائفية، وبعد أحداث أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م التي مهدت الطريق للتحكم بمستقبل المنطقة أكثر من أي وقت مضى، وظهرت بوادر خلافات بين بعض الدول الخليجية والولايات المتحدة واتهام الأخيرة بتغذية وتمويل الإرهاب، وهو ما دفع إلى التدخل في شؤون دول المنطقة أكثر من أي وقت مضى، وحث على ضرورة إجراء تنسيق بين دول منطقة الخليج واليمن خاصة بقبول اليمن في بعض مؤسسات المجلس، وبررت ذلك القرار بالدور المتنامي لليمن في حفظ الأمن في المنطقة، وهو ما حرك عديداً من مراكز البحوث والدراسات إلى محاولة تفسير هذا القرار والتحول التاريخي في

علاقة اليمن بالدول الخليجية، الذي عكس حقيقة العلاقة اليمنية الخليجية وما ارتبط بها من توترات سابقة، ما زالت بعض معالمها ولم تختف، وما دعم بعض التفسيرات عن ضوء أمريكي بتفعيل التعاون بين دول المجلس الخليجي واليمن.

لقد مكنت أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر القوى الإمبريالية من تحقيق أهدافها وأشعلت الحروب في أماكن مختلفة من العالم متسترّة بما يعرف (بمسمار جحا) أو (قميص عثمان) وانتهى بها الأمر لاحتلال العراق للسيطرة على منابع النفط متذرعة بوهم أسلحة الدمار الشامل العراقية، التي ثبت عدم وجودها، وتحولت المبررات لملاحقة قادة تنظيم القاعدة.

أحدث تغيير أنظمة الحكم في الدول العربية والتي وجدت صدى واسعاً منذ المطالبة بتغيير الرئيس عرفات والحصار المفروض عليه حتى مات، وتغيير نظام الحكم في العراق، بل والقبض على أركان النظام فيه تمهيداً لمحاكمتهم، من قبل بعض قوى المعارضة واللاجئين السياسيين في الدول الغربية، وإحلالهم بدلاً من الأنظمة والزعامات العربية الموجودة، أحدث كل ذلك هزة عنيفة داخل الأنظمة العربية، ودفع بها إلى معاجلة مشاكلها مع المعارضة، وفتح المجال لبعض الإصلاحات السياسية، وما تجربة الانتخابات المحلية وتعديل المناهج التعليمية في الدول الخليجية خاصة والعربية عامة، إلا دليل على الاستجابة لتلك الضغوط.

انتهت الدراسة إلى أن الخلافات العربية ـ العربية، تنمو وتتعمق عندما تغذى من قبل القوى الدولية، وتنهار العلاقات المحلية على مستوى الدولة الواحدة إذا ما تم تغذيتها خارجياً. وفي هذا الجانب خلصت الدراسة إلى أن دور العوامل الخارجية المؤثرة في مؤامرة الانفصال والحرب اليمنية ـ اليمنية في صيف ١٩٩٤م، لا تقل خطورة عن العوامل

الداخلية والتي تتراجع عندما تنكشف خطورة العوامل الخارجية المؤججة للخلاف والنزاع، وتحولها إلى موقف معادٍ للضغوط الخارجية. وهنا يتساءل الباحث عن إمكانية تحقق النتيجة ذاتها في العراق، ومع فارق القياس يمكن لتلك النتيجة أن تتحقق إذا ما كان فيها مصلحة للولايات المتحدة، فالظروف الدولية والموقف الأمريكي من حرب الانفصال كان يرى أن من مصلحته القضاء على آخر معاقل الشيوعية في اليمن، وهو ما دفعها لتخفيف الهجوم الخليجي المندفع نحو الانفصال، حيث لم يكن من مصلحتها ذلك لما سيجلبه من تداعيات مع دول الجوار الخليجي، فالرؤية الأمريكية كانت أبعد من أحقاد بعض دول الخليج.

انتهت الدراسة إلى أهمية مراكز البحوث الغربية والإسرائيلية، التي بدت واضحةً في مخرجات السياسة الأمريكية تجاه دول المنطقة، ونجاحها في خلق رأي عام معادٍ للإسلام والعرب، بعد أن أوجدت المبررات الكافية لحالة العداء، باعتبار الإسلام هو العدو الجديد بعد الانتصار على الشيوعية.

كانت الحكومة اليمنية تطمح إلى وضع أفضل مما خرج به قرار القمة الخليجية في دورته الثانية والعشرين في مسقط ٢٠٠١م، إذ كانت تأمل في الحصول على العضوية الكاملة، وكانت الجهود التي بذلتها السلطة اليمنية قبيل انعقاد القمة تصب في هذا الاتجاه، ولهذا بدا الترحيب اليمني بقرار القمة بارداً. ويبدو أن اشتراطات متبادلة قد تم الاتفاق عليها في اللحظات الأخيرة، فقدمت لليمن ضمانات بأن الانضمام الجزئي مرحلة أولية يعقبها مزيد من المراحل التي ستؤدي في نهاية المطاف إلى الانضمام الكلي، حيث أكدت التسريبات بأن الدول الخليجية اشترطت في المقابل على الحكومة اليمنية إجراء تغييرات سياسية واقتصادية وأمنية تسبق حصول اليمن على العضوية الكاملة في دول المجلس، وتشترط لتحقيق الانضمام

الكلي إليها أن يكون هناك تقارب ولو بشكل جزئي في النواحي الاقتصادية والسياسية والأمنية، حيث يشهد الطرفان تبايناً في تلك المحاور، وإذا ما صح أن السلطة اليمنية وافقت على هذه الاشتراطات فإن التغيير في القوانين اليمنية سيكون مرهقاً وشاقاً، ويحتاج إلى فترة زمنية قد لا تكون قصيرة، ومع أن الاحتمالات تظل مفتوحة فإن المؤشرات القائمة تدل على أن خيار انضمام اليمن إلى مجلس التعاون الخليجي هو الأكثر ترحيباً، غير أن ذلك يظل مربوطاً بالآتي:

١- وجود إرادة سياسية تدفع بهذا الاتجاه، خاصة من قبل الدول الخليجية عامة، والقيادة السعودية بشكل خاص.

٢- تبني الحكومة اليمنية لعملية تغيير في بعض قوانينها وسياستها وخاصة في الجانب الاقتصادي بحيث يتم تأهيل الاقتصاد اليمني لمتطلبات المرحلة القادمة مع ضرورة الإدراك بأن عملية التغيير السابقة ستكون شاقة، وهنا ينبغي الإشارة إلى أن السلطة اليمنية إذا ما أقدمت على اختيار المجال الأسهل للتغيير (الجانب السياسي) فإن ذلك لن يكون في صالح العلاقات اليمنية - الخليجية في المدى الطويل.

٣- أن لا يستجد متغير إقليمي أو دولي يحمل مضامين سلبية على علاقة اليمن بالدول الخليجية وبشكل خاص على العلاقات اليمنية السعودية.

**التوصيات:**

يوصي الباحث حكومة الجمهورية اليمنية بسرعة اتخاذ الإجراءات الكفيلة بانضمامها لمنطقة الجات، حتى تتمكن من الإفادة من المزايا التي تتمتع بها الدول الأعضاء، ومنها تسويق منتجاتها الزراعية لدول مجلس التعاون الخليجي الأعضاء في ذات المنطقة، والتي تفرض حظراً على

منتجاتها الزراعية وحتى تواجه سياسة الإغراق الخليجي التي تمارس ضد اليمن.

يوصي الباحث حكومة الجمهورية اليمنية بالعمل الجاد ضد غول الفساد المستشري في مختلف مؤسسات الدولة، لتتمكن من النهوض بقوة توازي حجمها الطبيعي في المنطقة وتستغل كل مقدراتها.

يوصي الباحث حكومة الجمهورية اليمنية بالعمل على تفعيل نشاط تجمع صنعاء، وهو ما يهيئ لها لعب دور إقليمي في المنطقة، ويلقي ترحيباً دولياً والعمل الجاد على أن يضم هذا التجمع كلاً من الصومال وإريترية، وهو ما يضمن أن تكون مخرجات هذا التنظيم أكثر نفعاً لدوله بحيث يكون بعيداً عن الهواجس التي أثارها البعض، كتلك التي ما زال يعاني منها مجلس التعاون الخليجي.

يوصي الباحث بضرورة تفعيل دور جامعة الدول العربية وتنشيط مؤسساتها بما يخدم الدول الأعضاء، وفق المتغيرات الراهنة التي تهدد ليس بابتلاع العراق وحسب وإنما كل دول المنطقة الواحدة تلو الأخرى. ويدعو الباحث حكومة الجمهورية اليمنية وكافة الحكومات العربية المنفتحة، إلى التمسك بما حققته في جانب المشاركة الشعبية وتحقيق المزيد في هذا الجانب، ويوصي بإجراء عمليات الإصلاح من الداخل قبل أن تفرض عليها من الخارج، وهو ما ينذر بنتائج لا تُحمد عقباها، ويدعوها إلى رفض كافة أشكال المخططات الأمريكية المتعلقة بمستقبل التعاون في المنطقة، التي تستهدف طمس الهوية العربية والإسلامية.



# الجهود العلمية اليمنية والسعودية في تحقيق المخطوطات وإحياء التراث العربي والإسلامي[١]

تسعى هذه الورقة للتعريف بالجهود الرائدة التي قام بها عدد من العلماء والمحققين في كل من المملكة العربية السعودية والجمهورية اليمنية، والتي نمت في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي وبات لها أعلام، لعل من أبرزهم صاحب اليمامة علامة الجزيرة المرحوم الشيخ حَمد الجاسر (ت ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م) ومعاصريه في اليمن العالمين المحققين الأخوين المرحوم محمد بن علي الأكوع وشقيقه المعمر القاضي إسماعيل بن علي الأكوع وآخرين باحثين ومؤرخين ومحققين كثيرين؛ أمثال العالمين الراحلين القاضي إسماعيل بن أحمد الجرافي وزميله السيد علي بن إسماعيل المؤيد والأستاذين عبد الله الحبشي وعبد الله محيرز وآخرين مخضرمين لهم اهتمام خاص بنشر كُتب التراث وفهرست مكتباته الخاصة في اليمن أمثال الأستاذ عبد السلام الوجيه والأستاذ إبراهيم المقحفي الذي له بعض التحقيقات وأصدر معجم بلدان اليمن والقبائل اليمنية في مجلدين كبيرين أوسع من كتاب العلامة الكبير القاضي محمد الحجري الذي حمل نفس العنوان.

لقد كان من المعلوم سبق المستشرقين في الغرب ومنذُ وقت مبكر في

---

(١) ورقة قدمت ضمن برنامج الفعاليات العلمية الثقافية للجامعات اليمنية في رحاب الجامعات السعودية (٢٣ - ٢٧ شباط/ فبراير ٢٠٠٨م).

الاهتمام بالتراث العربي المخطوط، ومن ثم القيام بجمعه وتحقيقه ونشره، واستفاد من ذلك علماء النهضة العربية الحديثة والمستنيرون في مصر والعراق وبلاد الشام أولاً منذ عصر محمد علي باشا (١٨٠٥ - ١٨٤٨ م)، وما تلاه حتى مطلع القرن العشرين الذي تأسست فيه أوائل الجامعات ودور الكُتب (المخطوطات) وانتشرت المطابع ودور النشر الحديثة. وبعد الحرب العالمية الثانية نفضت الجزيرة العربية شمالها وجنوبها غبار الماضي عن كنوز مكتباتها، وتلاحق بعد ذلك إنشاء الجامعات ومراكز البحوث، وأُخرِجَ إلى الضوء فرائد المؤلفات وعميق الأبحاث التاريخية والعلمية والأدبية في مختلف شعاب المعرفة العربية والإسلامية، وبدعم حكومي ورسمي سخي تطورت المؤسسات الجامعية والبحثية، وكثر أساتذتها وعلماؤها المختصون، وانتقلت من مرحلة الاستعارة والمحاكاة أو الاستفادة من الأشقاء للوصول إلى ما هي عليه اليوم علماً وخبرة وإنتاجاً وتعاوناً بل وتكاملاً مع بقية الأقطار العربية الشقيقة، والانفتاح على كل جيل جديد في الشرق أو الغرب.

وإذا كان قد جرى تعاون مشترك بين علماء من البلدين الشقيقين كما حدث لعالمين جليلين من الجيل الراحل هما العلامة حَمد الجاسر والمؤرخ القاضي محمد بن علي الأكوع فأخرجا بالتعاون بعض مؤلفات لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني (صفة الجزيرة وجزأين من إكليله الأربعة المطبوعة)، فإننا نرى اليوم كذلك جهوداً مثمرة مشتركة لعالمين كبيرين معاصرين هما الأستاذ العلامة الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري وزميله العلامة اليمني الأستاذ الدكتور يوسف محمد عبد الله - ليس في مجال الآثار - فحسب - وهو تراث، بل فيما يقومان به مؤخراً ولسنوات بالإشراف والتحرير لكتاب (تاريخ الأمة) الذي صدر منه حتى اليوم سبعة مجلدات بالتعاون كذلك مع زملاء آخرين لهم من الوطن

العربي، ويشاركان كذلك مع زملاء وتلاميذ لهما في إصدار حوليات وسلاسل تبحث في شؤون الجزيرة كلها شمالها وجنوبها. ومع الاهتمام العلمي المشترك لعلماء وباحثين في الآثار والتاريخ نجد عشرات الرسائل الجامعية لسعوديين ويمنيين طبع معظمها (وهي معينة) في تاريخ أحد القطرين في عصور مختلفة وخصوصاً في التاريخ الحديث والمعاصر. ولقد بات ميسراً اليوم الاطلاع والتصوير لأي مخطوط مطلوب للأبحاث أو التحقيق في خزائن المخطوطات في كلا البلدين.

ولعلي أذكُر بالمناسبة بأسماء باحثين سعوديين زملاء أعزاء كانت مواضيع أبحاثهم أو تحقيقاتهم الجامعية عن اليمن وباتوا اليوم أعلاماً مبرزين في حقول علومهم أمثال الإخوة: صديقي وزميلي الأستاذ العالم الدكتور أحمد عمر زيلعي والأستاذ الدكتور إسماعيل محمد البشري صاحب (إقليم عسير في عهد الملك عبد العزيز) رئيس جامعة الشارقة اليوم والصديق العزيز الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الله آل زلفة مؤلف (إمارة أبي عريش وعلاقتها بالدولة العثمانية) (١٨٣٨ - ١٨٤٩ م) المطبوع عام ١٤١٧ هـ عن جامعة الملك سعود، وله أبحاث ومساهمات علمية وأرشيفية كثيرة، وهو الآن مثلي عضوٌ في (مجلس الشورى) السعودي، وليس آخرهم الأستاذ الدكتور محمد آل الثنيان الذي نال درجة الدكتوراه من جامعة دُرم في بريطانية في تحقيقه البديع لأرجوزة الشاعر اليمني الرداعي في شرح طريق الحج من اليمن إلى مكة المكرمة والتي ألحقها العلامة الهمداني بآخر كتابه (الصفة) وهو كذلك الذي أتحفنا مؤخراً بتحقيقه لرحلة الحج من صنعاء إلى مكة المكرمة للعلامة اليمني القاضي إسماعيل جغمان (ت ١٢٥٦ هـ/ ١٨٤٠ م) وصدرت عن دارة الملك عبد العزيز في عام ١٤٢٦ هـ. وكان المؤرخ المرحوم الأستاذ محمد أحمد العقيلي قد سبق هذا الجيل في كتابه عن (المخلاف السليماني)، كما هو معروف.

إنني وفي نفس هذا السياق لابد أن أذكّر بمساهمات علمية وتحقيقات مميزة للراحل العالم والمحقق اليمني الأصل والمولد، السعودي المقام والوفاة بمكة المكرمة سنة ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦م، الشيخ القاضي أحمد بن يحيى المعلمي العُتمي اليمني، الذي كان له الفضل والسبق في تحقيق ونشر عشرات من كتب التراث العربي الإسلامي جُلها في علم الحديث الشريف ورجاله.

**بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز**

بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية الشقيقة نشرت جامعة الإمام محمد بن سعود بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك (عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود) في ثلاثة مجلدات والذي انعقد في مدينة الرياض في ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ/ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥ م، والذي شارك فيه أكثر من خمسين باحثاً من المملكة والوطن العربي وبعض الأجانب، وتأتي أهمية تلك المجلدات ليس بما هو مفيد من تاريخ المملكة ومؤسسها الكبير فحسب، بل لكثرة المصادر والمراجع التي هي في معظمها سعودية وتدل على مدى ما سبق أن نُشر من كُتب وأبحاث ودراسات جادة.

ولقد لفت نظري حديثاً وأنا أكتب بحثاً[١] عن أشراف الحجاز في العصر الحديث وعلاقتهم بالباب العالي كثرة المطبوع والمحقق من مخطوطات كُتب التاريخ في مختلف حقباته والتي بعضها يقع في عدة أجزاء[٢].

---

(١) نُشر في المجلد الخامس من «الكتاب المرجع في تاريخ الأمة» ٥/ ١٣١ وانظره بعد هذا.

(٢) انظر مراجع البحث نفسه.

**الترجمة**

ولا ننسى في هذه العُجالة تلك الجهود الكبيرة في التعريب من اللغات الأوربية، وكانت المملكة في هذا الصدد أقدم سبقاً وأكثر إنتاجاً من العدد المحدود المطبوع في اليمن فكثير من كُتب الرحلات والأدب والجغرافية قد نُقل إلى العربية بجهد سعودي، وشارك فيه أشقاء عرب بدعم سعودي سخي رسمي أو من المؤسسات الأكاديمية والعلمية السعودية، ولا مجال هنا لسرد القائمة الطويلة في هذا الباب المفيد والهام، يكفي مثالاً لذلك الإنجاز الكبير في تعريب سفر الأستاذ العلامة فؤاد سزكين: (تاريخ التراث العربي) من الألمانية بمجلداته العشرة وهو تعاون مصري - سعودي نشرته مطبوعاً جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* * *

**وبعد**

ربما طغت العاطفة وحرارة اللقاء فكان الحرص على ذكر بعض الجوانب الإيجابية فيما تقدم من حديثي، إلا أن الواجب، والأمل الذي يَحْدونا جميعاً هو بحث جوانب القصور هنا أو هناك، وتحديد أولويات تعاون علمي جاد بين جامعاتِنا والباحثين فيها، وتبادل نتائج البحث العلمي في مختلف العلوم، وكذا المطبوع والمنشور إلى غير ذلك من أوجه التكامل بما يخدُم الغايات المرجوة والآمال المعقودة على مثل هذه اللقاءات الأخوية العلمية، والله من وراء القصد.

# القوى المحلية وعلاقتها بالمركز

## أشراف الحجاز وأئمة اليمن[1]

## (٩٢٢ - ١٢٠٠ هـ/ ١٥١٧ - ١٧٨٦ م)

### تمهيد

**بدايات الأشراف والأئمة في الحجاز واليمن**

ينتسب (أشراف الحجاز) و (أئمة اليمن) الهاشميين - شأنهم شأن نسب آخرين غيرهم من الأشراف أو السادة العلويين في البلدين وأنحاء أخرى عربية وإسلامية - إلى جدهم الأعلى الحسن بن علي بن أبي طالب (ت ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م) كما ينتسب البعض الآخر منهم إلى نسل فرع أخيه - شهيد كربلاء - الحسين بن علي (ت ٦١ هـ/ ٦٨٠ م)، سبطي رسول الله (ص) من ابنته الثالثة: فاطمة الزهراء.

وحين دَبَّ الضعف في الخلافة العباسية وبدأت بغداد تفقد السيطرة على الأطراف وبعض الأقطار، كان الحجاز واليمن من أوائل البُلدان التي قامت بها دويلات مستقلة عن حكم العاصمة بغداد.

ففي أول النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة / النصف الأخير من القرن التاسع للميلاد أسس الأشراف من (بني الأخيضر) الحسنيين أول

---

(١) نشر هذا البحث في المجلد (الخامس) من «الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية» الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس ٢٠٠٧م، ٥/ ٣٣١-٣٤٤.

حكم لهم في الحجاز عام ٢٥١ هـ/ ٨٦٥ م، حين خرج إسماعيل بن يوسف الأخيضر، الذي عُرف بالسفّاك، على الخليفة العباسي المستعين بالله ابن المعتصم، وقد استولى على مكة بعد أن فرَّ واليها العباسي. ونهب البيت الحرام وبيت المال ثم استولى على المدينة، وعُرف بالجور والظلم، لكنه لم يلبث أن مات بالجدري في العام التالي[1]، وحكم بعده ستة من أبناء هذه الأسرة التي انتهى حكمها باستيلاء القرامطة على الحجاز عام ٣٥٠ هـ/ ٩٦١ م.

كان الأشراف الموسويون (نسبة إلى جدهم موسى الحسني) الأسرة الثانية التي حكمت الحجاز قرابة قرن (٣٥٨ - ٤٥٣ هـ/ ٩٦٨ - ١٠٦١ م) وكان أولهم جعفر بن محمد، وآخرهم الشريف (شُكر بن أبي الفتوح تاج المعالي) أبرز من حكم من هذه الأسرة وأطولهم حكماً (٤٣٠ - ٤٥٣ هـ/ ١٠٣٨ م)، وكان أديباً شاعراً، وبوفاته انقرض بنو موسى[2].

تزامن حكم الشريف (شُكر) بتنامي حكم الملك علي بن محمد الصليحي وتوسعه في اليمن (٤٢٩ - ٤٥٩ هـ/ ١٠٣٧ - ١٠٦٧ م) إذ تمكن من توحيد البلاد من أقصى حضرموت إلى الحجاز. وفي عام ٤٥٥ هـ/ ١٠٦٣ م قام الملك الصليحي بالحج، فدخل مكة وملكها وانتزعها من بني الطيب «.. وفعل فيها أفعالاً حميدة، من العدل والإحسان ومنع المفسدين، فأمن الناس أمناً لم يعهدوه، ورخصت الأسعار لأمره بجلب الأقوات وكثر البناء عليه..»[3]، وقبل مغادرته عائداً إلى اليمن اجتمع لديه

---

(١) ابن الأثير (الكامل في التاريخ) دار صادر، بيروت ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ - ١٩٦٦م: ٧/ ٦٦؛ ١٧٧، ابن زيني دحلان (أحمد): خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام.. (ط١)، المطبعة الخيرية، مصر، سنة ١٣٠٥ هـ: ٩ - ١٠.

(٢) ابن الأثير: ١٠/ ١٧؛ خلاصة الكلام: ١٦.

(٣) الفاسي (تقي الدين): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٦٢ م، /١٨٧.

الأشراف الحسنيون وطلبوا منه تعيين نائب له، (فجعل على مكة محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن هاشم) أبو هاشم، مؤسس (دولة الأشراف الهواشم أو (بنو فليتة)، وقد استمر في الحكم ثلاثين عاماً (٤٥٦ - ٤٨٦ هـ/ ١٠٦٣ - ١١٩٠ م)، تداول الحكم بعده سبعة أشراف من أسرته كان آخرهم داوود بن عيسى الذي دخل في صراع مع أخيه (مكثر) وغيره، وعزل غير مرة، واضطربت الأوضاع حتى كانت سنة ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ م أو ٥٩٨ هـ/ ١٢٠١ م، استولى أمير ينبع أبو عزيز قتادة بن إدريس (ت ٦١٨ هـ/ ١٢٢١ م) على الحرمين الشريفين، فكان مؤسس حكم أسرته (الأشراف بني قتادة)[١] الذين توارثوا أمر الحجاز حتى نهاية حكمهم عام ١٣٤٤ هـ/ ١٩٢٥ م[٢].

### أئمة اليمن

في وقت لا يزيد عن ثلاثة عقود من تأسيس الأشراف (بني الأخيضر) لسلطتهم على الحجاز خرج إلى اليمن من جبل الرَّس القريب من المدينة

---

(١) خلاصة الكلام: ١٨ - ٢١ وانظر ابن الأثير: ١١/ ٢٧٧٩، ١٢/ ٢٠٥، ٤٠١ - ٤٠٤ (حوادث سنة ٦١٨ هـ) وفيه ذكروا وفاة قتادة عن تسعين عاماً وروايات مختلفة عن سبب وفاته، عمر بن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى: ٣/ ١٤ - ٣٣؛ السعيد (د. أحمد): تاريخ الدول الإسلامية ومعدن الأسر الحاكمة: ٢٢٣ - ٢٢٦؛ ٢٣٦، وراجع عن الفترة كتاب الدكتور سليمان عبد الغني المالكي (بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد) الرياض، مطبوعات دار الملك عبد العزيز (١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م): ٥٠ - ٦٢.

(٢) معروف بأن الشريف حسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون (ت ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣١ م) هو آخر الأشراف الأمراء على الحجاز، وقد أعلن الثورة العربية على تركية عام ١٩١٦ م، قام بقطع علاقته بدار الخلافة سنة ١٩١٨ م، وأقام بمساعدة الإنجليز مملكة الحجاز، وأمام الزحف السعودي / الوهابي على الحجاز تنازل الشريف حسين لابنه علي وهرب إلى مكة، ثم غادر الهاشميون الحجاز نهائياً بدخول السعوديين جدة، في ١٣/ ١٢/ ١٩٢٥ م.

عام ٢٨٠ هـ/ ٨٩٣ م الإمام يحيى بن الحسين بن القاسم الحسني الرَّسي بناءً على دعوة اليمنيين له، لكنه لم يلبث أن عاد أدراجه إلى الحجاز لكثرة الصراعات والاقتتال بين الدويلات التي ظهرت في تلك الفترة من يعفريين وقرامطة إسماعيليين بزعامة علي بن الفضل الخَنْفَري والحسن بن حوشب. والأهم من ذلك خذلان القبائل له وتقاعدها عن نصرته حتى تبين لها ضرورة عودته. وقد توجه إليه وفد كبير من زعماء ورؤساء القبائل اليمنية مطلع عام ٢٤٨ هـ/ ٨٩٧ م لدعوته إلى اليمنْ وشكلت عودته منعطفاً تاريخياً هاماً في تاريخ البلاد، فقد أسس الإمام يحيى بن الحسين - الذي تلقَّب (بالهادي إلى الحق) - حُكم الأئمة الزيدية باليمن الذي استمر أحد عشر قرناً بين قوة وضعف. فكان يشمل في بعض الفترات حكم اليمن الطبيعية من حدود عُمان جنوباً حتى حدود الحجاز شمالاً، وينكمش أحياناً فيقتصر على العاصمة صنعاء وشمالها، أو على بعض المناطق الشمالية ومركزها (صعدة) في أحيانٍ أخرى، وذلك حتى نهاية حكم الأئمة بقيام ثورة ٢٦ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٢ م وإعلان الجمهورية.

لقد وجَدَ بعض رؤساء وزعماء القبائل في شخصية الهادي القيادية، وفي علمه ونسبه الشريف حلاً للخلافات وتعدد الولاءات، كما وجد هو نفسه في ذلك متنفساً لطموحاته، ونشر مذهبه المستند في أصوله الفقهية إلى مذهب الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

تمكن الهادي بعد وصوله صعدة، مبايعة قبائلها له من التوفيق بينها وتوحيدها تحت قيادته، واستطاع أن يدخل صنعاء غير مرة. وشكلت السنوات الأربع عشرة منذ قدومه إلى اليمن حتى وفاته في صعدة عام ٢٩٨ هـ/ ٩١٠ م ملحمة حقيقية استخدم فيها السيف والقلم والقوة والعقيدة، وسجل فصولها كاتب سيرته وأحد أنصاره علي بن محمد

العلوي[١]، وقد أفلح الهادي بتأسيس دولة الإمامة الزيدية الأولى التي خلفه في حكمها ابنان وحفيدان، ثم تصارع آخرهما مع إمام من أحفاد القاسم بن إبراهيم الرَّسي جد الهادي نفسه، هو الإمام المنصور القاسم بن علي العياني الذي كان عالماً فاضلاً، لكنه كان طاعناً في السن فتوفي بعد خمس سنوات من إمامته عام ٣٩٣ هـ/ ١٠٠٣ م، وقد خلفه ابنه الشاب حسين بن قاسم الذي لم يكن مؤهلاً للحكم، بل حالة شاذة بين أئمة اليمن ومذهب الزيدية وغيره من المذاهب الإسلامية، فقد تلقب بالمهدي وزعم أنه (المهدي المنتظر!)، وقد دخل في صراع وقتال مع مختلف القوى القبلية والسياسية، ومن بينها إمام معارض له هو محمد بن قاسم الزيدي، وقد أُجبِر آخر الأمر على الهروب من صنعاء وقُتل قرب (ريدة) شمال صنعاء عام ٤٠٤ هـ/ ١٠١٣ م، كما قُتل في العام الذي قبله الإمام محمد الزيدي، فكانا أول إمامين يُقتلان، تلاهما قتلاً بعد أربع سنوات الإمام أبو الفتح بن الحسين الديلمي الذي جاء مكة من الديلم بفارس ومنها وصل إلى صعدة وتلقب بالناصر، وناصرته قبائل همدان وخذلته غيرها، حتى كانت نهايته على يد الملك علي بن محمد الصليحي عام ٤٤٤ هـ/ ١٠٥٢ م، الذي تمكن من توحيد كل اليمن، وامتدت سلطته على الحجاز لبعض الوقت؛ وبهذا أُسدِل الستار على الحقبة الأولى من تاريخ دولة الأئمة الزيدية[٢].

وطيلة حكم الدولة الصليحية التي اضمحلت بوفاة الملكة السيدة بنت أحمد سنة ٥٣٢ هـ/ ١١٣٨ م، لم ينهض بالإمامة الزيدية من يعتد به من الأشراف أحفاد القاسم بن إبراهيم الرَّسي، حتى خرج في نفس العام من الجوف إلى نجران ثم إلى صعدة الإمام أحمد بن سليمان (ت ٥٦٦ هـ/

(١) انظر سيرة الهادي لصاحبه علي بن محمد العلوي (تحقيق د. سهيل زكار، دمشق ١٩٧٤ م).

(٢) انظر العمري (الموسوعة اليمنية): ١/ ٤٤٧ - ٤٥٠ وبها مصادر أخرى.

١١٧٠ م) من أحفاد الهادي يحيى بن الحسين، وكان على درجة من العلم والشجاعة والطموح، كما كان شاعراً بليغاً، وقد أعاد للإمامة الزيدية بعض مكانتها، لكنه لم يلبث أن دخل في صراعات انتهت بهزيمته وسجنه بعد أن حقق انتصارات على معارضيه، وكان بمنزلة المؤسس للدولة الزيدية الثانية التي امتدت، على ضعف وانكماش، في ظل الدولتين الرسولية والطاهرية، وحتى ظهور الحملة المملوكية عام ٩٢١ هـ/ ١٥١٦م ومجيء العثمانيين الأتراك بُعيد ذلك بقليل.

ولعله من الملفت للنظر أن عدداً زاد عن خمسة وعشرين إماماً حتى نهاية تلك الحقبة، لم تكن أهمية بعضهم أمثال المنصور عبد الله بن حمزة (ت ٦١٤ هـ/ ١٢١٧ م)، الذي خلف الإمام أحمد بن سليمان، والمؤيد يحيى بن حمزة (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٩ م) وأحمد بن يحيى المرتضى (ت ٨٠٤ هـ/ ١٤٣٦ م) وحفيده المتوكل شرف الدين (ت ٩٦٠ هـ/ ١٥٥٨ م)، في ميدان السياسة والحكم، بل تأتي أهميتهم وذكرهم بما تركوا من مؤلفات فقهية وآثارٍ فكرية وأدبية هامة تذكر لهم كغيرهم من معاصريهم من العلماء والأدباء البارزين في هذا العصر[١].

* * *

كانت معركة مرج دابق - قرب حلب يوم الأحد ٢٥ رجب ٩٢٢ هـ/ ٢٣ آب (أغسطس) ١٥١٦م بين الجيشين العثماني والمملوكي - معركة فاصلة في تاريخ المشرق العربي، وكانت نهاية تاريخية للحكم المملوكي في مصر وبلاد الشام والجزيرة العربية، فقد هزم المماليك وتفرق شملهم، وتوفي السلطان الغوري أثناء المعركة. ودخل السلطان العثماني سليم خان

---

(١) انظر الخزرجي: العقود اللؤلؤية: ١/ ٧٤ - ١٣٥؛ ٢/ ١٤٣، ١٩٨، ٣١٠؛ يحيى بن الحسين: غاية الأماني: ٢٩٥ - ٤٤٥، العمري: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني: ١٤٨ - ٣٢٠، الموسوعة اليمنية: ١/ ٤٥١ - ٤٥٥.

بن بايزيد خان (ت ٩ شوال سنة ٩٢٦ هـ/ ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٥٢٠ م) حلب برضا أهلها وبصحبته آخر الخلفاء العباسيين أبي عبد الله بن المستمسك بالله الذي كان بصحبة السلطان الغوري، وخطب باسمه خطبة الجمعة (٨ شعبان/ ٣ أيلول (سبتمبر) )، وبأنه (.. خادم الحرمين الشريفين). كما خطب باسمه في الجامع الأموي بدمشق يوم الجمعة ٢٩ شعبان قبل دخولها في اليوم التالي (الأول من رمضان ٩٢٢ هـ/ ١٩١٦ م). وبعد أن اطمأن السلطان سليم الأول على أوضاع دمشق وغيرها من مدن الشام توجه إلى مصر، وهزم المماليك في موقعة الريدانية في ٢٩ ذي الحجة سنة ٩٢٢ هـ/ ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٥١٧ م، وفي يوم ٨ محرم ٩٢٣ هـ/ ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٥١٧ م، دخل السلطان سليم القاهرة في موكب حافل بعد أن فرّ قائد المماليك طومان باي إلى البحيرة فسلمه شيخها حسن بن مرعي إلى العثمانيين فقتلوه وعلقوه في باب زويلة في القاهرة في ١٢ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ/ ١٣ نيسان (أبريل) ١٥١٧ م. وبهذا سيطر العثمانيون على مصر[١].

* * *

### تابعية الحجاز والفتح العثماني (الأول) لليمن

أما الحجاز فقد أجمعت المصادر على سرعة قبول الشريف بركات الثاني الالتحاق بالدولة العثمانية الفتية والتخلص من الهيمنة المملوكية القاسية.

ولعل رواية إمام الحرمين المؤرخ السيد أحمد بن زيني دحلان - على طولها - توضح الطريقة التي تم بها التحاق الحجاز بالدولة العثمانية بعد

---

(١) ابن طولون (محمد بن علي): مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (جزآن) تحقيق د. محمد مصطفى، القاهرة؛ (٨٨٤ - ٩٢١)، رافق (عبد الكريم): المشرق العربي في العهد العثماني (ط ٤) جامعة دمشق ١٩٩١ - ١٩٩٢ م (٤٤ - ٤٩).

أن دخل السلطان سليم مصر: «أراد أن يجهز جيشاً إلى مكة المشرفة، وكان بالديار المصرية القاضي صلاح الدين بن أبي السعود بن ظهيرة معتقلاً بها، صادره الغوري يطلب منه عشرة آلاف دينار فعجز، فأمر بحمله إلى مصر واعتقله، ثم أطلقه السلطان سليم لما دخل مصر. فلما بلغ القاضي تجهيز الجيش، اجتمع بوزير مولانا السلطان سليم وعرَّفه عظمة صاحب مكة ومنزلته من الشرق، وأنه من خدم مولانا السلطان، وأن الرأي إرسال مكتوب إليه ولا تبدو منه مخالفة أبداً، ولا يحتاج إلى تجهيز جيش، فاستقر الحال على إرسال توقيع شريف لمولانا الشريف بركات، وإبقاء الشريف (محمد) أبي نمي على شراكة أبيه نظير توقيع السلطان الغوري، وكتب القاضي صلاح الدين لمولانا الشريف يُعرفه بما وقع ويسأل منه إرسال ابنه الشريف محمد أبي نمي إلى الحضرة السلطانية، يتشرف باللقاء ويكون دليلاً على الرضا والبقاء، وأطلق السلطان سليم الجماعة الذين كانوا بمصر من أعيان مكة في حبس الغوري وأرسل بهم بعد إكرامهم إلى مكة. وأرسل (السلطان) الأمير مصلح بيك بمحمل رومي وكسوة للكعبة وصدقات. ولما وصل الشريف أبو نمي إلى مصر قابله السلطان سليم بالإجلال والإكرام، وأعاده شريكاً لوالده وعمره آنذاك اثنا عشرة سنة، وبعث معه أمراً سلطانياً بقتل حسين الكردي صاحب جدّة من جهة الغوري.. وفرقت الصدقة الرومية (العثمانية) لأربع مضين من ذي الحجة سنة تسع مئة وثلاث وعشرين في الحرم، على الفقراء والمجاورين من أهل مكة، وقُرر فيها لصاحب مكة خمس مئة دينار.. وخطب بعرفة قاضي مكة القاضي صلاح الدين ظهيرة، ودعا للسلطان في الموقف الأعظم»[1].

وهكذا انتقل الحجاز من سيطرة المماليك إلى هيمنة السلطان العثماني (خادم الحرمين الشريفين).

---

(١) ابن زيني دحلان: خلاصة الكلام: ٥٠ - ٥١.

وقد غادر السلطان سليم مصرَ عائداً إلى إستانبول في شعبان ٩٢٣ هـ/ ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٥١٧ م، بعد أن عيَّن عليها والياً (خير بك المملوكي) الذي كان والياً على حلب متمالئاً مع العثمانيين، وكان قد سبقه إلى إستانبول الخليفة العباسي محمد المتوكل على الله، بناءً على أوامر السلطان، لكنه عاد إلى مصر عقب وفاة الأخير، واستمر في الخلافة - الاسمية - حتى وفاته في ١٢ شعبان ٩٧٥ هـ/ ٢٦ آب (أغسطس) ١٥٥٠ م[1].

وبالنسبة إلى اليمن الذي أعلن فيه قائد المماليك الأمير إسكندر ولاءه للعثمانيين فأرسل إليه السلطان سليم أمراً باستمراره والياً على اليمن وذكر اسم السلطان في الخطبة، ومن بعده السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ - ٩٧٤ هـ/ ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م) قبل أن يتم للعثمانيين السيطرة على اليمن الذي سيشكل خطراً مستمراً وميدان مقاومة، قادها أسرتان من أئمة اليمن: آل شرف الدين ثم (بيت القاسم بن محمد).

* * *

لم يتمكن المماليك من السيطرة على اليمن بعد سقوط آخر أهم سلاطين الدولة الطاهرية (عامر بن عبد الوهاب)، ولم يبق إلا عَدن في حوزة عامر بن داوود الطاهري، وقد تمكنت الإمامة الزيدية ممثلة بالإمام يحيى شرف الدين (٨٧٧ - ٩٦٥ هـ/ ١٤٧٣ - ١٥٥٨ م) وبقيادة ابنه المحنك الخطير المطهر شرف الدين (ت ٩٨٠ هـ/ ١٥٧٢ م) من ملء

(١) رافق (د. عبد الكريم): العرب والعثمانيون، دمشق ١٩٧٤م، (٤ و ٦٥)؛ فريد (محمد فريد بك المحامي): تاريخ الدولى العثمانية العلمية، تحقيق الدكتور إحسان حقي، دار النفائس / بيروت (ط٢) ١٩٨٣ م (ت: ١٩٢ - ١٩٦) وفيه بأن الخلافة كانت للمتوكل - هذا في مصر - اسماً، وأنه تنازل عن حقه في الخلافة الإسلامية إلى السلطان سليمان العثماني وسلمه الآثار النبوية الشريفة، وهي: البيرق والسيف والبردة، وسلمه أيضاً مفاتيح الحرمين الشريفين، والقصة خلافية بين المؤرخين.

الفراغ الذي خلّفه مقتل السلطان الطاهري خارج أسوار صنعاء (٩٢٢ هـ/ ١٥١٧ م)، وما جرى بُوعيد ذلك من انتشار الفوضى واضطراب الأمن في البلاد، وزاد الأمر سوءاً سياسة المماليك الجائرة والاقتتال بين القواد الجراكسة أنفسهم، وقد بلغ ذلك ذروته فيما بينهم في عام (٩٣٠ هـ/ ١٥٢٣ م)، وتكرر عام ٩٣٤ هـ/ ١٥٢٧ م) مع قائد الحملة العثمانية البحرية سلمان الرَّيس. فقد صدف في العام السابق حضور الصدر الأعظم إبراهيم باشا إلى مصر لإخماد تمرد حدث بها بقيادة أحمد باشا، وكان قد أقنعه سلمان الريس الذي عاد لتوه إلى مصر بأهمية إرسال حملة بحرية تحت قيادته إلى السواحل اليمنية لإخضاعها للنفوذ العثماني، وللوقوف هناك في وجه البرتغاليين. وهكذا تم «تجهيز حملة مكونة من عشرين سفينة وأربعة آلاف جندي، وعيّن الأمير خير الدين حمزة قائداً عاماً للحملة ونائباً في (زبيد) بعد وصوله إليها، أما سلمان الريس فقد جعله قائداً للأسطول»[1].

وصلت الحملة إلى السواحل اليمنية، وكان نفوذ المماليك - ممثلي السيادة العثمانية - في زبيد والمناطق التهامية المحيطة بها، في حين امتد نفوذ الإمام شرف الدين إلى معظم جهات اليمن باستثناء مدينة عدن. وقد نشبت معارك بين قائد المماليك وسلمان الريس تمكن الثاني من قتل الأول، وتمت له السيطرة دون الأمير خير الدين حمزة قائد الحملة الحقيقي الذي حاك للريس المؤامرات حتى تمكن من قتله أواخر عام (٩٣٤ هـ/ ١٥٢٨ م)، ولم يلبث أتباع الريس أن قتلوا خير الدين وهكذا دواليك، ولأكثر من عقدين من الزمان[2] كان من الواضح للباب العالي

(١) د. سالم السيد (مصطفى): الفتح العثماني الأول: ٩٧ - ٩٩، ١٣٤ - ١٣٥، قطب الدين النهروالي (محمد بن أحمد): البرق اليماني في الفتح العثماني، أشرف على طبعه حَمد الجاسر، الرياض ١٩٦٧ م: ٤٢ - ٥٢.

(٢) أنيس (د. محمد): الدولة العثمانية والشرق العربي: ٤٢ - ٥٥، ٣٢ - ١٣١.

بأن السيطرة على السواحل اليمنية اسمية، فقليلاً ما كان يتم أي وئام بين قادة المماليك من المغامرين الشركس في زبيد، وبين من كان يرسل من مركز العثمانيين من جدّة من أمراء وقادة أتراك. ومن ناحية أخرى أدى انشغال السلطان سليمان القانوني - بعد وفاة والده - بالفتوحات في البلقان والتوغل في أوربة حتى وصل إلى أسوار فيينا، إلى تأخير مشروع والده في توحيد العالم الإسلامي تحت السيادة العثمانية، لكنه عاد صوب الشرق حين تجدد النزاع القديم مع فارس عام (٩٤١ هـ/ ١٥٣٤ م)، فتمكن في العام نفسه من فتح العراق والاستيلاء على بغداد. وكانت تقارير قد سبق رفعها عقب حملة سلمان الريس إلى والي مصر تُذكِّر بالخطر البرتغالي ومدى سطوتهم، والخوف من محاولتهم قطع الخطوط التجارية بين موانئ البحر الأحمر وساحل القارة الهندية، كما أن البرتغاليين قد ساعدوا الفرس بالمعونات وبعض الفنيين، وبأن الاستيلاء على اليمن ضرورة «فهي أكثر رخاءً وازدهاراً من ولاية مصر، وبأن ذلك في الإمكان، وإذا تم فتح اليمن يصبح في الإمكان السيادة والسيطرة على بلاد الهند»[١].

وفي هذه الأثناء أمر السلطان سليمان القانوني بإعداد حملة بحرية كبيرة (من سبعين سفينة وعشرين ألف جندي) إلى اليمن والهند، استكمل إعدادها في السويس عام (٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨ م)[٢].

وأبحرت من هناك بقيادة والي مصر سليمان الخادم (الطواشي) الذي عُرف بالغدر وشدة البطش، وصلت الحملة إلى حزيرة (كمران) قُبالة الصليف، في طريقها للاستيلاء على عدن، إذ تم لها ذلك بعد أن قام سليمان باشا - غدراً - بقتل حاكمها عامر بن داوود الطاهري.

---

(١) R. B. Serjeant : Sana'a ANABIAN ISLAMIC CTTY, London 1983, P. 69.

(٢) فريد: تاريخ الدولة العلية: ٢٣٩.

وبعد أن عين سليمان باشا الأمير بهرام حاكماً تركياً على عدن، وترك حامية عسكرية بها، واصلت الحملة طريقها إلى الهند، بَيْدَ أنها عادت في مطلع العام الثاني (١٥٣٩ م) إلى الشطآن اليمنية فاشلة من دون أن يحقق قائدها أي نجاح في مواجهته للبرتغاليين في الهند، وقد انعكس ذلك على سلوك ومزاج القائد سليمان باشا، فبعد أن استولى على (الشّحْر) في حضرموت شرع في استكمال الخطة العثمانية في دعم النفوذ والسيطرة العثمانية على السواحل اليمنية، وفي زبيد فعل بأمير من بقي من المماليك الشركس (ويعرف بالناخوذة أحمد) ما فعله بالأمير الطاهري في عدن، إذ قتله غدراً بعد أن كان قد منحه الأمان، ثم لم يلبث أن أمر بمذبحة تخلص فيها من عدد كثير من المماليك. وقبل مغادرة سليمان باشا زبيد واليمن عائداً إلى إستانبول عن طريق جدّة ومصر، عيّن عليها وعلى تهامة الأمير مصطفى عزت بك[1] مع تعليمات بتحيّن الفرصة السانحة للتقدم نحو الداخل.

لقد شكلت حملة سليمان باشا الخادم ما يُعرَف (بالفتح العثماني الأول لليمن)، غير أن ذلك لم يتحقق في الواقع بما فيه تمكّن العثمانيين من الاستيلاء على العاصمة صنعاء إلا على يد الوالي العثماني (الخامس) الأمير أزدُمر باشا الذي عُدَّ (الفاتح الأول).

### خصائص الحكم العثماني

درجت كثير من الدراسات الحديثة على تقسيم تاريخ الشرق العربي في ظل الحكم العثماني إلى عصرين، الأول: من الفتح العثماني في مطلع القرن السادس عشر وينتهي بنهاية القرن الثامن عشر، إذ يبدأ العصر الثاني من حكم السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧ م)، ومن بعده من

(١) النهروالي (قطب الدين): البرق اليماني ٨٥ - ٨٦، العمري (د. حسين بن عبد الله)، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر: دار الفكر المعاصر، بيروت (ط٢) ٢٠٠٢: (١٦).

سلاطين القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين، وهو العصر الذي بدأت فيه الإصلاحات والنظام الجديد ثم تطورت فيه أوضاع الولايات العربية كغيرها من الولايات الإسلامية العثمانية، حين ظهرت الاتجاهات والحركات القومية من ناحية، ودور القوى الأوربية الجديدة وشبح الاستعمار وتطور المسألة الشرقية من ناحية أخرى، لتصبح الإمبراطورية الرجل المرض الذي سيتم تقاسم ثروته بنهاية العصر الثاني ومع الحرب العالمية الأولى.

ولما كان العصر الأول هو مجال موضوع هذه الدراسة، فلا بدّ لنا - وباختصار - من الإشارة إلى أهم خصائص الحكم وعلاقته بالولايات العربية، ومنها بالطبع الحجاز واليمن، ثم تلك الخصوصية في علاقتهما بالمركز (الأستانة أو استانبول) عاصمة الخلافة العثمانية.

كان الدفاع عن ولايات الدولة أو ممتلكاتها ومهاجمة البلاد المجاورة أُولى وظائفها، وكانت تلك مهمة الجيش الذي كان أداة للحرب وأداة للحكم، والذي تميز - أيضاً - بأنه حكم عسكري.

وإذا كان الحكم العثماني في الأساس غير مباشر، إلا أنه كان يتفاوت في هذا من بلد إلى آخر، «ففي الولايات الجبلية البعيدة عن قلب الدولة أو لها ظروف خاصة عند الفتح العثماني، لم يكن الحكم فيها إلا سطحياً أو اسمياً.. إنما تعترف فقط بوجود رياسة معينة تكون قبلية أو عسكرية أو إقطاعية تحكم باسم السلطان وتؤدي للدولة قدراً معيناً من الجزية كل سنة، ومثال هذه البلاد: أجزاء من شبه الجزيرة العربية» - عدا الحجاز واليمن كما سيأتي معنا - «.. أو الجهات الجبلية مثل كردستان ولبنان وبعض أجزاء سورية، وهناك نوع آخر من الحكم العثماني أكثر مركزية - وإن كان غير مباشر بصفة عامة - .. كباشوية دمشق وبغداد والقاهرة ..»[1]

(١) أنيس (د. محمد): الدولة العثمانية والشرق العربي: ١٤٠ - ١٤٣.

إلى غير ذلك من الخصائص والأوضاع الإدارية التي تعالجها فصول أخرى من هذا الكتاب.

## العثمانيون والحجاز

كانت ولايات دمشق وبغداد والقاهرة من أهم الولايات العربية، كما كان للحجاز أهمية دينية خاصة، وقد قنع العثمانيون بحكم الحجاز جنباً إلى جنب مع الأشراف، وكان السلطان يصدر في الأستانة الفرمانات التي يبارك فيها تولي الأشراف أمراء على مكة، وفي الوقت نفسه كان يجري تعيين (والٍ) يتخذ من جدّة مقراً له و (محافظ) على المدينة المنورة.

«وفي معظم الأحوال كانت علاقة السلطنة بالأشراف مبنية على التوقير، فهم بالنسبة إليها من سلالة البيت النبوي، وقد احتفظت لهم بكيانهم الخاص، ووفرت لهم المزايا المادية، والقانونية، وعيّنت منهم نقيباً في حاضرتها، وكان هذا النقيب لا يقل في شرف منصبه عن منصب (شيخ الإسلام) »[١]. وفي عهد لاحق كان العثمانيون في أحيان قليلة يؤيدون أو ينتصرون «لبعض الأشراف على بعض، ويصدرون أوامرهم بعزل البعض وتولية الآخرين، وقد يشفعون أوامرهم بقوة عسكرية تصاحب أمير الحج الشامي أو المصري لتنفيذ أوامر الخليفة، إلا أن الخليفة لا يخرج في مجموعه عن السياسة العامة المقررة، فالإمارة لا تنقل بالعزل إلا إلى قريب من المعزول.. ولا تبيح علاقة الخليفة السياسية له التولية أو العزل إلا في حدود لا تتعدى نطاق بيوت الأشراف الحاكمة..»[٢].

---

(١) توفيق (د. محمد أمين) مقدمة تحقيقه للقسم الأخير من خلاصة الكلام لأحمد بن زيني دحلان والمعنون (تاريخ أشراف الحجاز: ١٨٤٠ - ١٨٨٣)، دار الساقي - لندن ١٩٩٣ : (١٦).

(٢) السباعي (أحمد): تاريخ مكة، مطبوعات نادي مكة الثقافي (ط٧)، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م (٤٥٦ - ٤٥٨).

وكان للأمير جنده الخاص، قوامه من مختلف المرتزقة المجاورين وبعض البدو اليمنيين، يصل تعدادهم إلى بضعة آلاف، سوى العبيد الذين كان الشريف (الأمير) يعتمد على بعضهم والموالين له من القبائل المحيطة بمكة، بل وأحياناً على السوقة من أحياء مكة الذين كانوا يسمون (أولاد الحارة)، لما عرفوا به من الحمية والجرأة وحرصهم على الدفاع عن بيوتهم، وكان يتم حشدهم عن طريق مشائخهم في الحارات، وعند الحاجة كان يصل تعدادهم - أحياناً - إلى ما يزيد عن الألف. كما كانت قوة جدّة التركية ثم قوة مكة فيما بعد، لا يزيد عددها - في أكثر الأحيان - عن ستة (بلوكات)[1] (وتعداد البلوك نحو ألف جندي).

لقد كانت هذه القوى هي المسيطرة والمتحكمة في الفتن والخلافات بين الأشراف من ناحية، أو المنفذة للأوامر السلطانية التي كانت ترسل في الغالب من طريق الوالي في مصر لِيُبلغها إلى الأمير في مكة أو ينفذها بقوة من عسكره المرابطين في مصر.

وكان موسم الحج ووصول محامل الشام ومصر والمحمل العثماني (الرومي) المستحدث منذ عام ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م، وكذلك اليمني (الذي أذن السلطان بمجيئه من اليمن سنة ٩٦٣ هـ/ ١٥٥٦ م، واستمر مجيئه إلى عام ١٠٤٩ هـ/ ١٦٣٩ م) أكبر المناسبات وأعظمها، يزاول فيها الشريف مهام الاستقبال وتلقي الهدايا وتنفيذ الواجبات.. إلى غير ذلك من الأمور العملية والشكلية التي كان السلاطين يولونها أعظم الاهتمام.

وتجدر الملاحظة بهذا الصدد بأن ما ذهب إليه أحد الباحثين صحيحٌ من أن ظروف الاستقرار والاطمئنان طيلة العهد لم تكن سارّة «لأن مكة بقيت معرضة لسلسلة من الفتن يعزُّ حَصْرها وتعدادها، ولهذا لم تهدأ ولم

(١) السباعي (أحمد): تاريخ مكة، مطبوعات نادي مكة الثقافي (ط٧)، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م (٤٥٦ - ٤٥٨).

يقر لها قرار في غضون ذلك - نحو ثلاثة قرون - إلاّ مدداً قصيرة متفاوتة لم يزد مداها في أطول الأوقات عن عشر سنين إذا استثنينا العهد الذي كان يحكمه بركات وابنه أبو نمي الثاني وحفيده حسن، وهو عهد لا تزيد مدته عن ثمانين سنة»[1].

* * *

حين توفي الشريف بركات بن محمد الحسني بمكة (١٤ ذي القعدة سنة ٩٣١ هـ/ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٥٢٥ م)[2]، كان ابنه محمد أبو نمي الثاني في العشرين من عمره، وهو الذي قابل السلطان سليم الأول صغيراً في القاهرة، وشارك بعدها والدها في الشرافة (الإمارة) حتى وفاته. وقد طال حكمه وعمره واستقرت الأحوال في معظم أيام حكمه في بلاد الحجاز «فصار من أشهر من حكم الحجاز على شهرة كثير من أجداده»[3].

استمرت العلاقات مع استانبول وتلقي التعليمات المختلفة والمراسيم السلطانية بتعيين كبار القضاة (قاضي القضاة) (الحنفي والشافعي والمالكي..)، وكذا كبار الموظفين والقادة العثمانيين مباشرة أو عن طريق والي مصر[4].

وكان هذا النوع من المراسيم والفرامانات يُرسل في الغالب مع أمير الحج ويُقْرأ علانية. ونجد مثالاً لذلك في موسم الحج لعام ٩٣٨ هـ/ آب

(١) المرجع نفسه: ص ٤٦٠.

(٢) ابن فهد المكي (جار الله بن العزّ بن نجم): كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م): ١/ ٣٥٧؛ ابن زيني دحلان: خلاصة الكلام: ٥٢، وفيه اختلاف في تاريخ الوفاة، ولعله وَهْم.

(٣) البلادي (عاتق بن غيث): الإشراف على تاريخ الأشراف، دار النقاش، بيروت (١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م)، ٢٩٢، ٣٠٣.

(٤) يُنظر على سبيل المثال ابن فهد: كتاب نيل المنى: ١٣٣ - ١٣٨، ١٤٦، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٨ وما بعدها.

(أغسطس) ١٥٣٢ م حين تتابع وصول الحج في مطلع شهر ذي الحجة، وكان أمير الحج والمحمل (لعله المصري) الزيني مصطفى الرومي كاشف الغربية، فواجهه صاحب مكة السيد أبو نميّ بعسكره من المختلع، فأخلع عليه وعلى ولده المراهق السيد أحمد، وقاضي القضاة الشافعي، المحبي بن ظهيرة، وقاضي المحمل الشيخ شمس الدين الرشيد - وكانت ولايته من الروم - وفي يوم السبت ثالث الشهر اجتمع القضاة الثلاثة الشافعي والحنفي والمالكي وأمير المبرَّة الرومية (العثمانية).. وشرعوا في تفرقتها، بعد إذن صاحب مكة فيها ففرّقت ذهباً خالصاً كاملاً في الوزن.. وفي يوم الأحد ثاني تاريخه اجتمع في الحطيم صاحب مكة وأمير الحج ونائب جدة والقاضيان[1] الشافعي والمالكي وخلق من العسكر والعامة، وقُرِأت عدة مراسيم - نحو العشرة -.. منها مراسيم لصاحب مكة مضمونها الوصية بالحج وأميره، وغير ذلك كالرومية [أي المبرة الرومية العثمانية] وتفرقتها على مستحقيها.. ومرسوم خاص بإبطال المظالم من المعشَّرات بجدة والعوائد المحدثة لاشتكاء التجار..»[2].

ومع ذلك فقد ترسل الأوامر فرمانات أو مراسيم مع رسول قاصد خاص بحسب الأهمية أو مع أحد كبار المعنيين القادم من الآستانة، ففي ذي القعدة من عام ٩٣٣ هـ/ ١٥٢٧ م وصل إلى مكة نائب جدة الجديد مصطفى الرومي ومعه مراسيم متعلقات جدّة وغيرها، ولم يطل به المقام، فقد توفي في الشهر نفسه من العام التالي، غير أن الغريب في أمره أنه بعد

(١) لا نعلم سبب عدم حضور أو ذكر القاضي الحنفي (وهو ممثل مذهب الدولة العثمانية)، غير أنهم الثلاثة اجتمعوا في يوم الثلاثاء بحضور والي جدّة الجديد وسلفه المعزول وخلق كثير للنظر في دعاوى «من المظالم التي أخذها - السلف - (والي جلبي) - منهم، من القماش والنقد وقطع الصُّرَر في المبرّة الرومية..» (المصدر السابق نفسه: ١/ ٥٤٩).

(٢) المصدر نفسه: ١/ ٥٤٨.

أن شيّعه الشريف أبو نمي مع الناس وتم دفنه «ضُبطت تركته ووجد فيها عدة مراسيم تتعلق بأمور يحصل بها الضَّرر على صاحب البلد وغيره، فكفى الله همه!»[(١)].

وقد خلفه داوود الرومي في العام التالي، غير أن ثلاثة مراسيم للشريف جاءت مع قاصده القائد أحمد بن نصر الحسني، اثنان من الباب العالي، والثالث بمضمونهما من نائب القاهرة[(٢)].

* * *

إن انحدار الإدارة العثمانية فيما بعد استتبع حتماً انحدار إدارة الولايات العربية، ومنها الحجاز واليمن، وقد رأى بعض الباحثين الأوربيين بأن اشتهار الحكومة المركزية بأنها أساءت إلى حد كبير إدارة الولايات العربية، بل وبأنها أهملتها بالكامل تقريباً حتى شاع الفساد وانعدم الانضباط، ويعزو ذلك «إلى أن هذه النظرة السلبية في جانب منها تعود إلى هزال درايتنا بالعلاقات بين قيادات الولايات والحكومة المركزية، ولا سيما بالأوامر التي تُعبِّر سياسة الحكومة عن نفسها من خلالها في الولايات. والحال أن المراسلات بين الولاة والقضاة واستانبول ولا سيما الأوامر السلطانية، والتي تسمح وحدها بتكوين فكرة عن الأسلوب الذي حكمت الولايات عبره من المركز لم تشكل بعد موضوع بحث مسهب إلى حدٍّ ما»[(٣)]. وبأن هذا شكل فجوة واسعة تشكو منها معلوماتنا لتصبح الافتراضات والميل إلى التخمين أو الاستنتاج هو الأغلب.

ومع ذلك، وبغض النظر عن حقيقة توافر المادة أو ندرتها، وفيما نحن

---

(١) المصدر نفسه: ١/٤١٦ و ٤٢٤.

(٢) المصدر نفسه: ١/٤٦٩ - ٤٧٠.

(٣) أندريه ريمون: الولايات العربية (القرن السادس عشر - القرن الثامن عشر)، تاريخ الدولة العثمانية، إشراف روبير مانتران، مرجع سبق ذكره: ١/ ٥٢٤.

بصدده - العلاقة بين المركز في استانبول وطريقة توجيه الأوامر الإدارية والمراسيم السلطانية إلى الحجاز - نجد مثالاً آخر على درجة من الغرابة، سبق أن تنبه له أحد المؤرخين المعاصرين[١]، فقد ذكر مؤلف خلاصة الكلام في حوادث سنة ١٠٤٧ هـ/ ١٦٣٧ م، بأن بشير آغا الطواشي، من مماليك السلطان مراد الرابع (١٠٣٢ - ١٠٤٩ هـ/ ١٦٢٣ - ١٦٤٠ م)، الذي كان حظياً عنده، حج في هذه السنة وكان يحمل تفويضاً سمّاه (دستوراً) من السلطان بعزل وتولية من يرى توليته وعزله في البلاد التي يمر بها، فلما انتهى إلى مصر خرج واليها إلى لقائه في ظاهرها وقبّل ركبته ومشى بين يديه إلى أن أذن له بالركوب، فلما انتهى خبر ذلك إلى الشريف زيد - أمير مكة والحجاز في حينه - عزَّ عليه أن يمشي في ركاب الطواشي، فاستشار الشيخ عبد الرحمن المحجوب - وكان من رجال العلم والفضل الصالحين - فقال له: أسأل الله أن يكفيك ذلك. فاستُجيبت دعوته، لأن بشير آغا ما كاد يصل مكة حتى سبقه إليها خبر وفاة السلطان مراد[٢]، وبذلك بطل مفعول التفويض الذي يحمله. ودخل بشير آغا فقابله الشريف زيد مقابلة عادية وصافحه ثم ركض زيد بفرسه حتى تقدم عليه، وعزّاهُ في السلطان فتضاءل بشير آغا لأنه كان يظن أن خبر الوفاة مجهول في مكة[٣].

وبالعودة إلى ذكر الشريف محمد أي نمي الثاني بن بركات الحسني الذي خلف والده - فيما تقدم قبل قليل - واستطال حكمه وعمره حتى بلغ الثمانين، نجد أنه حافظ على تقاليد والده حين التمس من السلطان أن يكون ابنه أحمد مشاركاً له في الحكم، فصدر بذلك أمر سلطاني، وصادف في مطلع العام ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨ م أن وصل من مصر القائد

(١) السباعي (أحمد): تاريخ مكة، ٣٧١ - ٣٧٢.

(٢) توفي شاباً في ١٦ شوال سنة ١٠٤٩ هـ/ ٨ شباط (فبراير) ١٦٤٠ م، بعد أن كان قد هزم الفرس ووقع معهم صلحاً قُبيل وفاته.

(٣) ابن زيني دحلان: خلاصة الكلام، ٧٥ - ٧٦.

العسكري سليمان باشا الخصيّ رسولاً قاصداً من والي مصر ليبلغ الشريف أبا نمي بقرب وصول الحملة العثمانية المتجهة إلى الهند لمواجهة البرتغاليين (الإفرنج)، والتي ستنطلق من كمران في العاشر من محرم. وقد كان أحمد بن الشريف أبي نمي في مقدمة المستقبلين للباشا في ميناء جدة، وقد مكث الباشا إلى نهاية موسم الحج، فقرر الشريف أن يرسل ابنه أحمد بمعيته إلى مصر في طريقه مبعوثاً منه إلى السلطان سليمان في استانبول، وكان في السابعة عشرة من عمره، وقد تلقى الشريف رسائل عدة وأخبار من ولده من القاهرة آخرها إبلاغه بالتوجه مع سليمان باشا ومرافقيه إلى استانبول في منتصف شهر ربيع الثاني سنة ٩٤٦ هـ/ ١٥٣٩م[١]. وقد وصل بعد ذلك إلى عاصمة الخلافة واستقبله السلطان ومن معه وأكرَم قدومه وأحسن استقباله، وبارك مشاركته لأبيه في الإمارة. ويكون بهذا ثاني شريف قابل خليفة المسلمين وخادم الحرمين الشريفين كما كان من والده من قبل حين استقبله السلطان سليم الأول في القاهرة قبل نحو ربع قرن، إلا أنه أول أمير عربي يتشرف بزيارة مركز الدولة. ولم يطل العمر بالأمير الشاب أحمد فقد تُوفي بعد خمس عشرة سنة في عام ٩٦١ هـ/ ١٥٥٤ م وعمره لم يتجاوز الثانية والثلاثين، «فلما توفي التمس مولانا الشريف من السلطنة أن يكون عوضه السيد حسن أكبر أولاده. فجاءت التشريفات والمراسيم والخلعة من السلطنة للشريف حسن في مشاركة أبيه في ولاية مكة وزينت البلد سبعة أيام»[٢].

وقبيل ذلك بثلاث سنوات كانت فتنة قد حدثت بين الشريف أبي نمي سنة ٩٥٨ هـ/ ١٥٥١ م وأمير الحج محمود باشا حين كان الشريف أحمد ينوب عن والده، وكادت تُودي بكثيرين. وبعد أن تعرض الحجاج للنهب

---

(١) ابن فهد المكي (جار الله): كتاب نيل المنى: ٢/٧٤٦ - ٨٠١ وهنا تنتهي أخبار المؤلف.

(٢) ابن زيني دحلان: خلاصة الأثر، ٥٥.

وتعطلت أكثر شعائر الحج، وقد تداركها الشريف بعد أن رحل محمود باشا متوعداً بعزل الشريف والانتقام منه، غير أن الخبر لما بلغ عاصمة الخلافة «أرسلوا التأييد والاعتذار للشريف عمّا وقع من محمود باشا، وأنه قوبل بما يستحقه من النكال..»[(١)].

* * *

أصبح حسن بن أبي نمي الثاني منذ وفاة أخيه أحمد، مساعد والده وشريكه في الحكم، وبوفاة والده عام ٩٩٢ هـ/ ١٥٨٤ م أصبح أمير مكة وشريف الحجاز مدعوماً بفرمان سلطاني، وقد وصفه مترجموه بالعقل والحكمة والعدل، ولعله آخر الأشراف المهمين، ويعد أطولهم عمراً ومن أبرز آل أبي نمي[(٢)]. ولا نكاد نجد أي تفاصيل لطبيعة العلاقة مع عاصمة الخلافة باستثناء ما يتكرر في مواسم الحج من استقبال للمحامل أو نحو ذلك، حتى كان عام ١٠٠٨ هـ/ ١٦٠٠ م حين كتب الشريف حسن كتاباً «إلى الباب العالي بتوجيه الأمر إلى أكبر أولاده الشريف أبو طالب»، ولكنه أجّل ذلك للعام الثاني فأجيب إلى ذلك «ووصل الأمر الشريف السلطاني - أواخر السنة المذكورة - بأن يكون مولانا الشريف أبو طالب مشاركاً له ودُعي لهما على المنابر». ولم تمهل الأقدار أبا طالب فقد توفي بعد والده بعامين ١٠١٢ هـ/ ١٦٠٣ م[(٣)].

---

(١) ابن زيني دحلان: خلاصة الكلام ٥٣ - ٥٤؛ يذكر العصامي الحادثة في سنة ٩٥٥ هـ، وبأن محمود باشا كان أمير الحج المصري (سمط النجوم العوالي): ٤/ ٤٣١.

(٢) المحبي (محمد): خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت: ٢/ ٢ - ١٤ العصامي: سمط النجوم: ٤/ ٣٦٠، العيدروس (محيي الدين): النور السافر عن أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥ م: ٣٣٩ وما بعدها، وقد وهم في سنة وفاة الشريف أبي نمي فذكر أنه في سنة ٩٩٠ هـ؛ ابن زيني دحلان: خلاصة الكلام، ٥٦ - ٦١ وقد نقل عن السابق.

(٣) البلادي: الإشراف على تاريخ الأشراف، ٣١٦ - ٣٢٤.

لقد خلّف الشريف حسن عدداً كبيراً من الأبناء تجاوز العشرين، توفي بعضهم في حياته، وتولى بعضٌ منهم ومن أولادهم الشرافة مُدداً قصيرة لم يطل بعضها عن مئة يوم[1]، ودخلوا في خلافات وصدامات تكررت كثيراً بقية الحقب التالية، كما كان لها آثارها السيئة على الحجاز وأهله، وكذلك على طبيعة العلاقة بين الأشراف ومراكز الدولة ممثلة بالسلطان والصدر الأعظم وإدارته في الباب العالي. ويذكرنا مسعى واحد من أولئك الأحفاد الطامحين للحكم برحلة الملك الضليل الشاعر الكبير امرئ القيس إلى القسطنطينية. فبعد محاولة غير ناجحة لطلب عون إمام اليمن المؤيد بن القاسم بن محمد (ت ١٠٥٤ هـ/ ١٦٤٤ م)، حين زاره ومدحه في مقر حكمه شهارة سنة ١٠٣٨ هـ/ ١٦٢٩ م، قام الشريف الأديب الشاعر أحمد بن مسعود حفيد الشريف حسين بن أبي نمي، بعد ذلك بعامين برحلة طويلة من مكة إلى القسطنطينية عبر بلاد الشام قاصداً السلطان مراد في مقر ملكه «واجتمع به ومدحه بقصيدة فريدة وسأله فيها توليته مكة المشرفة، وأنشده إياها في أواخر شوال سنة ١٠٤١ هـ، ومطلعها يقول:

ألا هُبي فقد بكر الندامى ومج المرج من ظلم النّداما

ويقال: إن السلطان أجابه لتحقيق أمله وأجزل صلته، غير أن الموت لم يمهله في قصة يبدو عليها الوضع، فقد: «قيل: إنه سُمّ في ختمة قرآن أتى إليها بعض الأشخاص في هيئة درويش فأهداها إليه.. فلما قبلها السيد أحمد سقط فُوه! فكان ذلك سبب موته»[2].

---

(١) نفسه: ٣٥٧.

(٢) العصامي: سمط النجوم، ٤/٤٤٨ - ٤٥٤ وقد أثبت القصيدتين اللتين مدح بهما الإمام المؤيد والسلطان مراد، وقد ترجمه المحبي في خلاصة الأثر: ١/٣٥٩ وعلق المؤرخ البلادي على هذه القصة بقوله بأنها تشبه قصة امرئ القيس، ومن يستنجد بالروم لا ينال ما يروم!» (الإشراف: ٣٥٧ - ٣٦٢).

ومن بين أشراف هذه الفترة الممتدة إلى آخر القرن برز الشريف زيد بن محسن من أحفاد حسن بن أبي نمي[١]، الذي كان والده ضحية الاقتتال بين المتنافسين، وفرّ معه إلى صنعاء حتى توفي الأب بها، فعاد محسن إلى الحجاز في فترة قتل فيها الشريف أحمد بن عبد المطلب وعزل آخر بعده، فقام محسن بمراسلة والي مصر الذي أرسل إليه قوة عسكرية بقيادة سبعة أمراء للقضاء على الفتن، وكان ذلك عام ١٠٤١ هـ/ ١٦٣١ م «ورد أمر سلطاني مضمونه أن العجم (الإيرانيين) لا يحجون البيت ولا يزورون قبر النبي ﷺ ، ثم بعد النزول نادى منادي الشريف على الموجود منهم في ذلك العام أن يخرجوا إلى السفر سابع ذي الحجة ولا يحجون بعد عامهم هذا، ودار عليهم العسكر وأخرجوهم من بين الحجاج فخرجوا على أشنع حال..»[٢]، وقد عكس هذا الأمر طبيعة الصراع والحرب الدائرة وقتها بين إيران و العثمانيين.

وكان ابنا الشريف زيد (أحمد وسعد) شريكين فيما بعد في شرافة مكة لبعض الوقت حتى عُزلا، فتوجها عن طريق والي الشام إلى القسطنطينية عام ١٠٨٥ هـ/ ١٦٧٥ م، ومكثا هناك عدة سنوات اضطربت خلالها أوضاع الحجاز مجدداً واختلف الأشراف فيما بينهم كثيراً. ويبدو أن الشريف أحمد كانت له شخصية مميزة إلا أنه قليل الحظ، وقد أطنب في وصفها معاصره ورفيق رحلته المؤرخ المحبي[٣] الذي ذكر أن السلطان[٤]

---

(١) يذكر البلادي بأن هذا الشريف هو جد الأشراف ذوي زيد المعروفين اليوم في مكة والطائف، ويعرف عهد بنيه بدولة ذوي زيد دامت إلى نهاية القرن الثالث عشر مع تناوب يحدث بينهم وبين بني عمهم (الإشراف على تاريخ الأشراف: ٣٦٢).

(٢) ابن زيني دحلان: خلاصة الكلام، ٧٥.

(٣) المحبي: خلاصة الأثر، ١/ ١٩٠ - ١٩٦.

(٤) لعله السلطان محمد الرابع بن إبراهيم الأول المخلوع من السلطنة كأبيه من قبله سنة ١٠٩٨ / ١٦٨٧ م.

استدعاه وقابله مقابلة فيها كثير من التقدير والإجلال وخاطبه بقوله: «.. يا شريف أحمد، الحجاز خراب أريدك أن تصلحه، فامتثل ذلك..»، وأصدر الأوامر السلطانية بتعيينه، وتوجه من فوره إلى الحجاز عن طريق دمشق، فدخل مكة ٧ ذي الحجة سنة ١٠٩٥ هـ/ ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٦٨٤ م، في أبهة بالغة يحيط به محمل مصر وعسكره وعسكر الشام وجدّة وحاكمها أحمد باشا، وقد استمر في الإمارة حتى وفاته يوم ٢١ جمادى الأولى سنة ١٠٩٩ هـ/ ٢٣ آذار (مارس) ١٦٨٨ م، وولي بعده الشريف سعيد ابن أخيه سعد، ثم عزل وتولى شريف آخر هو أحمد بن غالب.. وهكذا دواليك[1]..

وحين كان الشريف أحمد بن زيد هذا في استانبول كان الشريف بركات بن محمد هو الأمير على مكة والحجاز، وفي عام ١٠٩٣ هـ/ ١٦٨٢ م خرج عليه مغاضباً الشريف أحمد بن غالب، وخرج لخروجه نحو ثلاثين من الأشراف، «وسار متوجهاً إلى الأبواب السلطانية شاكياً من الشريف بركات..»[2]. ويبدو - كما تقدم - أن الأمر قد حُسم لصالح الشريف السابق، كما أن الشريف بركات تُوفي في العام التالي أيضاً.

## (أزدمر باشا) يعيد السيطرة العثمانية على ولاية اليمن: (٩٦٢ هـ/ ١٥٥٤ م)

كان الأمير أزدمر باشا، في الأصل، من مماليك مصر الذين دخلوا في خدمة السلطان سليم الأول، وكان مع سليمان الخادم في حملته إلى اليمن

(١) المحبي: خلاصة الأثر، ١/١٩٧؛ ولا يعتد بما أورده ابن زيني الدحلان في خلاصة الكلام: (ص ٩٠)، من أنه عاد سنة ١١٣٠ م، وبأنه تولى شرافة مكة أربع مرات هذه أولها، أما العصامي فهو ينقل عن المحبي وهو الأوثق والمعاصر للشريف أحمد. انظر: (سمط النجوم العوالي: ٤/٥٥٧ - ٥٦٠،، وراجع: البلادي: الإشراف، ٣٧٧).

(٢) البلادي: الإشراف، ٣٨٠.

والهند - المتقدم ذكرها - وتدرج في المناصب العسكرية والإدارية (العثمانية) في مصر ثم في اليمن حتى أصبح أحد القادة والأمراء المرموقين مع تحلّيه بسمعة طيبة بين الأهالي والجنود، وتميزه بالحنكة والشجاعة[١].

تمكن أزدمر باشا بعد أن تولى قيادة القوات من إخماد الفتن وإعادة تنظيم قواته والتقدم نحو العاصمة صنعاء للاستيلاء عليها بعد أن كان قائد القوات اليمنية الأمير المطهر شرف الدين قد غادرها محتمياً في حصن (ثُلا) على بعد نحو ٣٠ كم شمالاً. وخلال ست سنوات من الحروب والقتال تمكن أزدمر باشا من مدِّ السيطرة العثمانية على معظم البلاد، لكنه فشل، رغم حصاره الطويل في إخضاع قائد المقاومة اليمنية المطهر شرف الدين، واضطر آخر الأمر إلى توقيع صلح معه، تم خلاله ولأول مرة تبادل الرسائل بين المطهر والسلطان سليمان القانوني، وقد نقل رسالة السلطان الوالي الجديد مصطفى باشا النشار الذي سبق أن كان والياً باليمن قبل تسعة أعوام وخلف أزدمر باشا، وقد أفادنا المؤرخ الرسمي للدولة (النهروالي) كثيراً بإثبات نص الرسالتين في كتابه[٢]، وقد حملت رسالة السلطان كثيراً من الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، في حين كان رد المطهر شكوى مبطنة ممن سبق من الولاة والقادة الفاسدين، وتعذر رفع الحقائق إلى السلطان، ثم أملاً وثناءً على الوالي النشار الذي مكث حتى توفي باليمن بعد أقل من عامين (سنة ٩٦٤ هـ/ ١٥٥٦ م). أما أزدمر باشا فقد غادر عام ٩٦٢ هـ/ ١٥٥٤ م بعد استقرار الأحوال في هذه المرحلة، وكلفه السلطان بمهمة أخرى في الحبشة، وبها - أيضاً - كانت

---

(١) النهروالي: البرق اليماني، ٩٥ - ٩٧، سالم (د.سيد) الفتح العثماني: ١٦٨ - ١٦٩، العمري (د. حسين) تاريخ اليمن الحديث: ١٨.
(٢) النهروالي: (قطب الدين) البرق اليماني، ١٠٩ - ١١٧.

وفاته عام ٩٦٧ هـ/ ١٥٦٠ م، ودفن بمصوع وخلفه ابنه عثمان باشا؛ ربما تقديراً لمكانة أبيه ودوره المميز فيما قام به[١].

**الفتح العثماني الثاني لليمن**

لم يدم استقرار الأوضاع للعثمانيين طويلاً، وقد مثلت ولاية محمود باشا (٩٦٨ - ٩٧٣ هـ/ ١٥٦٠ - ١٥٧٠ م) مثالاً سيئاً لسوء الإدارة وفسادها «فقد مارس كل وسائل الظلم وسفك الدماء في سبيل جمع المال حتى يحقق طموحاته في تولي المناصب العليا في السلطنة، وكان قد اقترح بعد أن قفز من اليمن إلى حكم مصر، تقسيم اليمن إلى ولايتين، مما زاد من ضعف السيطرة العثمانية فيها»[٢]. وما كاد خلفه رضوان باشا يصل اليمن حتى تقرر ذلك التقسيم، واضطربت الأمور بزيادة الضرائب وكثرة الحوادث، كما كان لاستعانته ببعض قبائل الفرقة الإسماعيلية أثر سلبي، وكانت متعاونة بشكل عام مع العثمانيين «وكان أزدمر باشا كتب لهم خطوطاً واستخرج لهم مراسيم سلطانية، وأعطى الشيخ محمد بن إسماعيل سنجقاً، وكان لهم الإعزاز والإكرام الكلي، لأنه لم يكن للزيدية غريم سواهم»[٣]، ومع ذلك فقد انقسمت الإسماعيلية. وكان كل ذلك لصالح قائد المقاومة اليمنية المطهر شرف الدين الذي دعا للثورة ونقض الصلح، وتمكن في وقت وجيز من إجلاء العثمانيين عن صنعاء وشمالها وجنوب البلاد وتمكن من مطاردتهم حتى حاصر فُلولهم في زبيد. وقد أدى انهيار السيطرة العثمانية إلى إعداد حملة كبيرة بقيادة سنان باشا (الوزير) (٩٧٦ - ٩٧٨ هـ/ ١٥٦٩ - ١٥٧٠ م) الذي تمكن بعد معارك شديدة من أن يسترد كثيراً من المناطق التي سيطر عليها المطهر، وأعاد ما

(١) المصدر نفسه: ١١٨ - ١٢٠.

(٢) سالم (د. سيد): الموسوعة اليمنية، ٢/ ٦٣٩.

(٣) النهروالي: البرق اليماني، ١٦٩.

أسماه بعض المؤرخين (بالفتح العثماني الثاني لليمن)[١]، رغم أنه في نهاية المطاف فشل في القضاء على مقاومة المطهر، وخضع لعقد صلح معه، كما سبق أن وقع مع ابن أخيه محمد بن شمس الدين في ١٠ ذي الحجة عام ٩٧٧ هـ/ ١٦ أيار (مايو) ١٥٧٠ م[٢]. وعلى الرغم من الخلاف بين بعض المؤرخين في درجة الأهمية لحملة سنان باشا التي ساقته بعد ذلك لتبوُّء مناصب عليا، كان منها الصدارة العظمى في (دار السعادة) استانبول، «فقد نجحت في إعادة السيطرة العثمانية إلى اليمن، كما كانت بداية لعهد طويل من السيطرة»[٣] امتد لأكثر من ثلاثة عقود.

* * *

في العام الثالث لولاية بهرام باشا الذي خلف سنان باشا (عام ٩٧٨ هـ/ ١٥٧٠ م) توفي زعيم الجبهة الزيدية وقائد المقاومة اليمنية المحنّك المطهر ابن الإمام شرف الدين (في رجب ٩٨٠ هـ/ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٥٧٢ م)، ولم يكن في أبنائه أو أسرة (شرف الدين) من يعتد به. وبوفاته انتهى دور (آل شرف الدين) في الزعامة والحكم (الإمامة)، وإن بقي لهم ما بقي من مكانة في مسقط رأس الأسرة (كوكبان)، وبرز منهم أعلام ساهموا في الحياة الثقافية والسياسية فيما تلا من تاريخ البلاد[٤].

---

(١) المصدر السابق، ٢٠٩. وانظر: د. سالم (سيد): الفتح العثماني، ٢٣٥.

(٢) نفسه، ٢٩٤ وما يليها، ٤١٧ - ٤٢١؛ د. سالم (سيد)، ٢٧٠.

(٣) بعد أن تولى سنان باشا ولاية مصر للمرة الثانية، وقام بحملة بحرية استعاد بها تونس، وأخرى إلى فارس، عاد إلى استانبول ليتولّى سدة الصدارة العظمى خمس مرات، حتى توفي عام ١٠٠٤ هـ/ ١٥٩٦ م (النهروالي، نفسه: ٤٥٧ - ٤٧٤ وهو نهاية البرق اليماني، د. سالم: ٢٨٣ - ٢٨٤ حاشية).

(٤) الشوكاني (محمد بن علي): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر، بيروت (١٩٩٨م): ١٢٠، ٣٦٨ - ٣٧٥، (ترجمة المطهر شرف الدين): ٨٢٦، العمري (د. حسين بن عبد الله): مئة عام من تاريخ اليمن الحديث (ط٢) دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢ م، ٢٣، ١٧٢.

لقد سجلت وفاة المطهر تدهور المقاومة الزيدية وتداعيها، فلم يتمكن الإمام حسن بن علي داوود المؤيدي - الذي أعلن إمامته في الأهنوم (شمال صنعاء) عام ٩٨٦ هـ/ ١٥٧٧ م - من الصمود في وجه القوات العثمانية التي تمكنت من أسره والقبض على أولاد المطهر شرف الدين في مناطق متفرقة من شمال البلاد، ومن ثم نفيهم إلى الأستانة عام ٩٩٤ هـ/ ١٥٨٦ م، إذ مات فيها الإمام المؤيدي سنة ١٠٢٤ هـ/ ١٦١٥ م، وتوفي الآخرون بمحبسهم هناك[1]. وتكاد الفترة التي حكم فيها الوالي حسن باشا الوزير (٩٨٩ - ١٠١٣ هـ/ ١٥٨٠ - ١٦٠٤ م)، والتي استمرت نحو ربع قرن تكون من أطول فترات الاستقرار النسبي التي تحقق فيها بسط السيطرة المركزية للولاية العثمانية، وأتاحت لهذا الوالي - بحسن سياسته - تسيير (محمل الحج اليمني) - ذي الأهمية الدينية - عبر المناطق الشمالية والتهامية إلى الحجاز ليضفي شرعية سياسية ودينية وسلمية على تلك المناطق، كما أنجز بعض المشاريع العمرانية والزراعية والإصلاحية العامة.

## ثورة القاسم بن محمد وخروج العثمانيين من اليمن (١٠٠٦ - ١٠٢٩ هـ/ ١٥٩٧ - ١٦٢٠ م)

لم يطل عهد ذلك الاستقرار - النسبي - طويلاً، ففي مطلع عام ١٠٠٦ هـ/ ١٥٩٧ م - وبعد مضي ربع قرن على وفاة المطهر شرف الدين، وستين عاماً على الوجود العثماني - انطلقت أخطر ثورة ضد ذلك الوجود قادها الإمام القاسم بن محمد، وهو كذلك من أحفاد الإمام الهادي يحيى بن الحسين، لكنه من فرع انقضى عليه زمن بعيداً من المشاركة في الحكم وشؤون السياسة، وليؤسس القاسم بن محمد حكم أسرته (بيت القاسم)

(١) العمري (د. حسين بن عبد الله): تاريخ اليمن الحديث والمعاصر (ط٢)، ٢١.

التي توارثت الحكم من بعده حتى قيام ثورة ٢٦ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٦٢م، فكانت بذلك أطول من حَكَم مِن مُختلف فروع الأسر والبيوت الهاشمية اليمنية في تاريخ الدولة الزيدية الطويل[١].

استمرت ثورة القاسم بن محمد أكثر من عشرين عاماً (١٠٠٦ - ١٠٢٩ هـ/ ١٥٩٧ - ١٦٢٠ م) - وعلى مراحل مختلفة - تمكن في آخرها من توقيع صلح لعشر سنوات مع الوالي العثماني محمد باشا عام ١٠٢٨ هـ/ ١٦١٩ م منح القاسم بموجبه حكم المناطق الشمالية بصنعاء. وقد توفي في العام الثاني بعد أن أصبح الإمام المعترف بشرعيته ومكانته الكبيرة من العثمانيين واليمنيين على السواء، وقد خلفه ابنه الأكبر محمد المؤيد (ت ١٠٥٤ هـ/ ١٦٤٤ م). وفي العام الثامن من حكم المؤيد انتقض الصلح مع العثمانيين واشتد القتال ضد وجودهم في مختلف المناطق حتى تم حصرهم أخيراً في زبيد، وتم استسلامهم ورحيلهم عن اليمن نهائياً بأمان بحراً إلى مصر في جمادى الآخر عام ١٠٤٥ هـ/ تشرين الأول (أكتوبر) ١٦٣٦ م. وكانت اليمن أول ولاية تنفصل عن الدولة العثمانية ويحكمها - مستقلة - الأئمة من بيت القاسم نحو قرنين، حتى عاد الأتراك ثانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[٢].

أما الحجاز الذي استمرت تبعيته إلى (دار السعادة) استانبول، فلم تتغير كثيراً تلك العلاقة إلا بقدر ضعف مركز الأشراف وصراعهم فيما بينهم، أو تكرار الإمارة والعزل (الخلع) وتدخل الباب العالي في كل ذلك. ففي مطلع القرن، لم يكد يصل المرسوم السلطاني في شهر ذي القعدة ١٠٩٩ هـ/ تشرين الأول (أكتوبر) ١٦٨٨ م بتولية الشريف أحمد بن غالب خلفاً للشريف أحمد بن زيد، حتى كان الخلاف قد نشب بين

(١) العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ٢٣.

(٢) نفسه: ٢٤ - ٢٧. وانظر: سالم (د. سيد)، ٣٨٥ - ٣٨٩.

الشريف أحمد وآخرين من الأشراف، وأعلن (ذوو زيد) عصيانهم، وتوجهوا إلى ينبع ونادوا فيها بإمارة محسن بن الحسين بن زيد، كما أعلن جماعة من ذوي عبد الله (العبادلة) العصيان، وتوجهوا إلى القنفذة فاحتلوها وقطعوا الطريق إلى اليمن، وكان هذا الشريف قد «أعلن للتجار والأغنياء أن يقدموا زكاتهم إلى دار الإمارة لتتولى صرفها»، ولعل هذا قد استغل من أعدائه. وهكذا عمَّت الفوضى واضطراب الأمن، وعندها اضطر الشريف أحمد أن يغادر مكة ٢٢ رجب ١١٠١ هـ/ ٣٠ نيسان (أبريل) ١٦٩٠ م بعد أن حكمها سنة وتسعة وعشرين يوماً، والتجأ إلى إمام اليمن [المهدي صاحب المواهب: ١٠٩٧ - ١١٣٠ هـ/ ١٧٨٦ - ١٧١٨ م] «وجادله ليساعده على استرداد الحكم في مكة فلم يقبل، ثم ما لبث أن طيَّب خاطره وولاه حكم عسير، وكانت تابعة لحكم اليمن، ثم أضاف إليه بعض الإمارات، وقد ظل في حكمه نحو ٤ سنوات»[١]. وقد عاد إلى مكة ثم غادرها إلى تركية وبها توفي عام ١١١١ هـ/ ١٦٩٩ م أو عام ١١١٣ هـ/ ١٧٠١ م، في وقت تكرر فيه ولاية وعزل آخرين، واستمر ذلك فيما بعد متخللاً قتالاً وفتناً وتدخّلاً وأوامر من الباب العالي بدعم أو عزل.. وهكذا[٢]..

ولعل المثال الآتي نموذجٌ كاد أن يتكرر إلى آخر القرن، فيحيى بن بركات الذي نودي به أميراً على البلاد في ٦ ذي الحجة عام ١١٣٠ هـ/ ١٧١٨ م بدلاً عن شريف، غادرها دون مقاومة بعد ولاية لم تتجاوز بضعة أشهر، لم يطل به العهد كذلك فعزل، بيد أنه «استطاع أن يتصل بالخليفة في دار السلطنة ويرجوه تأييده، فلم يستطع الخليفة أن يخيب ظنه، فأمر

---

(١) ابن زيني دحلان: خلاصة الكلام، ١١٢ - ١٢٥، السباعي (أحمد): تاريخ مكة، ٣٩٢ - ٤١٧.

(٢) المصدر نفسه.

بتعيينه في الإمارة متغافلاً عن وجود الأمير مبارك الذي يتولى حكمها بمرسوم صحيح.. تغافل عن كل هذا، وأمر بأن تدعم أوامره الجديدة بقوة أمراء الحج الشامي والمصري العسكرية، وبذلك أثار الفتنة التي كانت نائمة، وأتاح الفرصة للمتقاتلين لتشتبك أسلحتهم في زحام موسم الحج.. وبذلك تم لآل بركات العودة إلى الإمارة في شخص يحيى بن بركات وهي الولاية الثانية له»[١].

* * *

ومثال آخر تكررت فيه خلال أقل من عقدين من الزمن ولايات شريف وعزله بآخر حتى كان عام ١١٤٥ هـ/ ١٧٣٢ م حين جاء الشريف مسعود بن سعيد عقب فتن واقتتال مع ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله، لكنه لم يلبث في هذه الولاية الأولى سوى ثلاثة أشهر تغلب عليه بعدها ابن أخيه بعد حشده قبائل وأنصاراً، وبات أمير مكة للمرة الثانية لعام وثمانية عشر يوماً!، تمكن العمّ بعدها أخيراً من حسم الأمر لصالحه فدخل مكة منتصراً يوم الخميس السابع من شهر رمضان سنة ١١٤٦ هـ/ ١٠ شباط (فبراير) ١٧٣٤ م[٢]. وبعودته الثانية هذه واعتراف السلطنة به استمر حكمه قوياً لعشرين عاماً، أثبت في أثنائها كفاءته الإدارية للبلاد، واستطاع أن يسوس الأشراف والآهلين سياسة حكيمة، وأن يعيد ابن أخيه ومنافسه إلى مكة ويشمله بطيبته.. وتمتعت البلاد بنصيب طيب من الطمأنينة والهدوء.. إلا أن ذلك جميعه لم يكن ليحول دون بعض الفتن التي لا يخلو منها زمان في مكة..»[٣].

---

(١) السباعي: تاريخ مكة، ٤١٧ - ٤١٨ معتمداً على خلاصة الكلام، ١٧٥.
(٢) ابن زيني الدحلان: خلاصة الكلام، ١٨٦ وما بعدها.
(٣) السباعي: تاريخ مكة، ٤٢٧ - ٤٢٨.

## خاتمة

**وقد حدث في وقته حادثتان جديرتان بالذكر**

الأولى: ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ/ ١٧٩٢ م) في نجد في بداياتها الأولى، وقبل أن يقضي محمد علي باشا والي مصر على دولتها السعودية الأولى في مطلع القرن التاسع عشر، ولم يسمح للنجديين في هذا العهد بالحج.

والثانية: ما ذكره المؤرخ الدحلان من المشكل الذي وقع فيه الشريف مسعود سنة (١١٥٥ هـ/ ١٧٤٢ م) بقبوله التدليس بأن الخليفة العثماني محمود الأول (ت ١١٦٨ هـ/ ١٧٥٤ م) الذي كان في حرب مع الفرس اتفق مع نادر شاه القائد الفارسي المغتصب للعرش (قتل سنة ١١٦٠ هـ/ ١٧٤٧ م) على قبول المذهب الجعفري في مكة، ويذكر في المنابر الدعاء لهم كالمذاهب الأربعة. وقد اضطربت الأخبار والآراء حول ذلك، وخشي الشريف مسعود من التهمة بالتشيّع للمذهب الجعفري لتحفظه في تسليم الإمام الجعفري المرسل إلى مكة حتى يأتي جواب السلطان عليه في ذلك، فأمر: «أن يجهروا على المنابر والمقام بلعن الرافضة وأهل البدع اللئام، فزال من خواطرهم ذلك الاتهام، وجاء الأمر من الدولة العليّة بتكذيب ما افتراه شاه العجم، وطلبوا ذلك الرسول - وهو السيد نصر الله - ليحضر إلى الباب العالي، فتوجه صحبة أمير الحاج الشامي أسعد باشا في ذلك العام»[1]. وقد توفي الشريف مسعود سنة ١١٦٥ هـ/

---

(١) الدحلان: خلاصة الكلام، ١٩٣.

١٧٥٢ م وخلفه أخوه مساعد بن سعيد الذي واجه من اليوم الأول معارضة بعض الأشراف من آل بركات، ولعقد من الزمان ومن الحروب والخلاف حتى عاد ثانية مساعد بن سعيد للإمارة واستقر له الأمر إلى عام ١١٨٢ هـ/ ١٧٦٨ م حين نشب الخلاف من جديد بينه وبين جماعة من آل بركات تزعمهم عبد الله بن حسين بن يحيى البركاتي الذي هُرع آخر الأمر إلى والي مصر الثائر ضد العثمانيين محمد علي بك بلوط مستنجداً به، فأمر أمير الحج المصري «بأن يصحبه إلى مكة وأن يساعده على توليته الإمارة، وذلك سنة ١١٨٣ هـ/ ١٧٦٩ م»[(١)]، غير أن الأمر لم يتم بعد أن أجهضه شريف آخر هو الشريف عبد الله بن سعيد في مطلع عام ١١٨٤ هـ/ ١٧٧٠ م، لينازعه أخوه أحمد فتنازل له حقناً للدماء. واستمرت الأمور على هذا المنوال.. مع ملاحظة الدور المصري في هذه الفترة، والذي انتهى بهزيمة عسكرهم وفرارهم إلى مصر بحراً مع الشريف عبد الله الذي أقام بمصر ثم ارتحل إلى تركية فمات فيها. وكانت الأوضاع العامة سيئة والمجاعة عامة «حتى انقشعت الكروب في أوائل عام ١١٨٥ هـ/ ١٧٧١ م، بورود الغلال من شتى الجهات، وعادت العلاقات بين مكة والعثمانيين إلى سابق عهدها..»[(٢)].

* * *

**الحجاز واليمن في القرن الثاني عشر للهجرة / الثامن عشر للميلاد**

ظل حكم الأئمة الأوائل[(٣)] من بيت القاسم بن محمد، وشكل حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل (١٠٥٤ - ١٠٨٧ هـ/ ١٦٤٤ - ١٦٧٦ م)، الذي أعاد توحيد البلاد من حضرموت جنوباً إلى الحجاز شمالاً فترة

(١) السباعي: تاريخ مكة، ٤٣٣ - ٤٤٠.

(٢) ابن زيني دحلان: خلاصة الكلام، ٢٠٦، السباعي، ٣٣٩ - ٤٤٠.

(٣) انظر قائمة من حكم منهم في الملحق رقم (٢).

ازدهار وقوة للدولة المركزية، بعد أن تخلصت اليمن من هيمنة الآستانة واستبداد وفساد الولاة الأتراك. وتزامنت أحداث القرن وتقلبات أوضاع الأئمة السياسية بين القوة والضعف، مع استمرار الازدهار التجاري لميناء المخا؛ أشهر موانئ المنطقة في التجارة الدولية. وحين كانت اليمن ولاية عثمانية كانت تجارة البن قد وصلت إلى أوربة عن طريق استانبول وعرفت (بالقهوة التركية)، بيد أن الصراع والتنافس بين الشركات الاحتكارية الأوربية الثلاث التي عرفت باسم (شركة الهند الشرقية) (الهولندية والإنجليزية والفرنسية) في القرن السابع عشر ثم الثامن عشر أبعد العثمانيين عن تجارة اليمن عموماً، وبات لِنفاق واتساع تجارة البن اليمني دولياً عن طريق تلك الشركات - بما اشتهر وحتى اليوم بقهوة المخا Mocha Coffee[1]، وقد أسهم ذلك في إنعاش الاقتصاد المحلي بشكل كبير، وكان له مردوده في ازدهار الحياة الأدبية والثقافية واستقرار الحياة السياسية في هذا العصر[2].

* * *

---

(١) C. G. Byouwer: AL - Mukha' voč Amsterdam, 1997.

(٢) انظر العمري (المصدر السابق).

# ملحق رقم (١)

## قائمة بأبرز من حكم من أشراف الحجاز للفترة حتى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة / الثامن عشر للميلاد

١-الشريف بركات بن محمد الحسني (ت ٩٣١ هـ/ ١٥٢٥ م)
٢-الشريف محمد (أبي نمى الثاني) بن بركات (٩٣١ - ٩٩٢ هـ/ ١٥٢٥ - ١٥٨٤ م)
٣-الشريف أحمد بن محمد بن بركات (ت ٩٦١ هـ/ ١٥٥٥ م)
٤-الشريف حسن بن محمد بن بركات مشاركة لأبيهما
٥-الشريف حسن الثاني بن أبي نمي (مستقلاً) (٩٩٢ - ١٠١٠ هـ/ ١٥٨٤ - ١٦٠١م)
٦-الشريف أبو طالب بن حسن الثاني (ت ١٠١٢ هـ/ ١٦٠٣ م)
٧-الشريف زيد بن محسن (حفيد حسن الثاني) (ت ١٠٤١ - ١٠٩٥ هـ/ ١٦٣١ - ١٦٨٤ م)
٨-الشريف أحمد بن زيد بن محسن (١٠٩٥ - ١٠٩٩ هـ/ ١٦٨٤ - ١٦٨٨ م)
٩-الشريف أحمد بن غالب (١٠٩٩ - ١١٠١ هـ/ ١٦٨٨ - ١٦٩٠ م)
١٠-الشريف سعيد بن سعد بن زيد (تولى وعزل خمس مرات أولها: سنة ١٠٩٩ هـ/ ١٦٨٨ م، وآخرها سنة ١١٢٣ هـ/ ١٧١١ م حتى توفي سنة ١١٢٩ هـ/ ١٧١٧م)
١١-الشريف يحيى بن بركات (١١٣٠ - ١٧١٨ هـ) للمرة الثانية (عدد من الأشراف لفترات قصيرة)
١٢-الشريف مسعود بن سعيد (١١٤٥ هـ/ ١٧٣٢ م، الولاية الأولى عزل بابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بعد ثلاثة أشهر، ليعود ثانية أميراً لمكة بعد عام في سنة ١١٤٦ هـ/ ١٧٣٤ م واستمر لعشرين عاماً حتى وفاته سنة ١١٦٤ هـ/ ١٧٥٢ م)
١٣-الشريف مساعد بن سعيد (١١٦٥ - ١١٨٢ هـ/ ١٧٥٢ - ١٧٦٨ م)
(تكرار الصراع والعزل حتى نهاية القرن)
(ابن زيني دحلان: خلاصة الكلام، المحبي: خلاصة الأثر، السباعي: تاريخ مكة؛ وراجع مصادر البحث ومظانه)

# ملحق (٢)

## قائمة بالأئمة من بيت القاسم حتى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة / الثامن عشر للميلاد

١-المنصور القاسم بن محمد (ت ١٠٢٩ هـ/ ١٦٢٠ م)
٢-المؤيد محمد بن القاسم (١٠٢٩ - ١٠٥٤ هـ/ ١٦٢٠ - ١٦٤٤ م)
٣-المتوكل إسماعيل بن القاسم (١٠٥٤ - ١٠٨٧ هـ/ ١٦٤٤ - ١٦٧٦ م)
٤-المهدي أحمد بن حسن (سيل الليل) (١٠٨٧ - ١٠٩٤ هـ/ ١٦٧٦ - ١٦٨١ م)
٥-المؤيد (الصغير) محمد بن المتوكل إسماعيل (١٠٩٢ - ١٠٩٧ هـ/ ١٦٨١ - ١٦٨٦م)
٦-المهدي صاحب المواهب (محمد بن أحمد) (ت ١١٣٠ هـ/ ١٧١٧ م)
٧-المتوكل قاسم بن حسين (ت ١١٣٩ هـ/ ١٧٢٧ م)
٨-المنصور حسين بن قاسم (ت ١١٨٩ هـ/ ١٧٧٥ م)
٩-المهدي عباس بن حسين (١١٦١ - ١١٨٩ هـ/ ١٧٤٨ - ١٧٧٥ م)
١٠-المنصور علي بن عباس (١١٨٩ - ١٢٢٤ هـ/ ١٧٧٥ - ١٨٠٩ م)
(العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ٢٠٤)

# ملحق رقم (٣)

## الولاة العثمانيون في اليمن (الدور الأول)

## (٩٤٥ - ١٠٣٨ هـ/ ١٥٣٨ - ١٦٣٥ م)

١-الأمير بهرام (في عدن) (٩٤٥ - ٩٤٧ هـ/ ١٥٣٨ - ١٥٤٠ م)
-الأمير مصطفى (في زبيد)
٢-مصطفى باشا النشار (للمرة الأولى) (٩٧٤ - ٩٥٢ هـ/ ١٥٤٠ - ١٥٤٥م)
٣-أويس باشا (٩٥٣ - ٩٥٤ هـ/ ١٥٤٦ - ١٥٤٧ /٩
٤-فردهاد باشا (٩٥٤ - ٩٥٦ هـ/ ١٩٤٧ - ١٥٤٩ م)
٥-أزدمر باشا (٩٥٦ - ٩٦١ هـ/ ١٩٤٩ - ١٥٥٤ م)
٦-مصطفى باشا النشار (للمرة الثانية) (٩٦٣ - ٩٦٤ هـ/ ١٥٥٥ - ١٥٥٦ م)
٧-مصطفى باشا قرة شاهين (٩٦٤ - ٩٦٨ هـ/ ١٥٥٦ - ١٥٦٥ م)
٨-محمود باشا (٩٦٨ - ٩٧٣ هـ/ ١٥٦٠ - ١٥٦٥ م)
٩-رضوان باشا (٩٧٣ - ٩٧٥ هـ/ ١٥٦٥ - ١٥٦٧ م)
١٠-مراد باشا (٩٧٤ - ٩٧٥ هـ/ ١٥٦٦ - ١٥٦٧ م)
١١-حسن باشا (٩٧٥ - ٩٧٦ هـ/ ١٥٦٧ - ١٥٦٨ م)
١٢-عثمان باشا (٩٧٦ - ٩٧٧ هـ/ ١٥٦٨ - ١٥٦٩ م)
١٣-سنان باشا (الوزير) (٩٧٧ - ٩٧٨ هـ/ ١٥٦٩ - ١٥٧- م)
١٤-برهان باشا (٩٧٨ - ٩٨٣ هـ/ ١٥٧٠ - ١٥٧٥ م)
١٥-مراد باشا (الوزير) (٩٨٣ - ٩٨٨ هـ/ ١٥٧٦ - ١٥٨٠ م)
١٦-حسن باشا (الوزير) (٩٨٨ - ١٠١٣ هـ/ ١٥٨٠ - ١٦٠٤ م)
(العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، (٢٩)

# قائمة المصادر والمراجع

-ابن الأثير (عز الدين): الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥ - ١٩٦٦م.

-ابن زيني دحلان (أحمد): خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٥ هـ تاريخ أشراف الحجاز (١٨٤٠ - ١٨٨٣ م) وهو القسم الأخير من خلاصة الكلام حققه د. محمد أمين توفيق، دار الساقي / لندن ١٩٩٣ م.

-ابن طولون (محمد بن علي): مفاكهة الخلان في حوادث الزمان تحقيق محمد مصطفى، (القاهرة).

-ابن فهد (عز الدين عبد العزيز بن عمر): غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى / ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨ م.

-ابن فهد المكي (جار الله بن عبد العزيز النجم): كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى. تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م).

-أندريه (ريمون): الولايات العربية (القرن السادس عشر - القرن الثامن عشر)، تاريخ الدولة العثمانية، إشراف روبير مانتران، القاهرة/ باريس ١٩٩٣ م.

- أنيس (د. محمد): الدولة العثمانية والشرق العربي، القاهرة ١٩٦٧ م.

البلادي (عاتق بن غيث): الإشراف على الأشراف، دار النفائس، بيروت ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م.

- توفيق (د. محمد أمين): تاريخ أشراف الحجاز = خلاصة الكلام.

-المحبي (محمد): خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت.

-الخزرجي (علي بن الحسن): العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية سلسلة (جب) ١٩١٣ - ١٩١٨م.

- رافق (د. عبد الكريم): العرب والعثمانيون، دمشق ١٩٧٤ م.

-سالم (د. السيد مصطفى): الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨ - ١٦٣٥ م) معهد البحوث والدراسات العربية / القاهرة ١٩٦٩ م.

-الموسوعة اليمنية مؤسسة العفيف الثقافية - صنعاء (ط١) ١٩٩٢.
-السباعي (أحمد): تاريخ مكة، مطبوعات نادي مكة (ط٧)، ١٩٩٤.
-الشوكاني (محمد بن علي): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق د. حسين عبد العمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٨.
-العصامي (عبد الملك بن حسين): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م (٤ أجزاء).
-العمري (د. حسين بن عبد الله): تاريخ اليمن الحديث والمعاصر: (من المتوكل إسماعيل إلى المتوكل يحيى حميد الدين)، دار الفكر المعاصر، بيروت (٢٠٠٠ م) (ط٢).
- مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر / دمشق (ط٢) ١٩٨٦ م.
-مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، دمشق، دار المختار ١٩٨١م.
-الموسوعة اليمنية (مؤسسة العفيف الثقافية ١٩٩٢ م).
-العلوي (علي بن محمد): سيرة الهادي يحيى بن الحسين، تحقيق د. سهيل زكار، دمشق ١٩٧٤م.
-العيدروس (محيي الدين عبد القادر): النور السافر عن أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥ م.
-الغزي (نجم الدين): الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق د. جبرائيل جبور، دار الآفاق، بيروت (ط٢) ١٩٩٧ م.
-الفاسي (تقي الدين): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد السيد، القاهرة ١٩٦٢ م - ١٩٦٩ م (٨ أجزاء، الأخير منها بتحقيق الطناحي).
-فريد (محمد فريد بك المحامي): تاريخ الدولة العليَّة العثمانية، تحقيق د. إحسان حقي، دار النفائس، بيروت (ط٢) ١٩٨٣ م.
-مانتران (روبير): تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة / باريس (١٩٩٣ م).
-مورتيل (د. ريتشارد): الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، الرياض / جامعة الملك سعود (١٩٨٥ م).
-النهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني، طبع بإشراف حمد الجاسر، الرياض (١٩٦٧).

# شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم[١]

هو العلامة اللغوي الإخباري، نشوان بن سعيد الحِمْيَري اليمني، ينحدر من أسرةٍ كانت قد استقرت في وادي (صَبَر) في الشمال الغربي من مدينة (صعدة) تنتمي إلى نسل حسان ذي مراثد الملك الحميري. تنقل يطلب العلم في مظانه في أرجاء اليمن، قبل أن يشتغل بالقضاء ويعنى بالتأليف. وقام بدورٍ مهم في الحياة السياسية والفكرية، قارع فيها باللسان كثيراً من معاصريه، وقاده طموحه إلى المعاناة وخوضِ غمارِ خطوبٍ كثيرة.

ولقد أحاط بعلوم عصره، فاهتم بالأدب والتاريخ والأخبار والآثار القديمة. يدل على ذلك ما جمعه في كتابه (خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار ملوك التبابعة) من معارف إخبارية وتاريخية غزيرة. والكتاب المذكور عبارة عن شرحٍ مفصل لقصيدةٍ ملحمية نظمها نشوان، يوجز فيها تاريخ اليمن القديم وأخباره من خلال ما رواه الأقدمون.

تميز نشوان باستقلاليةٍ فكرية وبميلٍ إلى الاعتدال والإنصاف، وعاب على المقلدين قصورهم عن إعمال العقل، وأوغل في انتقادهم. كما ربط

---

(١) مُستل من (دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها)؛ مهداة إلى الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن محمد الأنصاري بمناسبة بلوغه السبعين (١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م): ٤٠١ - ٤١٠، ومعلوم أن سفر شمس العلوم هذا قد حققناه بالتعاون مع الأخوين العالمين الأستاذ مطهر بن علي الإرياني والأستاذ الدكتور يوسف محمد عبد الله، وصدر في اثني عشر مجلداً عن دار الفكر عام ١٩٩٩م، دمشق ودار الفكر المعاصر - بيروت.

بين التقليد وضعف الدين، متخذاً من القرآن الكريم وأقوال من سبقه وعاصره، أدلةً تعزز موقفه هذا. ولا أدلّ على ذلك من آرائه المبثوثة في كتابه النفيس الحور العين حيث لم يكن فيه مجرد ناقلٍ لأخبار الفرق والمذاهب، بل ناقداً مميِّزاً للحق من الباطل. ومما يؤسف له بهذا الخصوص ضياع كتابيه (التبيان في تفسير القرآن) و (التذكرة من أحكام الجواهر والأعراض) ففيهما من المسائل والمواقف ما قد يغني الباحث في هذا الجانب الغامض من فكره.

ولحسن الحظ فإننا نلمس كثيراً مما سبق ذكره في طيات أهم مرجعٍ لغويٍّ موسوعي بلغ به العلامة اليمني الكبير نشوان بن سعيد ذروة الثقافة والحضارة العربية الإسلامية قبيل تدهورها، نعني بذلك سفره الكبير: (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم).

وبعد انتهائه من تأليف الكتاب بسنوات ثلاث، أي في العام (٥٧٣ هـ/ ١١٧٨ م)، توفي نشوان بن سعيد الحميري، ودُفن في جبل يُعرف اليوم بجبل أبي زيد من مديرية حيدان، محافظة صعدة. وما زال قبره قائماً يُزار في حرم مسجدٍ صغير في أعلى قمة الجبل المذكور. وإلى جوار قبره أربعة قبور يُعتقد أنها قبور ابنيه سعيد وعلي وأختيهما، الذين نجهل تواريخ وفاتهم.

عاش نشوان بن سعيد في عصرٍ كان التأليف المعجمي فيه قد قطع شوطاً كبيراً، بحيث يصعب على أي مقتحم لدروب هذا الفن أن يضيف شيئاً جديداً يتجاوز فيه القدماء، سواء في المادة اللغوية أو المنهج الذي ينبغي أن يؤسس عليه. ومع ذلك فقد جاء كتابه (**شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**) فتحاً جديداً في تاريخ المعجمات العربية، ودليلاً ناصعاً على أن بلاد اليمن - رغم ابتعادها عن مراكز الخلافة الإسلامية -

ظلت تزاحم وبقوة في مجال التأليف العلمي والأدبي غيرها من البلاد الإسلامية، محافظةً بذلك على دورها المميز في مسار التاريخ العربي الإسلامي.

ولئن كانت مدارس المعجمات اللغوية أربعاً: مدرسة الخليل بن أحمد في كتابه العين التي سار على منهجها عدد من مصنفي المعجمات مثل ابن دريد في جمهرته، والأزهري في تهذيبه، ومدرسة القاسم بن سلام التي نهج عليها ابن سيدة في مخصصه، ومدرسة الجوهري في الصحاح التي سار على منهجها الفيروزآبادي في القاموس وابن منظور في اللسان، ومدرسة البرمكي التي اتبعها الزمخشري في وضع كتابه (أساس البلاغة) فإن نشوان قد ابتدع في كتابه **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم** منهجاً رائداً غير متبوع، لم يأت بعده من يهتدي بهديه فبقي فذاً وحده ومهجوراً، وهو أقرب ما يكون إلى فكرة المعجمات الحديثة.

ولقد اتبع المؤلف نظام الأبنية، مرتِّباً الألفاظ حسب حروفها الأُوَل، والكلمات على الترتيب الهجائي المعروف، بحيث يخص كل حرفٍ عنده بكتابٍ وأبوابٍ وشطرين، فيكون البحث عن الكلمة في شطر الأسماء أو شطر الأفعال ثم بحسب بنيتها. وهو قد جمع بذلك بين ميزتين لم يجمع بينهما سواه، وأخذت بهما كل المعجمات التالية لمعجمه ولا سيما الحديثة منها.

غير أن الميزة الأولى لمعجم نشوان عن بقية المعجمات السابقة واللاحقة، أن نظام ترتيبه يحرس النَّقط ويحرس الحركات والشكل تجنباً للتصحيف، ويمنع الكتاب والقراء معاً من تغيير ما عليه كلام العرب من البناء. وهو يقول في ذلك: «فلما رأيتُ ذلكَ ورأيت تصحيف الكتَّاب والقُرّاء، وتغييرهم ما عليه كلام العرب من البناء، حملني ذلك على

تصنيفٍ يأمنُ كاتبه وقارئه من التصحيف، يحرسُ كل كلمةٍ بنقطها وشكلها، ويجعلها مع جنسها وشكلها، ويردها إلى أصلها.

وجعلت فيه لكل حرفٍ من حروف المعجم كتاباً، ثم جعلتُ له ولكل حرفٍ معه من حروف المعجم باباً، ثم جعلتُ كل بابٍ من تلك الأبوابِ شطرين: أسماءً وأفعالاً، ثم جعلت لكل كلمةٍ من تلك الأسماء والأفعال وزناً ومثالاً.

فحروف المعجم تحرس النقط وتحفظ الخط، والأمثلة حارسة للحركات والشكل، ورادة كل كلمةٍ من بنائها إلى الأصل، فكتابي هذا يحرس النقط والحركات جميعاً، ويدركُ الطالبُ فيه ملتمسه سريعاً بلا كد مطيةٍ غريزية، ولا إتعاب خاطرٍ ولا روية، ولا طلب شيخ يقرأ عليه، ولا مفيد يفتقر في ذلك إليه».

ويقول نشوان:

في صحيح التأليف تصحيح ما قد صحَّفه القراءُ والكُتَّابُ

في كتابٍ للنقطِ والشكل أضحى حارساً ما به يقاس كتابُ

### موسوعة موثّقة

ليس شمس العلوم معجماً لغوياً وحسب، بل موسوعة جامعة ضمت بين طياتها معارف زاخرة ومعلومات ثرة في شتى العلوم الشائعة من علوم الأوائل وعلوم العرب والمسلمين، كالقرآن الكريم، تفسيراً وقراءات، والحديث النبوي الشريف، والمسائل الفقهية، وذِكرِ الفرق الإسلامية، وتراجم الأعلام، وأنساب الأشراف وأخبارهم، والمعلومات الجغرافية، وعلوم الطب والفلسفة، وشواهد بليغة من الشعر والنثر، وعلوم الفلك والنبات والمعادن والأحجار، وغير ذلك كثير.

كل ذلك ضمن منهجٍ توثيقيٍّ بالغ الدقة، استند فيه المؤلف إلى مصادر اختارها بذكاءٍ بالغ وانتقاءٍ حصيف وأمانةٍ علمية قلّ مثيلها.

ويكفينا مثالاً على ما ذُكر، شواهدُ من قصيدةٍ لنشوان سدّ من خلالها كثيراً من الخلل الذي نتج عن غياب الأجزاء الستة من كتاب الإكليل للهمداني، وتوثيقه لمفرداتٍ يمنيةٍ كثيرة لم ترد بين أيدينا حتى الآن من نقوش المسند، أو وردت ولم تعد دائرة في اللهجات اليمنية، ولا هي في معجمات اللغة، وبعضُ أمثلةٍ من الكتاب نوردها فيما يلي من صفحات.

**باب الجيم والميم وما بعدها**

**مُثَقَّل العين**

**فُعَل، بضم الفاء وفتح العين**

**ل**

(الجُمَّل): القَلْس الغليظ، وهو حبل السفينة وقرأ سعيد بن جبير ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجُمَّلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[1]. ويروى أنها إحدى قراءتي ابن عباس. يعني حبل السفينة.

**باب الخاء والشين وما بعدهما**

**الأسماء**

**فَعْل، بفتح الفاء وسكون العين**

**ف**

(1) [الأعراف ٧/ ٤٠] وانظر هذه القراءة وغيرها في فتح القدير، ٢/ ٢٠٥.

(الخَشْفَة): الحركة والصوت ليس بالشديد. وفي الحديث[١] قال النبي عليه الصلاة والسلام لبلال: «ما عملك؟ فإني لأراني أدخل الجنة فأسمع الخشفة فأنظر إلا رأيتك».

## باب التاء والباء وما بعدها

### الزيادة

### فُعَّل وفتح العين مشددة

### ت

(التُّبَّت)[٢]: اسم بلاد يُجْلَب منها المِسْك، وهي دولة الصين، وفيها قوم من قبائل اليمن[٣]، زيُّهم زيّ العرب، ولهم مَلِك منهم قائم بنفسه. يقال: إن الذي نقلهم إلى هنالك الملك شَمَّر يُرْعِش[٤] بن أبرهة ذي المنار، وله ولهم حديث.

---

(١) هو بهذا اللفظ وبقريب منه من حديث جابر أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقم (٣٤٧٦)؛ وأحمد (١/ ٨٠، ١٠٦، ١٢٥، ٢٢٩، ٣٧٢، ٣٨٩).

(٢) التّبت: بلد ودولة شبه مستقلة معروفة اليوم، وتنطق بكسر التاء والباء المخففة، وهي اليوم تابعة للصين، وتتمتع بنوع من الحكم الذاتي. انظر الموسوعة العربية ١/ ٤٨٨ - ٤٨٩.

(٣) يرى بعض الدارسين المحدثين أن هناك بعض التأثيرات العربية البيولوجية والأنثروبولوجية بين بعض الأقوام في التبت، ولكنهم لا يحددون تاريخاً لهذه الظاهرة، وهل هي من قبل الإسلام؟ أو من بعده؟.

(٤) يشير المؤلف في هذه الفقرة الموجزة، إلى ما يأتي في كتب التاريخ العربي التقليدية من الأخبار التي تشتمل على الحقائق - وخاصة عند الهمداني - كما تشتمل على الأساطير عند جميع المؤرخين بما فيهم المؤرخون اليمنيون. والذي نعرفه عن شمّر يُرْعِش من خلال نقوش المسند اليمني القديمة أنه شَمَّر يُهرْعِش ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة ابن ياسر يُهَنْعِم ملك سبأ وذي ريدان، وأن شَمّر كان ملكاً عظيماً تمتعت اليمن على يده بوحدة قوية شاملة فبسط نفوذه على أرجاء الجزيرة العربية، وصادم الرومان =

ويقال: بل الذي نقلهم ابن ابنه تُبَّع الأكبر بن تبع الأقرن بن شَمَّر يُرْعِش. قال دعبل بن علي الخُزَّاعي[١] في ملوك حِمْير:

وهُم كَتَبوا الكِتابَ بِبابِ مرو

وهُم غَرَسوا هُناك التُّبَّينا

## باب التاء والباء وما بعدهما

### الزيادة

#### فُعَّل، بضم الفاء وفتح العين مشددة

ع

(التُّبَّع): الظل، قالت الجُهَنِيَّة[٢]:

يَرِدُ المِياهَ حَضِيرَةً ونَفيضَةً

وِرْدَ القَطاةِ إذا اسْمَأَلَّ التُّبَّعُ

والتُّبَّع: طائر.

وتُبَّع: واحد من التُّبابِعَة من ملوك حمير: وسمّي تُبَّعاً لكثرة أتباعه. وقيل: سمّوا تُبابِعَة لأن الآخر منهم يتبع الأول في الملك. وهم سبعون

= والفرس والدويلات العربية التابعة لهم، وتوغلت حملاته أو بعثاته السياسية إلى داخل الأراضي الفارسية كما في النقش ش/ ٣١.

(١) البيت له، من دامغته أو قحطانيته التي رد بها على (المذهبة) للكميت بن زيد، وفي رواية الشاهد هنا تداخل بين بيتين كما جاء في ديوانه (٢٥٦):

وهم كتبوا الكتابَ ببابِ مَرْوٍ ... وباب الصين كانوا كاتبينا

وهم سَمُّوا سَمَرْقَند بِشمرٍ ... وهم غرزوا هناك التُّبَّتِينا

(٢) جاءت كلمة: (الجهنية) وهي سُعْدى بنت الشمردل الجهنية، والبيت من قصيدة لها في الأصمعيات: (٤١ - ٤٣)، والبيت لها في المقاييس: (٣٦٣)، واللسان (تبع).

تُبّعاً، ملكوا جميع الأرض ومن فيها من العرب والعجم، قال لبيد[١] بن ربيعة الكلابي:

فإنْ تَسْأَلِينا فيم نحنُ فإنَّنا عصافيرُ مِن هذا الأنامِ المُسَحَّرِ
عَبِيدٌ لِحَيَّيْ إنْ تَملّكوا ويَظلمُنا عُمَّالُ كِسرى وقَيْصَرِ
ونحنُ وهُم مِلْكٌ لِحميَرَ عَنْوَةً وما إنْ لَنا مِن سادَةٍ غيرُ حميرِ
تبابعةٌ سبعونَ من قبلِ تُبعِ تولوا جميعاً أزهراً بعد أزهرِ

وقال النُّعْمان بن بَشير[٢]:

لنا من بني قحطان سبعون تبعاً أطاعت لها بالخرج منها الأعاجم

وقال عبد الخالق بن أبي الطلح الشهابي:

نَعُدُّ تَبابِعاً سَبْعينَ مِنّا إذا ما عَدَّ مَكْرُمَةً قَبيلُ

وكان تُبَّع الأوسط منهم مؤمناً، وهو أسعد تبع الكامل بن ملكي كرب بن تُبَّع الأكبر ابن تُبَّع الأقرن[٣]. وهو ذو القرنين الذي قال الله تعالى فيه: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الدخان: ٣٧/٤٤]. وكان من أعظم التبابعة ومن أفصح شعراء العرب، ولذلك قال بعض العلماء فيه: ذهب مُلكُ تُبَّع بشعره، ولولا ذلك ما قدّم عليه شاعر من العرب. ويقال: إنه كان نبياً مرسلاً إلى نفسه لما تمكن من ملك الأرض. والدليل على ذلك أن الله تعالى ذكره عند ذكر الأنبياء فقال: ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٤/٥٠]. ولم يُعْلَم أنه أرسل إلى قوم تبع رسول غير تُبَّع وهو الذي نهى النبي - عليه الصلاة

---

(١) البيت الأول في ديوانه (٥٦)، والأبيات في شرح النشوانية أيضاً (٢١).

(٢) ليس البيت في مجموع شعره، والبيت في الإكليل ٢/٢٠٢. وفي شرح النشوانية (٢١).

(٣) أسعد الكامل هو ابن ملكي كرب يهأمن كما تذكر نقوش المسند، وملكي كرب هو كما في النقوش بن ثأران يهنعم (وهو تبع الأكبر في كتب المؤرخين)، وثأران هو كما في النقوش ابن ذمار على يهبر (وهو تبع الأقرن في روايات المؤرخين).

والسلام - عن سبه[١]، لأنه آمن به قبل ظهوره بسبع مئة عام. وليس ذلك إلا بوحي من الله عز وجل. وهو القائل[٢]:

شهدتُ على أحمَدٍ أنَّهُ رَسول من الله باري النَّسَمْ
فَلَوْ مُدَّ عُمري إلى عُمرِهِ لَكُنتُ وَزيراً لَهُ وابنَ عَمْ
وألْزَمتُ طاعَتَهُ كُلَّ مَنْ عَلى الأرْضِ مِنْ عَرَبٍ أو عَجَمْ

وهو أول من كسا البيت، وجعل له مفتاحاً من ذهب، وقال[٣]:

وكَسَوْنا البيتَ الحَرامَ مِنَ العَصَبِ مُلاءً مُعَضَّداً وبُرُودا

## باب الباء والراء وما بعدهما و (فَعْل) من المنسوب

د

(البَرْدِي): نبت معروف[٤]. وهو ورق ينبت في المياه، ويكون في وسطه عُسْلُوج طويل أخضر إلى البياض. وهو بارد يابس في الدرجة الثانية. إذا أُحرِقَ وأُنقع في الخلّ نفع من الطُّحال وقروح الفم والقروح المترطبة. وعروقه وعصارة ورقه نافعة من الطُّحال.

## باب الهمزة والجيم وما بعدهما

### فِعَّال، بكسر الفاء وتشديد العين

ص

---

(١) الحديث هو قوله: «لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم» أخرجه أحمد في مسنده ٥، ص٣٤٠.

(٢) الأبيات في شرح النشوانية أيضاً (١١٤) والإكليل ٢/ ٢٨٠ وهي فيه أربعة أبيات.

(٣) الأبيات في الروض الأنف: ١/ ٤٠، وفي كتاب التيجان: ٤٧٢ - ٤٧٣ مع اختلاف في بعض ألفاظها.

(٤) وهو النبات الذي استخدمه المصريون القدماء في مجالات متعددة أهمها أنهم نسجوا منه قراطيس يكتبون عليها بالمداد، فخلفوا للعالم ثروة ضخمة من هذه الكتابات.

(الإجَّاص): معروف. ويقال: إنْجاص، بالنون أيضاً. ويقال: ليس هو من كلام العرب[١].

## باب الحاء والراء وما بعدهما

**مل**

(الحرمل): شجر معروف[٢]، وهو حار يابس في الدرجة الثالثة، يُدرُّ البول، ويخرج الدود من البطن، وينفع من العِرْق المعروف بالنَّسا/ وأوجاع الأوراك الحادثة من البلغم إذا لطخ به وطلي بمائه، ويحلُّ الرياح التي في الأمعاء. ورياح القولنج، وينَقي قَصَبَ الرئة من البلغم اللزج.

وضربٌ من النبات تسميه أهل اليمن الحرمل الشامي..

## باب الخاء وما بعدها من الحروف

**الزيادة**

**أُفعول، بضم الهمزة والعين**

(الأُخدود): واحد الأخاديد، وهي الشقوق في الأرض. قال[٣]:

يركبن من فلجٍ طريقاً ذا قُحَمْ ضاحي الأخاديد إذا الليل ادلهمّ

وقول الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤﴾ [البروج ٨٥/ ٤]: هو

---

(١) هو في كتب اللغة وكتب المفردات والزراعة القديمة، يدل على ما يسمى البرقوق في مصر، وهو غير الكمثرة واسمه العلمي: .prunus domestica والهمداني في الإكليل ٨/ ١٢١، يذكر كلّاً من الكمثرى والإجّاص. والبرقوق ثلاثة أصناف مختلفة من الفواكه وتطلق كلمة الإجاص في الشام اليوم على الكمثرى. (وانظر أيضاً معجم المصطلحات العلمية والفنية، ص١٣).

(٢) ويُعرف علمياً باسمه العربي (harmala) وهو: نبات طبي بري معمر. وينبت في المناطق المرتفعة في اليمن.

(٣) البيت في اللسان (خدد) دون نسبة.

أُخدود بنجران خَدَّه الملك ذو نُواس الحميري، وأحرق فيه نصارى نجران، وكان على دين اليهود، فمن لم يرجع[١] عن دين النصارى إلى دين اليهودية أحرقه. وقيل: إنه ندم بعد ذلك وقال:

ألا لَيْتَ أُمِّي لم تَلِدْني ولم أكُنْ    عَشِيَّةَ حَزَّ السيفُ رأسَ ابنِ ثامِرِ
وقد صاحَ صوتاً منه يا رب فانتصر    لقومٍ أبيروا بالسيوف البَواترِ
قَتَلتُهُمُ بَغْياً بغير جنايةٍ    وتلك لعمري من أطمِّ الكبائرِ[٢]

ويقال: ضربةٌ أُخدودُ: إذا خدَّت في الجلد.

---

(١) في (ت): من.

(٢) قصة ذي نواس في كثير من المراجع المشهورة، والأبيات في شرح الدامغة (٥٤٧)، وهي هناك ضمن ثلاثة عشر بيتاً وفي ألفاظها اختلاف، وذو نواس نبز، واسمه ولقبه كما في النقوش هو (الملك يوسف أسأر يثأر) انظر النقشين Ry 507, 508

# نظرات في كتاب العِبَر[1]

## ومقدّمته لابن خلدون

إن الملخص الذي بين أيديكم (ص ١٠١) هو خلاصة الفكرة التي أريد طرحها أمامكم اليوم، وقد لا يكون الأمر جديداً فهناك جدل قديم - جديد حول: متى كتب علامتنا ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ/ ١٣٣٢ - ١٤٠٦م) المقدمة؟ أي الكتاب الأول من تاريخه الواسع (كتاب العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) قبل كتابة تاريخه أم بعده، ثم عاد واعتزل (كما هو معروف) في قلعة ابن سلامة في الجزائر لأربعة أعوام أولها عام ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) (وتفرغ من الشواغل وبدأ في تأليف الكتاب..).

ذكر ابن خلدون في آخر نسخ الكتاب الأول (المقدمة) ما يلي: (أتممت هذا الجزء الأول بالوضع والتأليف قبل التنقيح والتهذيب في خمسة أشهر، آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبع مئة، ثم نقحته بعدُ وهذبته، وألحقت به من تواريخ الأمم كما ذكرته في أوله وشَرَطته).

لقد انخرط منذ سنين العلامة التونسي الأستاذ إبراهيم شبوح متأملاً هذه المسألة، وهو يبحث ويترحل جامعاً أصول كتاب العِبَر بما فيها مقدمته في مشروع رائد، وأجاب على السؤال بسؤال صحيح هو: إذا كان

---

(١) ورقة قدمت إلى مؤتمر (عدن الحضارة والتاريخ) في حزيران يونيو/ ٢٠٠٧م، وانظر (ص ٤٠٨ من الكتاب) لنفس الموضوع من ورقة باللغة الإنجليزية شاركت بها بندوة في جامعة Heidelberg الألمانية.

ابن خلدون قد أتم المقدمة، وأتبعها في ذلك التاريخ، وبعد أن مضى سنتان وشهر على قدومه إلى القلعة، فماذا كان يفعل قبلها؟

ومن ثم توصل بعد دلائل أخرى إلى أن ابن خلدون "انغمس فور وصوله في كتابة التاريخ بدءاً فيما يعتقد" بقسم البربر آخر فصول الكتاب لما تجمع لديه من بيانات أكثرها شفهية ولا يوجد لها مصادر مكتوبة، ثم في أثناء ذلك وجد في نفسه طاقة الاندفاع لتحرير رُؤَاه الفكرية في مدخل نظري، فكتب المقدمة في خمسة أشهر. كما ذكر. ولما عاد لموضوع العرب وجد أن المصادر التي بين يديه لا تُسْعِف، لأن دواوينها الشاملة لا توجد إلّا في الأمصار ففكر في العودة إلى تونس حيث المكتبات الزاخرة، وهكذا واصل كتابة سِفْره حتى أن القسم الخاص بالعجم أضافه بعد انتقاله إلى مصر.

وكان بهذا يبث آراءه وتصويباته من وقت لآخر، ومن ثَمَّ أعاد النظر غير مرة في مقدمته على ضوء ما تجمع له وتعمق في فهمه.

إن المؤسف حقاً هو ذلك الإهمال الطويل منذُ طبعة بولاق السقيمة سنة ١٨٨٢م، لكتاب العبر بمقدمته، واشتهار طبع المستشرق الفرنسي كواتمير للمقدمة في باريس في العام نفسه وطبعة بيروت المتأخرة والسيئة أيضاً، إن أحداً من العلماء والمحقِّقين المختصين لم ينهض بتحقيق التاريخ ونشره حتى يجد ما يستحقه كالمقدمة، وربما أكثر من التحقيق والتحليل والنقد والاستخلاص.

وإذا كان قد قُيِّضَ بعد طول سنين لأستاذنا الدكتور إبراهيم شِبوح أن يطوف الأرجاء ويجمع شتات أصول كتاب العِبَر، ونشر بالفعل في تونس في العام الماضي ٢٠٠٦م، الكتاب الأول (المقدمة) والكتاب الأخير (التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً) بتحقيق علمي رفيع، فبقية أجزاء التاريخ موزعة على عدد طيب من العلماء العرب والمستشرقين

ليصدر التاريخ كاملاً بمقدمته ومؤخرته وبفهارس تفصيلية ستساعد الباحثين والمختصين على إعادة النظر في الكتاب الذي لا يَقل بأي حال عن أهمية المقدمة، وما كتب عنها في الشرق والغرب من قبل ومن بعد، وحتى ما قيل في الاحتفاء والاحتفاليات الأخيرة في الذكرى المئوية السادسة للعلامة ابن خلدون.

تذكرت حينئذ تلك الحفاوة البالغة والدراسات الموسعة عن مقدمة ابن خلدون للعلامة المرحوم أبي خلدون ساطع الحصري[١]. فرجعت إليه ووجدته قد نقل عن ابن خلدون موضحاً ما يلي:

"يفتخر ابن خلدون فخراً شديداً بالتاريخ الذي ألَّفه، ويعبر عن فخره هذا بأصرح العبارات.. إن ذلك يظهر بوضوح من بعض العبارات التي كتبها في الديباجة التي صَدَّر بها ابن خلدون التاريخ والمقدمة معاً".

يقول: «أنشأت في التاريخ كتاباً.. سلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكاً غريباً، واخترعته من بين المناحي مذهباً عجيباً، وطريقاً مبتدعة وأسلوباً (ص٦)»، ثم يدعي بأن الكتاب: «قد استوعب أخبار الخليقة استيعاباً، وذَلَّل من الحِكَم النافرة صعاباً، وأعطى لحوادث الدول أسباباً، فأصبح للحكمة صواناً وللتاريخ جراباً.. (ص٧)».

وبعد! ألا يستحق تاريخ (كتاب العبر) إعادة الاعتبار إليه فيعاد توحيده مع مقدمته محققاً منشوراً؟! هذا ما نرجو أن نراه قريباً.



(١) ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون (بيروت، ط٣ ١٩٦٧م): ٣٦.

# ابن خلدون

## «شاهد على عصره»

فيما يلي بعض آراء مفكرين من مختلف الأزمنة حول ابن خلدون:

«تعكس حياة ابن خلدون العالم الذي كان يعيش فيه، عالم يتّسم بكثرة الأزمات الإنسانية، وكشفت مسيرة حياته عدم استقرار تحالفات المصالح التي كانت تقام بين الممالك. مثل وصول تيمورلنك إلى دمشق ولادة قوّة جديدة سيكون لها التأثير الكبير في حياة المدن والأمصار».

البرت حوراني Albert Hourani

تاريخ الشعوب العربية A History of the Arab Peoples

* * *

«..نظراً للعلاقات التي كانت تربطه بمختلف القوى السياسية مثَّل ابن خلدون شاهداً فريداً على عصر متقلب كان بمنزلة المنعرج في تاريخ الإنسانية: نشأة دول جديدة، احتضار الأندلس، تقدُّم حملة الاسترداد المسيحية، حرب المئة سنة، التوسّع العثماني، انحطاط الإمبراطورية البيزنطية، والطاعون الأسود.

«لقد قدّم ابن خلدون فلسفة للتاريخ تعدّ من دون شك من أعظم ما أنتجت عبقرية لم يكن لها مثيل في أي مكان أو زمان».

أرنولد توينبي Arnold Toynbee

دراسة للتاريخ A study of History

* * *

«ابن خلدون من أعظم الفلاسفة والمؤرخين الذين أنجبتهم الحضارة الإسلامية، وهو من أكبر من أنجبت كل العصور والأزمنة».

فليب ك. حتّي philip K.Hitti

تاريخ العرب History of the Arabs

* * *

«بفكره الجليّ وأفكاره المصقولة يدخلنا ابن خلدون عبر مدار التاريخ في أزمنة لا يمكن لعقلنا أن يصلها لولا مؤلفه المقدّمة. والمقدّمة هي كتاب كلاسيكي دخل منذ قرن في خطاب عامة المجتمع، فهو لا يكتفي بإيراد أخبار الماضي بل يحاول أن يفهمها».

خوسي أورتاقا أي غاسات Jose Ortega Y Gasset

المراقب El Espectador

* * *

«يعدّ مؤلّف ابن خلدون واحداً من أهم وأعمق المؤلفات التي أنتجتها العبقرية الإنسانية».

جورج مارسي George Marcais

* * *

«إنّ مؤلف ابن خلدون الخارج عن المألوف يعلن ولادة التاريخ كعلم قائم الذات».

إيف لاكوست Yves Lacoste

* * *

«أستطيع أن أقرّ اليوم بأن ابن خلدون مثّل في الوقت الذي تتمّ فيه

إعادة الاهتمام بدراسة تاريخ وفكر العالم الإسلامي همزة وصل بين ثقافات طالما عاشت في صراع بينها».

فابيان استابي Fabian Estape

ابن خلدون أو الرائد Ibn jaldun o El Precursor



# بعد مرور ٢٥ سنة على كتاب

# «الاستشراق»

## نافذة على العالم[(١)]

**تمهيد:**

حضرتُ في الأسبوع الأخير من تموز/يوليو الماضي الندوة السنوية للدراسات العربية التي انعقدت هذا العام في المتحف البريطاني بلندن، والتي أشارك فيها بانتظام منذ سنوات بعيدة، وقد طالعتنا صحيفة الغارديان اللندنية المعروفة والمهتمة بشؤون العالم العربي بمقال افتتاحي كبير لملحقها الثقافي الصادر في الثاني من آب/ أغسطس ٢٠٠٣م للأستاذ والأكاديمي العربي/ الأمريكي المعروف (إدوارد سعيد)، هو في حقيقة الأمر مقدمتهُ للطبعة الجديدة من كتابه الهام والعميق (الاستشراق) الصادرة في لندن يوم ٢٨ آب/أغسطس ٢٠٠٣م عن دار بينجوين[(٢)]، ونظراً لمكانة كاتبه ولأهمية الموضوع وفائدته، رأينا نشرَهُ في هذا العدد من (الثوابت) وقُمتُ بترجمته إلى العربية في تقليدٍ نحاول المُضي فيه مستقبلاً..

---

(١) The Guardion, 02, 08, 03.

(٢) Adapted form the introduction to new edition of Orientalism, published by Penguin on August 28.

**«الاستشراق» نافذة إلى العالم[١]:**

قبل تسع سنوات ألحقت بكتابي (الاستشراق) خاتمة جديدة حاولت فيها توضيح ما قلته وما لم أقلهُ في ذلك العمل، مركِّزاً ليس فقط على المناقشات الكثيرة التي أثارها منذ صدوره في ١٩٧٨م، بل أيضاً كيف أن هذا العمل الذي يدور على تصورات المستشرقين لـ(الشرق) أثار تفسيرات وتصورات متزايدة الشطط للموضوع. لكنني اليوم لا أجدُ في هذا مدعاةً للغضب، بقدر ما أجدُ بعض الأسف للمفارقة الساخرة التي ينطوي عليها الموقف، ولعل السبب ـ ربما ـ يتعلق بتقدم السن، وأيضاً فقداني في ـ الآونة الأخيرة ـ صديقي ومرشدي على صعيدي الثقافة والسياسة، إقبال أحمد وإبراهيم أبو لغد، والحزن تبعاً لذلك، ولكن أيضاً التصبر والتصميم على الاستمرار.

في مذكراتي (Out of place) (خارج المكان ١٩٩٩م) وصفتُ نشأتي في عوالم غريبة في تناقضها، مقدماً لنفسي وقُرائي صورة مفصلة عن تكوين شخصيتي في فلسطين ومصر ولبنان، لكنها كانت سيرةً شخصية تركت جانباً السنين الطويلة من حياتي السياسية من بعد عام الحرب العربية/ الإسرائيلية عام ١٩٦٧م.

أمّا (الاستشراق) فقد كان وثيقَ الصِّلة بتاريخنا العاصف والمعاصر حتى العقود الأخيرة، والذي يبدو أنه يمتد إلى ما شاء الله، وتبدأ الصفحة الأولى منه بوصفٍ للحرب الأهلية اللبنانية في ١٩٧٥م التي تواصلت إلى ١٩٩٠م، لكن العنف وسفك الدماء يستمران إلى هذه اللحظة، ثم شهدنا فشل عملية أوسلو[٢] وانطلاق الانتفاضة الثانية، وعذاب الفلسطينيين في

---

(١) تم نشر الموضوع كاملاً باللغة الإنجليزية ضمن ملخصات هذا العدد من صحيفة الغارديان.

(٢) للأستاذ سعيد موقف معارض واضح من اتفاق (أوسلو) نُشِر بالإنجليزية في حِينِه (العمري).

الضفة الغربية وغزة، وإعادة احتلالهما من قبل إسرائيل، ثم ظاهرة التفجيرات الانتحارية والخراب الرهيب الذي أحدثته، وصولاً إلى أحداث ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١م البشعة، والحرب على أفغانستان والعراق بنتيجتها، وهاأنا أكتب هذه السطور مع استمرار الاحتلال الإمبريالي اللاشرعي للعراق من قبل الولايات المتحدة وبريطانية، الذي قد يتناهى إلى كوارث من الصَّعب تخيُّلها.. إن هناك من يرى في كل هذا مظاهر صِدَام دائم لا حلَّ له بين الحضارات لكنني لا أعتقد ذلك.

لقد كان بودِّي القول: إنّ في الولايات المتحدة اليوم فهماً أفضل للشرق الأوسط وللعرب والمسلمين، بَيْدَ أنَّه من المؤسف أن الموقف ليس كذلك، ومع أن الوضع في أوربة يبدو أفضل، ولأسباب عديدة، إلَّا أن الموقف في أميركة يستمر على التحجر وتزايد انتشار التعميمات المهينة والكليشيهات الانتصارية (الجاهزة) ضد (الآخر) سواء كان الأجنبي عموماً أو المعارض الداخلي. ولعل السماح بنهب وإحراق المتاحف والمكتبات العامة في بغداد كان (المعادل الموضوعي) الأوضح لهذه الروحية، فإنَّ ما لا يستطيع قادتنا فهمه ـ كما يبدو ـ هو استحالة إزالة التاريخ أو مَسحه مثل مَسح السَّبُّورة، لكي نستطيع بعد ذلك تسطير المستقبل الذي نريد عليها وفرض أنماط حياتنا على بشر نراهم أقل قيمة. ونسمع دوماً من كبار المسؤولين في واشنطن وغيرها عن تغيير خريطة الشرق الأوسط، وكأن المجتمعات القديمة هناك وكل ما فيها من البشر مجرد قطع من الحجارة، يمكن رصفها بهذا الشكل أو ذاك حسب ما نريد. لقد حصل هذا أحياناً كثيرة لما يسمونه (الشرق) ذلك المكان المصطنع فكرياً في شكل شبه أسطوري، الذي أعاد الغرب تشكيله مراراً كما يحلو له منذ غزو نابليون لمصر أواخر القرن الثامن عشر (خريف ١٧٩٧م)، وتم كل مرة في تلك العملية إغفال أو جرف ذلك التنوع اللامتناهي في تواريخ

المنطقة وثقافاتها ولغاتها، لكي يغدو كل منها شظايا متناثرة لا معنى لها مثل بقايا من كنوز تاريخ العراق التي هُرِّبَت من بغداد.

إنَّ مُجادلتي ـ أو ما أريد قوله ـ هو أن التاريخ من صُنع الرجال والنساء أنفسهم، مثلما يمكن إعادة صنعه أو إعادة كتابته لكي يصبح الشرق (شرقنا)، أي ملكنا الذي يمكننا التصرف به كما نريد، ولا بُدَّ من النظر بإعجاب إلى طاقات ومواهب شعوب المنطقة في كفاحها لتحقيق هويتها وما تريده لمستقبلها. لقد شهدت المجتمعات العربية والمسلمة هجوماً ضارياً متقصِّداً عليها بحجة تأخرها وافتقارها إلى الديمقراطية وإلغائها حقوق المرأة، إلى درجة جعلتنا ننسى أن مفاهيم مثل: الحداثة والاستنارة والديمقراطية ليست بالأفكار البسيطة المتفق عليها مسبقاً، مثل شيء يمكن القول فوراً بوجوده أو عدم وجوده في هذا المكان أو ذاك، لكن ما نسمعه في كل مكان هو ذلك الاستخفاف المذهل من قِبل تلك المجموعة العجيبة من المتكلمين باسم السياسة الخارجية الأمريكية، الذين يصورون الشرق الأوسط وكأنّه حيّزٌ فارغ يمكن فيه لأمريكة خلق (ديمقراطية) مصطنعة و(سوقاً حرَّة) مصطنعة، كلا... لا حاجة إلى معرفة العربية أو الفارسية أو حتى الفرنسية لكي تتشدق عن حاجة العالم العربي إلى الديمقراطية، وكيف أن إقامتها في العراق سيعني انتشارها فوراً في بقية الدول العربية حسب نظرية أحجار الدومينو.

لكن هناك فرقاً بين معرفةٍ بالشعوب الأخرى والتواريخ تقوم على الفهم والتعاطف والدراسة المعتنية المقصودة لذاتها، ومعرفةٍ تأتي جزءاً من حملة شاملة تهدف إلى إثبات الذات. فهناك في التحليل النهائي تباين عميق بين إرادة الفهم خدمةً للتعايش وتوسيع الأفق، وإرادته وسيلة للسيطرة، والمؤكد أن من بين الكوارث الفكرية في التاريخ ما نراه الآن

من حرب إمبريالية مدمِّرة افتعلتها مجموعة صغيرة من المسؤولين الأمريكيين غير المنتخبين ضد بلد من العالم الثالث يعاني أصلاً من الديكتاتورية والدمار، وذلك على أساس إيديولوجي يتلخص بالسيطرة على العالم وموارده، وقد نجح هؤلاء في تمويه غايتهم هذه بفضل التبرير والدعم الذي لاقَوْه من مستشرقين خانُوا أمانتهم العلمية.

ومن المعلوم أن التأثير الرئيس في البنتاغون ومجلس الأمن القومي يأتي من أشخاصٍ مثل برنارد لويس[١] وفؤاد عجمي، الخبيرين بالعالمين العربي والإسلامي، اللذين قدَّما للصقور اختلافات فكرية شنيعة مثل (عقلية العرب) وتراجع الحضارة الإسلامية المستمر منذ قرن، الذي لا دواء له سوى أمريكة وقوتها، ونجد المكتبات التجارية في أمريكة اليوم مليئة بمؤلفات مهلهلة بعناوين صارخة تدور على الإسلام والإرهاب، أو (فضح) الإسلام، والخطر العربي أو الإسلامي أو الاثنين معاً، وكلها من تأليف مُعَلِّقين مغرضين يستقون معرفتهم من «خبراء يفترض أنهم توصَّلُوا إلى فهمٍ أعمق عن تلك الشعوب الشرقية الغريبة الطبائع».

إضافة إلى ذلك هنالك الجوقة الإعلامية الكبرى، من تلفزيون (فوكس) و(سي إن إن) إلى ما لا حصرَ له من الإذاعات التبشيرية واليمينية والصحف الشعبية وحتى المجلات الأرقى نسبياً، وكلها تعيد وتكرر تلك التُّرهات والتعميمات الفارغة لإثارة الأمريكيين ضد (الشّياطين الأجانب).

ولولا هذه الحملة المُنظمة ضد أولئك الناس الذين لا يشابهوننا ولا يُقَدِّرون (قِيَمَنَا) ـ الحملة التي تُلخِّص جوهر التقليد الاستشراقي - لمَا كانت هذه الحرب، وهكذا فإن المستشارين الأمريكيين للبيت الأبيض والبنتاغون ينتمون إلى النوعية نفسها التي جاء منها الباحثون المأجورون الذين جيَّشتهُم قُوَى الاستعمار الهولندي في ماليزية وإندونيسية، والجيوش

---

(١) راجع عنه مقالنا في (الثوابت). عدد ٣٢، ربيع ٢٠٠٣م.

البريطانية التي غزت الهند ومِصرَ والعراق وغرب إفريقية، والفرنسية التي استولت على الهند الصينية وشمال إفريقية، ويستعمل الخبراء الأمريكيون الكليشيهات والتنميطات نفسها التي قدّمها سابقوهم، والتبريرات نفسها لاستعمال القوة ضد تلك الشعوب (لأنها ومن ثمَّ لا تفهم سوى لغة القوة، كما تؤكد معزوفتهم من قديم الزمان). وقد انضم إلى هذه الجوقة في العراق جيشٌ جرار من أصحاب الأعمال الساعين إلى المتاجرة والعقود، والخبراء الذين سيعيدون صياغة حياة العراق السياسية والثقافية، من كتابة النصوص المدرسية المقررة إلى تدوين الدستور، وبالطبع أيضاً سياسته النفطية.

يُعلِّمُنَا التاريخُ أن كل إمبراطورية تدّعي أنها ليست كمثيلاتها، وأنّها تنفرد عنها بغاياتها النبيلة في إيصال رسالة الحضارة والتنوير وإشاعة الديمقراطية، وأنّها لا تستعمل القوة إلا بوصفها الخيار الأخير، والمؤسف أن هناك دوماً كثيرين من المثقفين المستعدين للإدلاء بشهاداتهم عن حَسنَات الإمبريالية ونكرانها لذاتها في مساعيها هذه.

وهكذا بعد ٢٥ عاماً على صدور (الاستشراق) يعود السؤال عمّا إذا كان عصرنا الحديث قد شهد نهاية الإمبريالية، أم إنها مستمرة في الشرق منذ غزو نابليون لِمصر قبل قرنين، وقد قيل للعرب والمسلمين دوماً: إنّ نفسية الضحيّة والتركيز على مساوئ الإمبريالية يشكل نوعاً من التهرب من المسؤولية عن أوضاعهم الحيّة. إنها مقولة المستشرقين الدائمة: «لقد فشلتم، لقد أضعتم طريقكم!».

وهذه بالطبع هي مساهمة (في. إس. نايبول V.S.Naipaul,s)[1] في

(١) هو كاتب مسلم من أصل هندي، نَالَ جائزة (نُوبل) مؤخّراً، وله آراء سيئة عن الإسلام والمسلمين، وللأستاذ سعيد مقال نقدي عنه، نُشِرَ في مجلة (وجهة نظر) المصرية مطلع العام ـ (العمري).

مجال الأدب: ضحايا الإمبريالية يكتفون بالبكاء والعويل فيما تصل الأوضاع في بلادهم إلى الحضيض، لكن يا لِسطحِيَّةِ هذا الموقف الذي لا يريد مواجهة تواصل تأثيرات الإمبريالية عبر السنين في حياة أناس مثل الفلسطينيين أو الكونغوليين أو الجزائريين أو العراقيين. لننظر إلى الخط الذي بدأ باحتلال نابليون لِمِصرَ واستمر بظهور علم (الاستشراق)، ثم الاستحواذ على شمال إفريقية، وتواصل مع المشاريع الاستعمارية في فِيَتنَام ومِصر وفلسطين، ثم مع الصراع على النفط والسيطرة الاستراتيجية في الخليج والعراق وسورية وفلسطين وأفغانستان.

لِنَنظر أيضاً إلى تصاعد الحركة القومية المناهضة للإمبريالية، وبعدها مرحلة التحرر القصيرة، ثم مرحلة الانقلابات العسكرية والثورات والحروب الأهلية والتعصّب الديني والردود اللاعقلانية على تحديات العصر، وفي المقابل الهجمات التي لا تَعرِف الرّحمة على أجيالٍ جديدة من (السكان المحليين)، وكل من هذه المراحل ينتج معرفته المشوهة بالآخر، والتنميط التبسيطي المُهِين له، والحُجَج السياسية المُتَحذلِقَة ضِدّه.

فكرتي في (الاستشراق) كانت استعمال النقد المستمد من التوجه الإنساني لفتح مجالات جديدة للصراع وتقديم سياق متواصل من التفكير والتحليل، بدلاً من ردود الفعل الآنية الغاضبة التي تُقَيّد تفكيرنا، وقد أطلَقتُ صفة (الإنسانية) على هذا التوجُّه، وأواصل استعمالها بعناد وإصرار على الرغم من استهجانها من قِبَل الناقدين ما بعد الحداثيين. وما أقصد بـ(الإنسانية) في الدرجة الأولى كل محاولات فك ما وصفه الشاعر الإنكليزي W.Blake وليام بليك بـ(الأغلال التي يصنعها الذهن) للتمكن من استعمال العقل في شكل تاريخي عقلاني، وصولاً إلى فهم تأمُّلِي، إضافة إلى ذلك فإن النظرة الإنسانية هذه تتغذّى من حِسّها الجَمعي

المتمثل بارتباطها بالباحثين الآخرين والمجتمعات والمراحل التاريخية الأخرى، بحيث لا يمكن القول: إن هناك باحثاً إنسانياً منعزلاً.

مُؤَدّى القولِ أن كُلاً من المجالات والظواهر مرتبط بالبقية كلها، وأنّ ما مِن شَيء في عالمنا مَعزولٌ عن التأثيرات الخارجية، وأنّ علينا الكلام عن قضايا مثل: الظلم والمعاناة بعد وضعها بدقة في سياقها التاريخي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي، دَورُنا إذن هو توسيع حقل النقاش، وقد قَضَيتُ وقتاً طويلاً من حياتي في السنين الـ٣٥ الأخيرة في الدفاع عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، لكنني حرصتُ على القيام بذلك مترافقاً مع كامل الانتباه إلى واقع الشعب اليهودي وما عانَاهُ من الاضطهاد ومحاولات الإبادة. ويعنِي هذا أن الاعتبار الأهم هو توجيه الكفاح من أجل المساواة في فلسطين/ إسرائيل نحو هدف إنساني، أي التعايش وليس القمع أو الانكسار، ولم يكن من قبيل المصادفة إشارتي إلى الجذر المشترك بين الاستشراق واللاسامية، ويبدو لي تبعاً لذلك أن من الضروري للمثقفين المستقلين أن يقدِّموا دوماً نماذج بديلة من النماذج التبسيطية المقيّدة القائمة على العداء المتبادل السائد منذ زمن طويل في الشرق الأوسط وغيره.

ولا بُدَّ لِي في هذا المجال من الإشارة إلى أنني - كباحث إنساني التّوجُّه - تلقَّيت تعليمي قبل ٤٠ سنة في حقل الأدب المقارن، الذي تعود أفكاره الرئيسية إلى ألمانية أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، وكانت هناك قبل ذلك المساهمة العظيمة من الإيطالي (Giambattista Viceo) جيامباتيتا فيكو [الفيلسوف واللُّغَوي النابليوني] الذي استَبَقَت أفكاره مواقف (غُوتَه)[١] وهمبولت ودلتاي ونيتشه وغادامر وغيرهم من المفكرين الألمان. ثم كوكبة كبار فيلولوجيي لغات الرومانس في القرن

(١) Goethe, Humboldt, Dilthey, Nietzsche, and Gadame.

العشرين التي تضم: أريش[1] أورباخ، وليو سيتزر وأرنست روبرت كورتيوس.

فكرة الفيلولوجية بذاتها تثير لدى الأجيال الشابة انطباعاً عن علم منكفئ على ذاته، لا يعرف غير الكتب الصفراء المُتَدّثرة بالغبار. لكن الفيلولوجية هي فَنُّ الفهم الأعمق والأكثر إبداعاً للتاريخ والحضارات، ولعل أفضل تجسيد له ـ بالنسبة إلي ـ اهتمام غُوته بالإسلام عموماً، وبحافظ الشيرازي خصوصاً، ذلك الولع العميق الذي أدى إلى كتابه (ديوان الشرق والغرب) ثم إلى فكرته عن (أدب العالم) أي دراسة آداب الأمم في وحدة سيمفونية تحفظ خصوصيات كل منها ضمن المنظور الجَمعِي.

هناك مُفارقة كبيرة عندما نَرى أن العَولمة اليوم، في عملها على توحيد الكل بأشكال تحدثت عنها سابقاً، تقترب في شكل متزايد من ذلك النوع من الرتابة والتجانس الفكريين اللذين تَقَصد غُوته مقاومته، وقد أكد أريش أورباخ على هذه النقطة في مقال بعنوان (فيلولوجية الأدب العالمي) نشره عام ١٩٥١م، أي مطلع الحرب الباردة، وكان أورباخ نَشَرَ كتابه العظيم (مايميس Mimesis) في عام ١٩٤٦م في بيرن، بعدما ألفه في أثناء لجوئه إلى استنانبول إبان الحرب الثانية، حيث عمِلَ أستاذاً للغات الرومانس، وكان هدفه من الكتاب وصفُ تَنوُع وحَيويَّة تَمثُّلات الأدب الغربي، من هُوميروس إلى فرجينيا ولف، للواقع المُتَعيَن، لكن قراءة مقالته في ١٩٥١م تُوحي بأن الكتاب كان مَرثيَّة لِحِقبة اتَّسَم الباحثون فيها بالقدرة على تفسير النصوص عن طريق الفيلولوجية، بكل ما تتطلبه من التمعن في النُّصوص والوقائع والحساسيّة وقوّة الحَدس وسِعَة المعرفة والتمكن القوي

---

(1) Erich Auervach, leo spitzerm and Ernest Roberr Curtius.

من عدد من اللغات، لدعم ذلك النوع من الفهم الذي دعا إليه غُوته في مقاربته للأدب الإسلامي.

لا شَكَّ بأن المعرفة الوثيقة بالتاريخ واللغات ضرورية بالطبع، لكنها لا تكفي، مثلما لا يكفي تكديس كل ما أمكن من المعلومات للتوصل، مثلاً إلى مقاصد شاعر مثل دانتي، ذلك أن الشرط الرئيسي للفهم الفيلولوجي الذي تحدث عنه وحاول ممارسته أورباخ وسابقوه هو محاولة الدخول على النص المكتوب بتفهُّم وتعاطف ذاتي، ومن منظور المؤلف وزمنه.. أي إن الفيلولوجية في تطبيقها على آداب العالم لا تقوم على التباعد والعداء للزمن الآخر والحضارة الأخرى، بل على روحية إنسانية، تعتمد ما يمكن وصفه بأنه الكرم أو حُسن الضيّافة ـ بمعنى أن ذهن القائم بالتفسير يعمل على فسح مكان لذلك (الآخر) وهذا الفسح الخلّاق لأعمال تبقى دون ذلك غريبة وبعيدة هو الصّفة الأهم لمهمة المفسر.

كل هذا بالطبع تعرّض للتخريب والدّمار في ألمانية النّازية، ولاحظ أورباخ بعد الحرب بأسف، الرتابة المتزايدة متلازماً مع التخصص المتزايد في حقول البحث، وهو ما قلّص من إمكانات القيام بذلك العمل الفيلولوجي كما جَسّده أورباخ، بحرصه على التدقيق مترافقاً مع الانفتاح الذهني المطلق، والمحزن أكثر من الفترة التي تلت موته في عام ١٩٥٧م، وشهدت المزيد من التراجع على صعيد الفكر والممارسة، وفقدان البحوث الإنسانية لموقعها الريادي السابق، وها نحن نجد طلابنا اليوم بدل قراءة النُّصوص بالمعنى الحقيقي للقراءة ينشغلون بنتف من المعلومات المأخوذة عن الإنترنت أو وسائل الإعلام!

والأسوأ من ذلك أن التعليم يلقى تهديداً من بعض القوى القوميّة والدّينيّة المحافظة التي تتناقل وسائل الإعلام أفكارها في شكل لا تاريخي يُركز على عُنصر الإثارة، ولعل من بين أسوأ الأمثلة أسلوب تغطية

الحرب، التي تصور وكأنها نوع من الألعاب الإلكترونية أو (الضّربات الجراحية) التي لا تسبب خسائر بشرية تذكر، وتطمس بذلك حقيقة الحروب الحديثة وما فيها من الهول والدّمار، وهناك أيضاً بالطبع الدور الأساسي الذي يلعبه الإعلام في إدَامَة قَلق المُشاهدين عن طريق التركيز على (شيطانيّة) ذلك العدو الغامض الذي لا نعرف عنه سوى أنه (إرهابي) وقد أمكن استغلال ذلك بسهولة خصوصاً في الأجواء التي خَلّفتها أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م.

إنّ عليّ ـ كأمريكي وعربي ـ أن أطلب من القارئ ألّا يستخف بفاعلية تلك النظرة التبسيطية إلى العالم من قبل حِفنةٍ من كبار المسؤولين المدنيين في البنتاغون، التي صاغوا على أساسها سياسة الولايات المتحدة إزاء العَالمين العَربي والإسلاميّ، إنها نظرة مدعومة بأضخم موازنة عسكرية في التاريخ، تدور على أفكار مثل الإرهاب، والحرب الوقائية، وتغيير النظام، وتتناولها وسائل الإعلام (وخبراؤها) المجمعون دوماً على تبرير الخط الرسمي، من خلال نقاشات لا نهاية لها تزيد من فَجَاجَة تلك الطُروحات الفَجّة أصلاً، هكذا حلّت محل الفكر التأمُّلي والنقاش العقلي والمبدأ الأخلاقي القائل بأن على البشر صنع تاريخهم بأنفسهم، تلك الأفكار المجردة التي تحتفي بفرادة أمريكة أو الغرب عموماً، ولا تعطي أهمية للسياقات التاريخية وتنظر باحتقار إلى الثقافات الأخرى.

وربما وجَد البعض في موقفي تنقلات حادة بين التفسير الإنساني من جهة والسياسة الخارجية من الجهة الثانية، وأن حضارة تكنولوجية لا سابق لها من حيث القوة، وتمتلك إضافة إلى ذلك الإنترنت ومقاتلات (أف ١٦) تحتاج إلى قيادة خبراء بالسياسات التكنولوجية مثل دونالد رامسفيلد وريتشارد بيرل، لكن ما يضيع في هذا هو التشابك الكثيف والاعتماد المتبادل في الحياة الإنسانية، الذي لا يمكن اختزاله إلى معادلة أو إغفاله بدعوى عدم أهميته.

هذا جانب واحد من جوانب النقاش في أنحاء العالم، وإذا نظرنا إلى العالم العربي والإسلامي نجد أن الوضع لا يختلف كثيراً، وكما لاحظَت الباحثة (رولى خَلف) فإن المنطقة شهدت انزلاقاً سهلاً إلى عداء لأمريكة لا يَنُمّ عن فَهم يُذكر لمجتمعها، ولما كانت الحكومات عاجزة عن التأثير في سياسات أمريكة نحوها فهي تحوّل جهودها إلى قمع شعوبها، وما يؤدي له ذلك من الضغائن والغَضب والعجز وما شابه من السلبيات التي لا تساعد على انفتاح المجتمعات، وهكذا نجد مجتمعات تتغلب فيها مشاعر الفشل والإحباط على الأفكار العَلمانية حول الإنسانية والتاريخ والنُّمو، ويتزايد فيها التعليم الديني القائم على التلقين والحفظ عن غيب ورفض كل أنماط المعرفة العلمانية باعتبارها من صُنع (الآخر)، وكان الاضمحلال التدريجي للتقليد الإسلامي العظيم المتمثل (بالاجتهاد) المعتمد في قواعده واستنباطاته على القرآن الكريم، من بين الكوارث التاريخية الرئيسية في زمننا، وتراجع معه التفكير الانتقادي والتناول الجاهل لعالمنا ومشاكله.

لا يعني هذا أن العالم انقسم ثقافياً إلى استشراق جديد عدائي من جهة ورفض شمولي من الثانية، وعلى الرغم من نواقصها فقد كشفت القمة العالمية التي عقدتها الأمم المتحدة في جوهانسبورغ السنة الماضية عن اهتمامات مشتركة كبرى توحي ببروز رأي عام عالمي جديد يعطي وزناً جديداً لتلك المقولة التبسيطية المعهودة عن (عالم واحد)، لكن علينا أن نعترف أيضاً أن من المستحيل الإحاطة بكل أوجه الوحدة البالغة التعقيد لعالمنا المُعولم، حيث يسود الاعتماد المتبادل بين الأجزاء إلى درجة لا تسمح لأيّ منها بفرصة الانعزال.

إن من الضروري تحدي الضغوط والصراعات الكبرى التي تعمل على تقسيم البشر في شكل زائف إلى وحدات كبرى تحت عنوان مثل:

(أمريكة) أو (الغرب) أو (الإسلام) لكل منها هويته الشُّمولية التي تَطمِس التباينات الكبيرة بين الأفراد، ولا يزال في حَوزتنا من أجل ذلك المهارات التّفسيرية العَقلانية التي خَلقها التعليم القائم على مبدأ الإنسانيّة، التي لا يعني التزامها مُجرد الحَنين إلى القِيَم الكلاسيكسية بل الممارسة الناشطة للخطاب العَلماني العَقلاني اللصيق بعالمنا، والعالم العَلماني هذا هو عالمُ التاريخ كما يصنعه البشر أنفسهم، الفكر الانتقادي هو ما يرفض الانضمام إلى الصفوف المرتصّة ضد من يشفق على تسميته (العدو). وعلينا بدل الأخذ بمقولة مصطنعة مثل «صدام حضارات» التركيز على التفاعل التاريخي البطيء والمستمر بين الحضارات، بله ما بينها من التشابهات والاستعارات المتبادلة والتّعايش، تلك العناصر الأهم بكثير مما تعترف به النظريات التبسيطية المُزيِّفة. لكن القيام بهذه المهمة التفسيرية الواسعة يحتاج إلى كثير من الوقت والتّقصي الانتقادي الصّبور، في زَمن يُلح على الأفعال وردود الأفعال الفوريّة.

وهكذا فإن الموقف الإنساني يدور على الإنسان في فَرديّته وحدسِه الذاتي، وليس على الكار والمرجَعيّات المفروضة مُسبقاً، والواجب قراءة النّصوص كنصوص أنتِجَت واستمرت في الحيّز التاريخي، حيّزنا الأرضي، لكن هذا لا يستثني اعتبارات القُوة، بل إنني ـ على العكس ـ حاولت إبراز تسلل وتداخل اعتبارات القوة إلى حيز أكثر مجالات البحث عُمقاً وبُعداً عن الاهتمامات المباشرة.

أخيراً ـ وهو الأهم ـ التوجُّه الإنساني هو خط المقاومة الوحيد، بل الأخير لنا ضدّ الممارسات اللاإنسانية والمظالم التي تُشوه تاريخ الإنسانية.

# تعقيب على ورقة الباحث

سالم عبد اللطيف الشوافي:

## (الاستشراق المعاصر والترويج لمصطلح «الأصولية الإسلامية»)

ناقش الباحث موضوعه تحت عنوانين جانبيين

الأول: (غموض دلالة مصطلح الأصولية الإسلامية) (الصفحات الخمس الأولى).

والثاني: (نماذج لتناول الاستشراق المعاصر لما يسميه الأصولية الإسلامية) (ص٥ حتى نهاية البحث ص١٤).

وبداية فقد شاب عنوان الورقة عدم الدقة بتحديده الاستشراق (بالمعاصر)، لأنه استخدم تعبير الاستشراق الحديث في مكان آخر من البحث. وعند المؤرخين بشكل عام، فالتاريخ الحديث ينتهي بالحرب الكونية الأولى، ويبدأ المعاصر من بعدها، وأحياناً من بعد الحرب العالمية الثانية حتى نهاية القرن العشرين.

ولو عنون الورقة بـ(الاستشراق الآن..) كما فعل الأستاذ الدكتور المفكر إدوارد سعيد في الفصل الثالث من كتابه الهام والخطير (الاستشراق)، لكان ذلك أكثر تحديداً للزمن الذي بحث في إطاره المصطلح وغاياته. ليس هذا فحسب، بل لو عاد إلى كتاب (الاستشراق) بدلاً من مقال لصاحبه في صحيفة الحياة يعلق فيه على كتاب الصحفية (وليست المستشرقة) جوديث ميلر المعنون (لله ٩٩ اسماً: تقرير عن

الشرق الأوسط الأصولي). لو فعل الباحث ذلك لوجد كنزاً يساعده كثيراً في غاياته النبيلة. فكتاب (الاستشراق) ـ كما هو معلوم ـ مصدر ومرجع أساسي لا يملك من يكتب فيه إلا أن يعود إليه، حتى وإن كانت طبعته الأولى قد صدرت عام ١٩٧٨م، وقبل شيوع المصطلح الجديد.

وعلى كل حال، فقد أحسن الباحث بالتدليل على غموض المصطلح وعدم صلاحيته باعتباره في الأصل (مستعاراً من المسيحية البروتستانتية) وكذا بعض اليهود، وبالتالي فرفض المصطلح الذي سوقه الاستشراق (للأصولية) (يجعلها قرينة للتعصب والتطرف والإرهاب.. وبأننا نؤمن أنه ليس في الإسلام (حركة) تتحدث باسمه، فجميع المسلمين دعاة لدينهم..). لكنه يضيف بأن المسلمين (يعملون على إعلانه ونشره منطلقين من أصليه الرئيسين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) وكرر المعنى بعد قليل، بقوله: «وعلى هذا فالأصولية ـ إن جاز لنا التعبير ـ مع أننا نرفض المعنى المغلوط والشائع لها، لها معنى خاص عند المسلمين هو العودة إلى أصلي الدين؛ القرآن والسنة..».

والباحث بهذا الاستخدام، اختلط عليه مفهوم أصول الدين (العقيدة) بأصول الشريعة التي هي مصدر القوانين في الإسلام، ولو نقل الحاشية إلى النص فيما جاء في (المعجم)، من أن: (أصَّل الشيء) جعل له أصلاً ثابتاً يبنى عليه، و(الأصول) هي القواعد التي تبنى على الأحكام. والنسبة إليها (أصولي). وكذا ما نقله عن (التعريفات) للجرجاني، ومثلها ما يمكن أن يضاف من (الكليات) لأبي البقاء، وغير ذلك من المصادر اللغوية والفقهية، أقول: لو فعل ذلك لوفر العناء في أن هذا المصطلح غريب على العرب والمسلمين.

إن التعميم بأن المستشرقين المعاصرين جميعهم يسيئون إلى الإسلام، سواء باستخدام (المصطلح) نفسه أو غيره في كتاباتهم، هو تعميم فيه كثير

من الظلم وعدم الإنصاف، وقد استشهد الباحث ـ نفسه ـ بآراء بعضهم، أمثال البروفسور فريد هاليداي الذي فسّر أسباب انتشار ظاهرة مثل الأصولية في غير بلاد العرب والمسلمين، كما هو حادث في إيرلندة والهند، وكذلك بين (قطاعات من اليمين الصهيوني في إسرائيل وبين مسيحيين أصوليين في الولايات المتحدة..) (ص٤). وأحسن من ذلك، ما استشهد به الباحث من كلام الفيلسوف الفرنسي المسلم الأستاذ/ جارودي، ومعلوم أنَّ الكتابات الأخرى الكثيرة الموضوعية للأستاذ هاليداي، وكذا لمواطنته المستشرقة والمعروفة بدفاعها عن الإسلام، الراهبة السابقة الأستاذة الدكتورة كارين أرمسترونج التي كتبت عن النبي ﷺ، وعن القدس (مدينة واحدة وثلاث ديانات)، وكان آخر كتبها في العام الماضي (موجز تاريخ الإسلام)، ولعله قد ترجم إلى العربية مؤخراً. مثل هؤلاء وبعض من أورد لهم اقتباسات مفيدة لم يكن غرضهم الإساءة، بل تحليل الظاهرة والبحث عن أسبابها ودوافعها.

أما أولئك الذين (وظفتهم المؤسسات الرسمية الغربية والأمريكية خدمة لأطماعها في العالم الإسلامي) أو بالأصح في (خدمة مصالحها..) (ص٥ ـ ٦)، وتناول (نماذج مختارة من شهاداتهم ومذكراتهم التي قدمها هؤلاء المستشرقون المتخصصون في شؤون الشرق الأوسط والعالم الإسلامي؛ لتتبين من خلالها نوع هذه القضايا محل اهتمامهم وأساليبهم في دراستها، مما يجعلنا نقف أمام نوع جديد من الاستشراق المعاصر الذي يجعل هدفه في المقام الأول خدمة مصالح بلاده وتحقيق أهدافها المختلفة... إلخ) ص٥. فنحن نتفق مع الباحث فيما ذهب إليه من دور أمثال أولئك خاصة تلك الشهادتين المقدمتين للجنة الكونجرس الأمريكي المختصة بالشرق الأوسط (ص٧ ـ ٩). لكنه لم يضرب لنا أمثلة أخرى مشابهة في الدول الأوربية الأخرى، والمرتبطين بدوائرها السياسية والاستخباراتية (ولا بد أنهم كُثر).

ومن ناحية أخرى، فقد ورد في تلك الشهادتين ما يستحق الاهتمام والنقاش بغض النظر عن أنه مقدم لجهات أمريكية، كمقارنة (سوسيتو) من خلال دراسته لأوضاع (مصر وإيران وباكستان وماليزية) (بأن الصحوة الإسلامية في تلك البلدان تشترك جميعاً في الإحساس بفشل الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية القائمة وفي رفض الغرب.. إلخ).

أو تقسيم (دانييل بايبز) ـ في الشهادة الثانية ـ للمسلمين إلى أنواع ثلاثة، شرحها (ص٨)، وبعض الأفكار الأخرى التي قد لا نتفق معها، إلّا أنه كان يحسن بالباحث تفنيدها أو الإدلاء برأي فيها.

**برنارد لويس:**

لقد كان في آخر ورقة الباحث عرضه لكتيب من ٦٧ صفحة للصحفية (جوديث ميلر) التي كانت تكتب لصحيفة النيويورك تايمز ثم تفرغت ـ كما ذكر ـ لكتابة هذا الكتيب الذي صدر معرّباً بعنوان (الإسلام والغرب)، عن مكتبة مدبولي بالقاهرة سنة ١٩٩٥م، وهي نفسها التي نقلنا في أول هذا التعقيب تعليق الأستاذ العلامة إدوارد سعيد على أقوالها بأنها «صحفية أكثر منها باحثة أو مستشرقة». وقد نقل الباحث عن كتاب المذكورة قولاً استشهدت به للمستشرق العتيد (برنارد لويس) حول طبيعة الإسلام وتاريخه وعلاقته بالسلطة، وموقفه من الديمقراطية (ص١٢)، وليته وقف وقفة طويلة عند هذا المستشرق اليهودي الضليع، والعلامة الخطير؛ فذلك أهم بكثير من صاحبة الكتيب السيدة ميلر، فالأستاذ لويس صاحب عشرات الكتب والمؤلفات والأبحاث الكثيرة التي لا يخلو معظمها مما يعبر عن آرائه ودسائسه ضد العرب والإسلام، ولعلّ آخرها كتابه الجديد الصادر في لندن عن دار Wiedenfeld هذا العام ٢٠٠٢م بعنوان:

What Went Wrog: The Clash Between Islam and Modernity in The Middle East.

**فالعنوان يقول:**

(أين وقع الخطأ؟ الصدام ما بين الإسلام والحداثة في الشرق الأوسط).

إن الأستاذ لويس صاحب التأثير الحقيقي في الاتجاه السلبي ـ وأحياناً العدائي ـ للعرب والإسلام، يعود بنا في هذا الكتاب الجديد إلى بعض أطروحاته عن صراع الإسلام مع العرب منذ حصار العثمانيين المسلمين لفيينا وتوقيع معاهدة (كارلوفيتس) في ٢٦ كانون الثاني/ يناير عام ١٦٩٩م وحتى أواخر القرن العشرين، داخلاً في ذلك ما خل فته تلك الحوادث من آثار، وجرته من أمور على الثقافة والمجتمع، في سرد تاريخي عميق يحمل فيما يحمل من معانٍ ما فجّره حادث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر عام ٢٠٠١م، وهو أمر أبعد خطراً وأثراً لما قبله من أقوال وكتابات وحوادث، بما في ذلك ما سبق أن أثاره (صموئيل هانتغتون) عن خطر الإسلام في (صراع الحضارات).

إن واجب الباحثين والمستقلين المخلصين لتراث الإنسانية ومستقبلها مستشرقين أو مستغربين (عرباً أو مسلمين) اليوم، هو التعامل بعمق وصدق لما أفرزته الأحداث الأخيرة المؤسفة من عناوين جديدة للعلاقات بين الشرق والغرب... بين الشمال والجنوب، في ظل تفهم صادق بين الديانات السماوية الثلاث، وحوار متحرر من تركة العصور الماضية، فصراع الحضارات كما كتب الأستاذ الدكتور فريد هاليداي قريباً «خرافة لا أساس لها!».

# الصحافة اليمنية في المهجر (إندونيسية)[1]

يُؤرِّخُ الدكتور الزَّين وكذا موسوعة الصحافة اليمنية الصادرة حديثاً (صنعاء ٢٠٠٣م) وغيرهما، ظهور الصحافة العربية واليمنية في إندونيسية وسنغافورة وماليزيا في مطلع القرن العشرين بعد أن تطور فَنُّ الطباعة والصحافة في العالم كثيراً، أما الطباعة باللغة الهولندية فقد كانت في هذه البلدان منذ وقت مبكر مع مجيء الهولنديين في القرن السابق. لقد كان لإدخال اليمنيين الحضارمة للمطبعة العربية أهمية تجاوزت إصدار الصحف والمجلات، فقد ساعد أيضاً على طبع مختلف النتاج الفكري والأدبي والتعليمي.

ولقد تزامن ذلك وتطور مع ظهور الجمعيات الدينية والاجتماعية والثقافية التي أسَّسَهَا اليمنيون، وسمحت بذلك السلطات الهولندية..

وكانت الأحزاب والحركات الوطنية السياسية التي كانت تهدف إلى النضال والمطالبة بالاستقلال وحرية الجزر الإندونيسية تحت لواء الإسلام والدعوة إلى الوحدة بين الأمة الإندونيسية بمختلف أصولها مجالاً انخرط فيه اليمنيون مع إخوانهم الإندونيسيين. ولما كان لا بُدَّ من التعبير عن أهداف الجمعيات الناشئة وغاياتها فقد كانت الصحافة الوسيلة المثلى

(١) ورقة قُدمت في الأصل باللغة الإنجليزية في ندوة العلاقات اليمنية ـ الإندونيسية التي انعقدت في جاكرتا من ١٥ ـ ١٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣م برعاية المركزين الوطنيين للأرشيف في البلدين.

لذلك. ومع أنّ أقدم جمعية هي (جمعية خير) التي وافقت السلطة الهولندية على تأسيسها في جاكرتا عام ١٩٠٥م، فإن الصحافة العربية في إندونيسية نفسها تأخّرت بعض الوقت، مقارنةً بمثيلاتها في سنغافورة، ومع ذلك فقد كان نشاط هذه الجمعية واسعاً، وأقامت علاقات واتصالات مع رجال الفكر والصحافة في مصر وبلاد الشام على وجه خاص بهدف التعريف الإعلامي وتوضيح أهدافها وأنشطتها.

وقد استمر الأمر حتى أصدَرَت الجمعية صحيفة (الإقبال) الأسبوعية في تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩١٧م، وكان محررها المسؤول (محمد سالم بارحا) لتعالج هموم المرحلة، والمتمثلة في تشجيع التعليم لرفع مستوى أبناء الجالية اليمنية في مهاجرها، والحفاظ على الأخلاق والآداب ومساعدة الجمعيات الخيرية القائمة بنشر التعليم الإسلامي واللغة العربية، وكذلك السعي في كل مَا مِن شَأنهِ رُقُيّ الشعب الحضرمي أدبياً ومادياً وبما لا يتعارض مع قانون الحكومة (الزين: ٢٥٢ ـ ٢٥٣).

لقد كان «للإقبال» دورٌ رياديّ فقد كانت توزع في خارج الجزر الهولندية في ماليزية وسنغافورة وبعض أماكن المهاجرين في إفريقية، كما كانت بعض أعدادها تصل إلى حضرموت، ولكنها اضطرت للتوقف آخر عام ١٩٢٠م، وبعد ثلاث سنوات من صدورها بسبب الظروف المالية الصعبة.

وفي الوقت نفسه كانت صحف مستقلة أو مُمُثَّلَة لتيارات متباينة قد ظهرت في إندونيسية كما في غيرها، فقد صدرت (الإرشاد) في (جاوة) في صيف العام نفسه الذي توقفت فيه (الإقبال) (حزيران/ يونيو ١٩٢٠م). وقد حَددت في عددها الأول أهدافها وبرامجها الإعلامية (بما يخدم التوجه الإرشادي) القائم على الوحدة الوطنية بين أفراد الجالية اليمنية بمختلف انتماءاتها الاجتماعية «إلا أنّها توقفت بعد عام صدورها

(١٩٢١م) (الزين: ٢٦١)، وفي رواية أخرى أنها توقفت عام ١٩٢٥م (طاهر: ٢٠٤) وحل محلها بعد زمن وذلك عام (١٩٣٨م) صحيفة (المرشد) لتعبِّر عن أفكار الأولى نفسها. وكانت شهرية واستمر صدورها في جاكرتا لعامين توقفت بعدهما كثير من الصحف الأخرى؛ بسبب الحرب العالمية الثانية (طاهر: ٢٠٤ ـ ٢٠٥). وكما كانت بعض الصحف تحتجب لظروف مادية في الغالب، كذلك كان شأن بعض المجلات الشهرية التي اشتهر منها مجلة (الرابطة) التي أصدرها في جاوة عام ١٩٢٩م هاشم بن محمد الحبشي وحسين بن علوي بن شهاب ورأسَ تحريرها أحمد عبد الله السقاف، وكانت المجلة لسان حال (الرابطة العلوية) وهمزة صلة بين المغتربين ووطنهم الأم، كما كانت ترسل إلى اليمن وبشكل خاص إلى (حضرموت) و (عدن)، وكان في توجهها الإسلامي مبالغة وتزمُّت، وكانت على خلاف مع تيار (جمعية الإرشاد) في عديد من المسائل التي كانت سائدة في حينه. وقد توقفت نحو عام (١٩٣٤م) (علوي طاهر ١٩٦ ـ ٢٠٢).

وقد تزامن مع صدورها مجلة أخرى شهرية هي (مرآة الشرق) التي كانت (مجلة أدبية أخلاقية اجتماعية) ـ كما جاء في عددها الأول الصادر ـ أيضاً في جاوة في حزيران/ يونيو ١٩٢٨م، وكان اهتمامها محلياً وعربياً ودولياً، وكثيراً ما كانت تنشر عن الصحف العربية والمصرية خصوصاً (الزين: ٣١٠ ـ ٣١٦). وبقدر محدودية توزيع الصحف الذي لم يتجاوز الألفين، فكانت المجلات أكثر توزيعاً حيث بلغ في أحسن الأوقات خمسة آلاف نسخة، وربما كانت صحيفة (الدهناء) الشهرية التي صدرت في جاوة عام ١٩٢٨م أكثر حظاً من غيرها فقد بلغ توزيعها ٣٠٠٠ (ثلاثة آلاف نسخة)، وكانت تُباع في إندونيسية وماليزية وسنغافورة، ولعل هذا يفسر استمرارها حتى توقفت عام ١٩٤٢م بعد دخول القوات اليابانية.

ويذكر لها بأنها كانت منبراً حُرّاً، وتنشر المقالات دون رقابة مسبقة ولعلها مع أُخريات من الصحف التي كانت تنشر باللغتين الملاوية أو الإندونيسية واللغة العربية في عددين مختلفين في موعد الصدور بين يومية وأسبوعية وربما شهرية (الزين: ٣١٦ ـ ٣٢٥). ولعل من أشهر صحف تلك الفترة صحيفة (حضرموت) التي أسَّسَها عام ١٩٢٣م السيد (عيدروس المشهور) ورأسها كاتب ومحرر ممتاز هو (محمد بن هاشم) وكانت أسبوعية توزع ٣٥٠٠ نسخة، واستمرت في الصدور عشر سنوات، وتعدّ من أطول الصحف عُمراً (الزين: ٢٦٣ ـ ٢٦٧).

لقد تمكن الدكتور الزين من وضع جدول حصَرَ فيه ٣٦ صحيفة ومجلة صدرت في إندونيسية بين عامي (١٩٠٤ و١٩٥٠م) (الزين: ٢٧٦ ـ ٢٧٨)، نلاحظ أن نسبة نحو ٩٠٪ منها توقف مع الحرب العالمية الثانية، وأنّ توقفها تقريباً بعد منتصف القرن العشرين يرجع إلى عدة عوامل؛ لعل أهمها انحسار الهجرة اليمنية إلى إندونيسية وشرق آسية، وتوجه الهجرة نحو الخليج والمملكة العربية السعودية، واندماج الجيل الجديد في مجتمعه الإندونيسي. وكذلك بعض التعقيدات والصعوبات في السفر بعد استقلال الجزر الهولندية، وبالمقابل تطوُّر وتعدُّد الصحافة في جنوب الوطن اليمني (الموسوعة: ٨٧).

ولكن وقد أشرنا إلى بعض أهداف وغايات تلك الصحافة، فمن المهم أيضاً أن نذكر أن مضمونها أو محتواها ـ بغض النظر عن توجهاتها ـ كان متقارباً في توزيع المواضيع ومعالجة مختلف القضايا، فقد كانت السياسة الخارجية تحتل المكانة الأولى ٢٥٪ من موادها «وذلك لأنها تشمل كل ما يتعلق بأخبار اليمن عموماً وحضرموت على وجه الخصوص»، وكذا عن العالم العربي ثم الدولي، وتأتي (السياسة الداخلية في المرتبة الثانية ٢٠٪)؛ وهي المتعلقة بالأخبار الوطنية في الشرق الأقصى، وكذا المواضيع المتعلقة بالجالية في هذا المهجر المتفقة والمختلفة.

أما الحياة الثقافية فتأتي في المرتبة الثالثة، باعتبار تلك الصحافة «ثقافية المنشأ» وركزت على مواضيع التراث العربي والفقه الإسلامي، وأفرَدَتْ دائماً للتعليم وأهميته أعمدةً خاصة، وعدته «.. المدخل الصحيح إلى التقدم والحضارة وتجاوز التخلف، وَدَعَتْ إلى دعم ومساعدة الجمعيات في بناء المدارس، ومساعدة الطلاب المرسلين للدراسة في البلاد العربية..» (الزين: ٣٩٧)، ومثل ذلك تقريباً من نسبة في الموضوعات الاجتماعية، يليها المتفرقات وآخرها الإعلانات التي كانت أقل ما كان يُنشر لعدم انتشار ثقافة الاستهلاك في حينه ومحدودية التوزيع أيضاً (الزين: ٣٩٩).

وهكذا فإنه يمكننا القول: إنّ معظم صحافة المهجر قد جنّدت جُلّ جهدها وفق إمكاناتها من أجل تقديم مادة صحفية مقبولة إرضاءً لقرائها من خلال نشر عديد من المواضيع التي تدخل في صميم اهتمامهم، والتي منها السياسية والاجتماعية والثقافية بالمفهوم الواسع. والقسم الآخر من تلك الصحف وبمختلف توجهاتها الفكرية والاجتماعية أو المذهبية، لم يكن له المقدرة على خلق رأي عام يتأثر بطروحاتها، والاقتناع بصحة هذا الرأي دون غيره، إن قوة التأثير كانت تنطبق ـ في هذه الحالة ـ على القراء ممن ينتمون إلى هذا التيار أو ذلك، من خلال الوسيلة الناطقة باسم التيار الذي ينتمون إليه، وليس العكس. (الزين: ٤٢٤).

أخيراً: يمكننا القول بثقة: إنّ دوافع صدور تلك الصحف والمجلات لم تكن بهدف الارتزاق أو الاستثمار والحصول على أموال ودخل مادي، بقدر ما كان الأمر حَملَ رسالة حاوَلت من خلالها (عَبْرها) وَوِفق إمكانات وقُدرات ذلك الزمن الإسهام في بناء الإنسان اليمني في مهجره، وزيادة المعرفة وخلق رأي عام محلي مُتَنَوِّر في عالم سريع التَغَيُّر.



# في التنمية البشرية العربية

## ومآزق التخلف



# تقديم

## تقرير التنمية البشرية
## العربية ومأزق التخلف العربي

كان المغفور له الحسن الثاني عاهل المغرب مفوّهاً، جزل العبارة، عميق الاستشهاد من مناهل ثقافته العربية الإسلامية والفرنسية الأوربية، وما زلت أذكر خطابه المرتجل عند افتتاحه قمة مؤتمر فاس (١٩٨٢م)، فقد دق ناقوس الخطر بعد اتفاقات كامب ديفيد، التي كان أول المؤيدين لها، معلناً أنه آن الأوان للعرب أن يراجعوا خططهم ومواقفهم ليس من إسرائيل فحسب، بل ومن العالم، ومن كل ما يحيط بهم وما يعيشونه من تخلف، هو سبب هزائمهم وأوضاعهم المؤلمة، وقد لفت نظري يومها استشهاده (وهو من هو مُلْك الأرستقراطية) يقول لينين: «إن علينا أن نزين الوقت ببيض النمل»، تجسيماً لخطورة الزمن وضياع الوقت. وقديماً قالت العرب: إن الوقت كحد السيف إذا لم تقطعه قطعك.

أذكر هذا بمناسبة الحفاوة ونقيضها التي قوبل بها (تقرير التنمية البشرية العربية لعام ٢٠٠٢م) والذي حرصنا في هذا العدد من (الثوابت) أن نفرد له ملفاً أعدنا فيه أكثر من رأي ووجهة نظر بين المدح والإشادة أو النقد وحتى القدح، وذلك مما سبق نشره في بعض المجلات والصحف الغربية والعربية، لكننا نعلم بأنه لم يصل إلى معظم قرائنا في اليمن، فمن يقرأ الجارديان في اليمن!! أو من المنشورات العربية المطبوعة في الخارج،

ومن تلك المجلات والصحف كان هذا الملف الذي يعكس حقيقة أوضاع الوطن العربي كله، ونحن في اليمن ـ وللأسف الشديد ـ في أسفل الدرجات منه، خصوصاً في مسألة التخلف العام، ومن أهم مظاهرها مستوى التعليم، والبحث العلمي، والصحة والبيئة، ومحنة الأمية والفقر والبطالة... إلخ.

فحول التعليم ـ على سبيل المثال ـ يذكر التقرير أن هنالك «دلائل على تردي نوعية التعليم، وهو ما يعني تدني التحصيل المعرفي والقدرات التحليلية والابتكارية، وأسهم الخلل الحادث بين سوق العمل ومستوى التنمية من جهة، ومتخرجي النظام التعليمي من جهة أخرى في ضعف إنتاجية العمالة، واختلال هيكل الأجور، وتفشي البطالة وتدهور الأجور الحقيقية للغالبية العظمى، مما يعني ضعف العائد الاقتصادي والاجتماعي للتعليم، وإذا ما استمرت الاتجاهات الحالية فستمر عقود قبل القضاء على الأمية، أو قبل زيادة نسب الالتحاق بالتعليم لتصل إلى ما حققته الدول الصناعية في منتصف تسعينات القرن الماضي..».

وبهذه المناسبة فإن انعقاد «المؤتمر الوطني الأول للتعليم الأساسي» في صنعاء (٢٦ ـ ٢٩ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٢م)[1] الذي كان من أهم محاوره «مشروع الاستراتيجية الوطنية لتطوير التعليم الأساسي»، خطوة هامة ومطلوبة، غير أنها في حاجة إلى أن تكون هاجس الحكومة كلها، وليس وزارة التربية والتعليم، وأولى أولوياتها اليوم وغداً، والأمر نفسه مطلوب على مستوى التعليم العالي والفني وكذا التدريب المهني..

صحيح أننا في بعض معايير التقرير أفضل من بعض أشقائنا ممن سبقنا بكثير، وذلك على وجه التحديد في مجال الحرية والديمقراطية ومشاركة

(١) راجع توصيات المؤتمر في متابعات العدد (ص: ١٨٤).

المرأة وحقوق الإنسان، إلا أن سمة التخلف ومظاهره عامةً جارحةٌ.. وما زلنا في بداية الطريق وعلينا الاستمرار فيه.

لقد كان بعض النقد موجهاً للغرب الذي نعلق على شماعته أخطاءنا وفشل خططنا بل وهزائمنا، وقد كان هناك وما زال ردود كثيرة على مثل هذه المقولات، ومن ذلك أن المفكر العربي الأستاذ محمد جابر الأنصاري كان قد أهداني كتابه الهام والمفيد (مُساءلة الهزيمة)(١) عندما كنت في البحرين في مطلع ربع هذا العام، وكنت أرغب في عرضه والتنويه به، وقد وجدت من المناسب اقتباسه في نفس الموضوع حين ذكر: «... نعم ـ التخلف ـ. ولنسمِّ الأشياء بأسمائها.. التخلف الحضاري عن مقتضيات العصر بجميع متطلباته الأساسية، حُريةً وتنظيماً وتفكيراً وإنتاجاً وقوة، هذه هي (قضية العرب الأولى)... ودعونا من التذرع بمحاججة نظرية (المركزية الأوربية) التي يتصدى لها بعض المثقفين العرب كلامياً ليتهربوا من مقولة التخلف بحجة أن التخلف مجرد (إسقاط) أوربي على المجتمعات الأخرى، ثمة تقدم وثمة تخلف في العالم كله. والفيصل في ذلك معايير موضوعية في العلم والإنتاج ومستوى التحضير والتحرر الفكري والسياسي. فالتخلف إذن هو نكبة العرب الكبرى... وما ضياع فلسطين والاستهتار الإسرائيلي الراهن بالحقوق والمشاعر العربية إلا عَرض من أعراض هذه النكبة، لكنه ليس العرض الوحيد...».

### حلقة نقاش للتقرير:

لقد حاولت بعض الجهات المختصة في بلادنا (كوكالة سبأ إعلامياً) وأخصها وزارة التنمية والتخطيط بتوجيه واهتمام من وزيرها [السابق]

---

(١) د. محمد جابر الأنصاري: مُساءلة الهزيمة (جديد العقل العربي بين صدمة ١٩٦٧م ومنعطف الألفية) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠٠١م والاقتباس (ص: ٣٥ منه).

الكفء النشيط الأخ الأستاذ أحمد محمد صوفان[1]، إبراز أهمية ذلك التقرير الدولي الأول وتقديم تقرير الوزارة الوطني الثاني الخاص (بالتنمية البشرية) لعام ٢٠٠٠/٢٠٠١م الذي حمل عنوان (المجتمع المدني في اليمن)، ومن أجل ذلك دعي إلى حلقة نقاش عقدت صباح يوم الأحد ١٣/١٠/٢٠٠٢م شارك في الإعداد لها (مركز دراسات المستقبل)، وقد تزامن موعدها مع زيارة الدكتورة ريما خلف هنيدي مساعد الأمين العام للأمم المتحدة ومديرة المكتب الإقليمي للدول العربية، التي قدمها الأخ الوزير إلى الحلقة، فتحدثت باختصار عن التقرير وأهميته داعية المشاركين إلى إثرائه بمداخلاتهم وتعليقاتهم، وكانت مضطرة مع الأخ الوزير لمغادرة القاعة لارتباطها بموعد مع الأخ رئيس الوزراء، وقد خفّ حماس المشاركين، فغادر بعضهم، ومعظمهم كان من العاملين في وزارة التخطيط، بالإضافة إلى عدد لا يتجاوز أصابع اليدين ممثلين لبعض الأحزاب، وقلة من الأكاديميين، كان أبرزهم الأخ أ.د/ أحمد الكبسي أستاذ العلوم السياسية المعروف.

ومع ذلك فقد وُفِّق الأخوان د/ يحيى المتوكل، د/ فؤاد الصالحي في تقديم عرض شامل لتقرير التنمية البشرية لم يكن للمشاركين رأي فيها، ولم يسعف الوقت كذلك أي حديث التقرير الوطني الذي بذل فيه جهد ملحوظ؛ ويستحق من المعنيين ما هو جدير به من التحليل والملاحظات، وعسى أن يتاح لنا في (الثوابت) إعداد ملف خاص به قريباً، وربما يقوم الأخ د/ فارس السقاف رئيس مركز دراسات المستقبل المشارك، والذي أدار النقاش بنشر شيئاً من تسجيلات تلك الحلقة اليتيمة.. فعساه يفعل.

---

(١) راجع ورقته المقدمة في ندوة (الثورة اليمنية.. الانطلاق.. التطور.. آفاق المستقبل) ص: ١٥٩ من هذا العدد.

إن أهمية هذا الموضوع جعلتنا نقدم الملف دون غيره من الموضوعات ليتصدر هذا العدد من (الثوابت).

وقبل قراءة هذا الملف لا بد من التذكير بعبارة هامة وردت في التقرير عن (التعاون العربي) الذي كان حلماً لكنه (أصبح ضرورة من أجل البقاء)! فهل نحن قادرون على ذلك؟ وهل حقاً نحن كما جاء في التنزيل الكريم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣/ ١١٠] صدق الله العظيم..؟ هذا هو التحدي.. ربما الأخير.



# تقرير خاص عن (التنمية العربية)

## بعنوان

## الطريق الذاتي إلى الفشل[١]

قام عدد من الباحثين العرب بإعداد تقرير جديد مفصل يوضح الأسباب الكامنة وراء تخلف المنطقة العربية وتأخرها عن ركب الحضارة العالمية. فما أسباب ذلك؟ وأين مكمن الخطأ؟ ولماذا يظل العرب غير قادرين على التحرك والالتحاق بالحداثة؟ فالعالم العربي لا يمكن أن يوصف بشحٍّ الموارد، بل على العكس من ذلك ينعم بموارد نفطية هائلة، وتتمتع شعوبه بتراث ثقافي وديني ولغوي غني، كما أنه لا يعاني من مشاكل فقر متوطن، ولا حتى صراعات عرقية، وقد استطاع الخلاص من الموروثات التي خلفها الاستعمار بشكله القديم والجديد منذ فترة طويلة. وبالنسبة إلى تلك البلدان التي اندلعت فيها الثورات فيفترض بأنها قد حظيت بفترات زمنية كافية لمعالجة أوضاعها.

ولابد من الإشارة إلى أن جميع الحكام الذين مكنتهم الثورات من الاستئثار بالسلطة سواء كانوا رؤساء أو ملوكاً معظمهم لا يتنازلون عن سلطاتهم المطلقة إلا بنهاية حياتهم. أما الانتخابات التي تجري - عادة - في تلك البلدان فما هي إلّا ضحك مبك على الذقون، بينما تعامل غالبية

(١) مجلة الإيكونومست اللندنية العدد الصادر في ٦ - ١٢ حزيران/ يونيو ٢٠٠٢م، وعنوان التقرير ـ والذي يمكن أيضاً ترجمته (الطريق إلى تدمير الذات .The path to Self-doom

مواطنيها (قانونياً واقتصادياً) وكأنهم أقل شأناً من بني الإنسان، كما يلاحظ أن أغلبية شباب هذه البلدان يعانون من مآسي البطالة، ويرسفون في أغلال التقاليد الدينية المتشددة، ويقال: إنهم يتمنون الهروب بعيداً عن أوطانهم لو سنحت لهم الفرصة.

وكثيراً ما ينغمس الباحثون والمفكرون العرب من المحيط إلى الخليج (ولاسيما في مصر الرائدة الطبيعية للعالم العربي) في نقاشات طويلة على مآدب العشاء، لا يكفون فيها عن مساءلة بعضهم بعضاً: كيف ولماذا آلت الأمور إلى هذا الحال من السوء، رغم إمكانية تفاديه.

ولقد قام مؤخراً فريق من هؤلاء الباحثين بتسخير خبراتهم لدراسة وتحليل هذه الأوضاع المتردية، وتمخضت دراستهم عن صياغة «تقرير التنمية البشرية في العالم العربي ٢٠٠٢»[١]، والذي صدر في شهر حزيران/ يونيو عن البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة (من الدال على مدى حظر التعبير الحر عن الفكر بأنه لا تكاد توجد أي مراكز فكرية جديرة بالاهتمام في العالم العربي).

ويقوم التقرير، الذي كان للسيد نادر فرجاني عالم الاجتماع المصري دور بارز في صياغته، بفحص وتحليل دقيقين لنقاط القوة والضعف في المشهد العربي القائم، غير أن نقاط القوة للأسف لا تحتل سوى مساحة ضئيلة من مجمل التقرير، بينما تستهلك نقاط الضعف جهد واهتمام مؤلفي التقرير، ولقد كان للحذر الطبيعي المغروس في نفوس مؤلفي التقرير أثر كبير في ردعهم عن تسمية بعض الأشياء بمسمياتها، وكذلك تفادي تحديد الكثير من الأسماء، ومع ذلك فقد أوضحوا بصدق وبطريقة مقنعة وجهة نظرهم عن: كيف ولماذا انحدر عالمهم العربي إلى هذا الوضع؟

وعلى مدار عشر السنوات الأخيرة، فقد عمدت تقارير ومؤشرات

(١) The ARAB HUMAN DEVELOPMENT REPORT, 2002 UNDP.

التنمية البشرية للبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة إلى الأخذ بعدة معايير في قياس أداء البلدان المختلفة، وليس بمقياس الأداء الاقتصادي وحده، إذ اهتمت بمجمل مؤشرات التنمية البشرية مثل متوسط أعمار المواطنين، ونسبة استيعاب الطلبة المسجلين بالمدارس إلى مجمل الطلبة في سن الدراسة، ونسبة الأمية لدى الكبار، إضافة إلى متوسط دخل الفرد، وهذه هي المرة الأولى التي يقوم فيها البرنامج الإنمائي بإلقاء نظرة شاملة على مجمل الأوضاع في منطقة بعينها هي العالم العربي، وسيتواصل إصدار مثل هذا التقرير سنوياً بدءاً بمسوحات عامة، ومن ثم الوصول إلى دراسات تفصيلية لقطاعات محددة، فيها ـ على سبيل المثال ـ إخفاق العرب عن مواكبة ثورة المعلومات وتقنية الاتصالات.

وبالمقابل فقد قام الفريق العربي بوضع دليل مغاير أسموه الدليل البديل للتنمية البشرية، ومن شأن هذا الدليل أن يستثني مؤشر متوسط دخل الفرد، ويضيف بدلاً من ذلك معايير أخرى إلى دليل التنمية البشرية، هي تلك المعايير التي تركز على سجل البلد والمنطقة المعنية في مجال التمتع بالحريات المدنية والسياسية، ومدى استخدام الإنترنت، ومستوى انبعاث ثاني أكسيد الكربون، وكما كان متوقعاً، فإن وضع العرب يصبح أسوأ بكثير عندما يتم تقسيمه على ضوء هذه المعايير.

ونعني بالعالم العربي الاثنين والعشرين دولة الأعضاء في الجامعة العربية، والتي يصل عدد سكانها حالياً إلى ٢٨٠ مليون نسمة، أو ما يقارب عدد سكان الولايات المتحدة بدءاً بمصر بسكانها الثمانية والستين مليوناً إلى قطر التي لا يتجاوز عدد سكانها ٥٦٥ ألف نسمة. كما نجد في هذه المنطقة أعلى نسبة للشباب في العالم، إذ يشكل من سنّهم دون الرابعة عشرة ٣٨٪ من السكان، ومن المتوقع إحصائياً أن يتجاوز عدد سكان العالم العربي ٤٠٠ مليون نسمة خلال العشرين عاماً القادمة.

وهناك تطورات إيجابية يمكن الإشارة إليها: فقد زاد متوسط الأعمار خلال الثلاثة العقود الماضية خمسة عشر عاماً، وهبط معدل وفيات الأطفال بنسبة ٦٣٪ عما كان عليه قبل ثلاثين عاماً، وليس مفاجئاً أن نجد أن متوسط دخل المواطن العربي أعلى من مثيله في معظم الدول النامية، ولكن المفاجئ هو إدراك أن إجمالي الناتج القومي لجميع الدول العربية، والذي يبلغ ٥٣١ مليار دولار، لا يكاد يساوي إجمالي الناتج القومي لدولة إسبانية، أما الفقر المدقع (ويُعرف بأنه دخل أقل من دولار واحد في اليوم) لدى المنطقة العربية، فأقل منه عند أي مناطق نامية أخرى، والفضل الأكبر في هذا يعود إلى التقاليد العربية الإسلامية في العطاء الخيري للمحتاجين، غير أن التقرير يعلق متذمراً: «إن المنطقة العربية أغنى بكثير مما يتم تقديرها حالياً».

## افتقار العالم العربي لثلاثة عناصر:

مازال شخص من بين كل خمسة أشخاص في العالم العربي يعيش على أقل من دولارين في اليوم. وعلى مدى العشرين سنة الماضية، فإننا نجد أن نمو الدخل لكل شخص بمعدل ٠,٥٪ سنوياً كان أدنى من أي منطقة أخرى في العالم ما عدا في المنطقة الإفريقية جنوب الصحراء.

ويستنتج التقرير أنه مع استمرار هذا المعدل فإن المواطن العربي العادي بحاجة إلى مئة وأربعين سنة حتى يتمكن من مضاعفة دخله، وهو هدف يفترض أن تصل إليه بعض المناطق خلال أقل من عشر سنين، وركود النمو مع التزايد السريع في عدد السكان يعني أن تختفي الوظائف، وحتى الآن، فإن العاطلين عن العمل يبلغون حوالي ١٢ مليون شخص أو ما يعادل ١٥٪ من القوة العاملة، وباستمرار هذا المعدل فقد يرتفع هذا العدد حتى يصل ٢٥ مليون شخص مع حلول عام ٢٠١٠م.

ويخلص التقرير إلى أن العائق الحقيقي أمام تحسين الأداء العربي ليس بسبب شحّ الموارد، لكنه افتقار مؤسف لثلاث أساسيات: (الحريات، والمعرفة، والقوى النسائية)، وأن العالم العربي يفتقر إلى الكميات الكافية لما أسماه مؤلفو التقرير (بعيوب) المنطقة العربية الثلاثة، ويتحجج المؤلفون بأن هذه العيوب هي التي تُرجع العرب المحيطين عن تحقيق إمكانياتهم المتاحة، وكذلك السماح لبقية العالم بأن يستخف ويخشى في آنٍ واحد من هذا السير المميت المكون من الغنى والتخلف.

**الحرية**

ويحسب ترجمة البرنامج الإنمائي (UNDP)، فإن هذا الخلل يوضح كثيراً من أخطاء المقومات الجوهرية للعالم العربي مثل: بقاء الأوتوقراطيات المطلقة، وإقامة الانتخابات الزائفة، والإرباك في السلطتين التنفيذية والقضائية (ويشير التقرير إلى الرابط اللغوي بين السلطتين في اللغة العربية)، والقيود الموضوعة على وسائل الإعلام والمجتمع المدني، ومحيط اجتماعي أبوي متعصب لدرجة الاختناق أحياناً.

إن المنطقة العربية مزركشة بكل أشكال حُلي الديمقراطية الظاهرة، فالانتخابات تقام ويتم التوقيع على اتفاقيات دولية لحقوق الإنسان... إلخ، غير أن الموجة العظيمة التي تمقرط العالم واكتسحت كثيراً من بقاع الأرض خلال الخمسة عشر عاماً الماضية، يبدو أنها لم تمس العرب بشيء! صحيح أنهم يقدمون الديمقراطية أحياناً، لكنها تقدم بشكل تنازل منهم (أي من السلطة) لا لكونه حق من حقوق المواطنين.

ويعلق التقرير بأسلوب رفيع قائلاً: إن اللجوء لاشتغال السلطة عبر صناديق الاقتراع ليست بظاهرة اعتيادية في العالم العربي، وعلاوة على ذلك فنادراً ما يتم تعيين كبار موظفي الدولة من الوزراء فأقل، على أساس أهليتهم لهذه المناصب فحسب، بل إن الوظائف تُعطى للأشخاص لا مقابل

معارفهم ولكن من أجل من يعرفون! والنتيجة كما هو الحال عادة، تكوين سلطة مركزية لا تتزحزح وغير مبالية، وإدارة عامة عديمة الجدوى.

ومن ثم فإن الدولة تصنع حدودًا صارمة على حرية التعبير وحرية الارتباط. واستناداً إلى (فريدوم هاوس - بيت الحرية)، وهي مؤسسة رقابية للحقوق السياسية والمدنية مركزها في أمريكة، يسجل التقرير أنه ليس هنالك وجود لإعلام حر حقيقي لدى أي بلد عربي، وثلاث بلدان فقط لديها إعلام شبه حر، أما البقية فلا حرية إعلامية فيها.

ما زال المشوار طويلاً جداً أمام المجتمع المدني في العالم العربي، ويتم وضع عوائق قانونية وإدارية في طريق المنظمات غير الحكومية تعرقل أعمالها، وذلك من قبيل المسؤولين الذين يشككون دائماً في حقيقة نوايا وأهداف هذه المنظمات، وهذه المنظمات لا تخلو تماماً من المشاكل فهي تعاني من سلبيات داخلية لأنها عادة تحصل على تحويلها المالي إما عن طريق المصادر الأجنبية، وهذا يثير تلك الشكوك. أو من الحكومة، وهذا في حد ذاته ينقض الهدف الأساسي من إنشائها[١].

**المعرفة**

وقد قال الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) في القرن السادس ميلادي: «لو أراد الله إذلال إنسان لمنع عنه العلم». صحيح أن العرب ينفقون على التعليم نسبة من إجمالي الناتج القومي تفوق ما تنفقه أي منطقة نامية أخرى، إلا أنها على ما يبدو لا تُنفق بنفع. فقد تدهور مستوى التعليم بشكل يرثى له، وهناك عدم تلائم خطير ما بين سوق العمالة والنظام التعليمي، صحيح أن معدلات أمية البالغين قد هبطت عما كانت

(١) لعل مركز ابن خلدون في القاهرة وما جرى لمؤسسه من محاكمة مؤخراً مثال على ما ذهب إليه التقرير.

عليه، ولكنها ما زالت مرتفعة جداً، كما توضح الحقائق أن ٦٥ مليوناً من البالغين هم أميون، ونجد أن ثلثي هذا العدد هن النساء، ويظل هناك ما يقارب عشرة ملايين طفل لم يسجلوا بعد في المدارس.

ونتيجة لهذا الضعف في التعليم فإن واحداً من أخطر المساوئ أن العرب الذين قادوا العالم خلال فترة ما أصبحوا يتراجعون أكثر فأكثر في البحث العلمي وتكنولوجية المعلومات. إن حجم ما يستثمره العرب في مجالي البحث والتطوير يعادل أقل من سُبع المتوسط العالمي، ولا يتعامل مع شبكة الإنترنت سوى ٠,٦٪ من سكان المنطقة ككل، ومن بينهم فقط ١,٢٪ من يمتلكون حاسباً خاصاً بهم.

ونتيجة أخرى لا تقل سوءاً عن سابقتها هي نُدرة الإبداع، ويعلق متحسراً على الانحسار الفظيع في الكتابات الجديدة، ومثالاً على ذلك أيضاً في صناعة الأفلام. وكذلك، فالكتب الأجنبية لا تترجم كثيراً، ويقول مؤلفو التقرير: إنه وخلال الألف عام الماضية منذ حكم الخليفة المأمون (فما قام العرب بترجمته من الكتب هو ما تترجمه دولة إسبانية خلال العام الواحد)!

### أوضاع المرأة

ربّما كان الشيء الوحيد الذي يعرفه كل أجنبي عن العالم العربي هو أنهم لا يعترفون بحق المرأة في المواطنة الكاملة. ويعتبر التقرير أن هذا الحال يشكل هدراً مروعاً، فكيف يمكن لأي مجتمع أن يتطور ويزدهر، وهو يحكم بالشلل على نصف طاقته الإنتاجية المحملة!! ولو سلمنا بأن عدد القادرات على القراءة والكتابة قد تضاعف ثلاث مرات خلال الثلاثين عاماً الماضية، فإن الحقيقة هي أن نصف نساء العالم العربي لا يعرفن القراءة والكتابة، وأن مشاركتهن في الحياة السياسية والاقتصادية للبلدان التي ينتمين إليها هي الأدنى في العالم.

وتختلف المجتمعات والحكومات في درجة معاملتها السيئة للمرأة (وأحياناً تكون المجتمعات والبرلمانيون هم أكثر تخلفاً من حكوماتهم) لكن المرأة في كل أنحاء العالم العربي تقريباً تعاني من المواطنة غير المتكافئة ومن عدم التمتع بكامل حقوقها. ويعتمد البرنامج الإنمائي عدداً من المعايير تحدد مستوى تمكين المرأة. هذه المعايير تضع البلدان العربية قريباً من أدنى المستويات على الإطلاق (ووفقاً لهذه المعايير فإنه لا يحتل موقعاً أسوأ من الدول العربية إلا الدول الإفريقية جنوب الصحراء)، بيد أن الأمم المتحدة لم تستطع تطبيق قياساتها هذه إلا على ١٤ من ٢٢ دولة عربية، وذلك لانعدام المعطيات المطلوبة عن أوضاع المرأة في تلك الدول، وهذا يوضح بجلاء افتقار الناس هناك للاهتمام بقضايا تقدم المرأة.

## لماذا حدث كل هذا الإخفاق؟

السيد كلوفيس مقصود وهو شخصية (عربية)[١] محترمة وواحد ممن ساهموا في إعداد هذا التقرير، يقول: «يمكن لأي بلد أن يعاني واحداً أو حتى اثنين من العيوب المذكورة آنفاً، ومع هذا يستطيع المضي قدماً.. فسنغفورة على سبيل المثال استطاعت أن تحقق الازدهار دون أن تقدم الكثير في مجال الحريات السياسية».

ولكن إذا كانت دولة أو منطقة ما تعاني من الثلاثة العيوب مجتمعة، فإنها تصبح كمن يقع في شرك لا يستطيع الإفلات من براثنه. ولا توجد عوامل تاريخية واضحة الدلالة يمكن اعتبارها السبب في وصول الأمور إلى حالها هذا. فقد كانت الأولوية خلال الأعوام التي تلت الحرب العالمية الثانية مكرسة الجهود للخلاص من سيطرة الغربية التي كانت

(١) في الأصل الإنجليزي (مصري) وهو خطأ، فالأستاذ الدكتور كلوفيس مقصود دبلوماسي وأكاديمي لبناني معروف عمل ممثلاً للجامعة العربية بالولايات المتحدة الأمريكية، وهو يعمل الآن بها في مركز الجنوب ويحاضر بجامعاتها [العمري].

تحكم معظم المنطقة إما مباشرة أو عن طريق تنصي حكومات محلية موالية لها. وكان الهم الأكبر آنذاك هو قضية التحرير الوطني وليس الحريات الشخصية.

وفي غمرة التنديد بمثالب الاستعمار والدعوة إلى تحرير الوطن من شروره لم يبق إلا حيز ضئيل للتفكير في أن الغاية من تحرير الوطن هو تحقيق حريات المواطنين. وعندما اندحر الإمبرياليون لم تلبث الحكومات المستقلة الجديدة أن قلدت أساليب الإدارات الاستعمارية القديمة المتمثلة في المركزية الطاغية وتجاهل مبدأ فصل السلطات، وأسبغ الزعماء الجدد على أنفسهم من الوصاية على شعوبهم والتحكم في مصائرهم، والنكوص إلى نظام الحكم الأبوي (كان الرئيس الراحل أنور السادات يخاطب شعبه بكلمة «أبنائي»).

وقد تجنب مؤلفو التقرير العرب اعتبار الصراع العربي/ الإسرائيلي سبباً أو مشجباً تعلق عليه الإخفاقات العربية، بيد أن التقرير تضمن الإشارة إلى الظروف الخاصة التي يعيشها الفلسطينيون سواء أولئك الذين يعيشون أحزان الشتات كلاجئين، أو من يعيشون منهم تحت الاحتلال، وقد خصصت في مقدمة التقرير فقرة للآثار التي تركها الصراع العربي/ الإسرائيلي على الحياة السياسية والاقتصادية في كل أنحاء المنطقة العربية. ولا شك أن قيام إسرائيل ـ وخصوصاً احتلالها لأرض فلسطين ـ كان عاملاً فاعلاً في انشغال العرب عن قضاياهم الأخرى، مثل قضايا الحريات الفردية وشدهم من جديد إلى قضية التحرير الوطني، مما أدى إلى امتصاص طاقات هائلة كانت المجتمعات العربية أحوج ما تكون إليها لتحقيق التنمية السياسية والاقتصادية.

ومع هذا فإن الميل إلى تحميل التدخل الخارجي كل أوزار المآسي والأحزان التي تعانيها المنطقة العربية لم تعد بضاعة رائجة، كما كان عليه

الحال في أثناء الحرب الباردة. لكن هذه الظاهرة - بطبيعة الحال - لم تختف نهائياً. فمنذ الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م - على سبيل المثال - عادت الأحداث الخارجية من جديد إلى تقديم الذرائع للحكام المتسلطين لتمرير الإجراءات الخبيثة ضد مواطنيهم، ولاسيما تجاه المعارضين الإسلاميين والتي كان من الصعب اتخاذها في غياب تلك الأحداث. فلقد كانت سورية - مثلاً - على رأس قائمة الدول المرفوضة أمريكياً، لكن المخابرات السورية تقوم حالياً باحتجاز شخص متهم بأنه قيادي في تنظيم القاعدة واستجوابه تحت التعذيب، وبموافقة أمريكية ضمنية، بل وبتشجيع منها.

وإضافة إلى ضبط النفس الذي توخاه مؤلفو التقرير تجاه إسرائيل، فلا شك أن التقرير قد تعرض لقيود قسرية أخرى يعرفها الجميع، فالبلدان العربية هي خليط من الكيانات المتباينة، إذ لا توجد سمة مشتركة - مثلاً - بين تونس العلمانية والعربية السعودية الإسلامية سوى رفض كل منهما سماع أي صوت مخالف، لكن التقرير - وهنا مصدر قوته وضعفه في آن واحد - يحرص على النظر إلى المنطقة ككل دون الأخذ بعين الاعتبار إلا نادراً في الفوارق القائمة بين البلدان العربية. وبينما تبين الجداول التي وردت في نهاية التقرير مستوى أداء كل دولة على حدة بالنسبة إلى قضايا عديدة حساسة كقضايا الحرية وحقوق الإنسان، فإن نص التقرير يتفادى - بشكل مدروس - الدخول في تفاصيل حول هذه القضايا الحساسة إلا عندما يتعلق الأمر بالتقدم الذي أحرزه هذا البلد أو ذاك في أي مجال من مجالات التنمية البشرية.

## لا تبحث ولا تتساءل!

إن أكثر القضايا حساسية التي حاول معدو التقرير تفادي الخوض فيها تتمثل في الدور الذي يلعبه الإسلام في إعاقة العالم العربي نحو تحقيق

النهضة المنشودة التي يتطلع إليها مثقفوها، والتي يرون فرص تحقيقها تتضاءل مع مرور الأيام. وتشرح إحدى المقالات الموقعة التي يتضمنها التقرير عن دعوة الإسلام إلى العدالة والسلام والتسامح والوسطية وكل الأشياء الخيرة الأخرى. لكن أغلب المثقفين العلمانيين يعتقدون أن أسلحة المجتمع التي اخترقت مجمل نسيج الحياة الاجتماعية قد لعبت دوراً فاعلاً في إعاقة انطلاق فكر عربي بناء.

فمن بداية أيام الدراسة يتلقى العرب التوجيهات بأن من واجبهم التمسك بالتقاليد وليس تحديها، وأن عليهم احترام السلطة القائمة، وأن الحقيقة يجب البحث عنها في النص وليس من خلال التجربة. كما أن الخوف من الفوضى والفتنة أمور متجذرة بعمق في الكثير من التعاليم العربية/ الإسلامية. وقد كتب أحد المفكرين السوريين: «إن دور الفكر هو النقل والشرح وليس البحث والتساؤل».

لكن مثل هذه التعاليم لم تمنع ظهور أولئك العظماء من علماء الفلك والرياضيات العرب في العصور الوسطى. غير أن هذه التعاليم تبدو الآن أكثر تشدداً عما كانت عليه في العصور الوسطى، وأكثر فاعلية في إحباط التفكير النقدي وروح التجديد: لكنها بدلاً من ذلك تساعد على تخريج أعداد هائلة من الشباب العربي العاطلين وغير المسلحين بمهارات تمكنهم من الاضطلاع بأعمال مفيدة، وهم يحسون بالمرارة لأنهم محرومون من القدرة على تغيير مجتمعاتهم بالوسائل الديمقراطية، ويصبح الإسلام بالنسبة إليهم هو الملاذ والوسيلة الوحيدة المتوافرة لتعيد إليهم احترام الذات.

وأمام إغلاق كل السبل في وجوههم، فالبعض منهم صار يوجّه غضبه المدمر نحو العالم الغربي.

## تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٥م

«المعونات الإضافية والإصلاحات التجارية المناصرة للفقراء وبناء السلام، متطلبات حيوية لإنهاء الفقر المدقع».

«دَشَّنَ برنامجُ الأمم المتحدة الإنمائي ووزارةُ التخطيط والتعاون الدولي (تقرير التنمية البشرية العالمي ٢٠٠٥م) تحت رعاية الأخ الأستاذ أحمد محمد صوفان ـ نائب رئيس الوزراء وزير التخطيط والتعاون الدولي [السابق]، والذي انعقد بفندق «تاج سبأ» في تمام الساعة الرابعة من عصر يوم الاثنين الموافق ١٧ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٥م. وتزامن التدشين مع اليوم العالمي للقضاء على الفقر (السابع عشر من تشرين الأول/ أكتوبر)؛ والذي احتفلَ به المجتمعُ الدوليُ هذا العام تحت شعار «تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية: تمكين الشرائح الأشدّ فقراً من الفقراء».

وقد جَرَى تدشينُ هذا التقرير الدولي الهام الصّادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي قُبيل انعقاد قمة العالم ٢٠٠٥م، والتي التقى في أثنائها غالبية قادة ورُؤساء العالم؛ لتقويم التكاليف البشرية المترتبة على تفويت الأهداف المتفق عليها كَونِيّاً لانتشال البَشَرِ من الفقر المُدْقِع؛ والمتمثلة في العمل الجاد والمثمِر لإيقاف زيادة معدلات الوفيات خلال السنوات العشر القادمة والتي يمكن الحيلولة دون حدوثها.

وقد حَضَرَ التدشينَ عديد من كبار المسؤولين الحكوميين، وأعضاء السّلك الدبلوماسي، والباحثين المهتمين والمختصين، وكذا الجهات الإعلامية والأكاديمية، ومنظمات المجتمع المدني.

واختُتِمَ حفل التدشين بمؤتمر صحفي أجَابَ فيه كلٌّ من الأخ (الوزير) والسيدة (فلافيا بانسيري) المُمَثِّل المقيم لبرنامج الأمم المتّحدة الإنمائي بصنعاء على أسئلة الحاضرين حيث ذكرت السيدة (بانسيري):

«أن سُوء الحظ جعل اليمن يحتل الترتيب (١٥١) دولياً، بعد أن كان في المرتبة (١٤٨) من بين (١٧٧) بلداً مشتركاً في التصنيف».

وقالت: إن الخطوات نحو التحسين وفقاً لمؤشر التنمية البشرية قد تباطأت من متوسط المعدّل السنوي، الذي بلغ (٢,٢٪) في الفترة (١٩٩٠ ـ ١٩٩٥) إلى (١,٦٪) بين (١٩٩٩ ـ ٢٠٠١) وحتى (١,٣) خلال (٢٠٠٠ ـ ٢٠٠٣).

ورأت (بانسيري) أن الانحدار التدريجي في معدل نمو الناتج القومي الإجمالي للفرد الواحد، الذي شهدته اليمن خلال الأعوام الأخيرة، يُعدُّ أحد العوامل المسؤولة عن ذلك التباطؤ، مشيرة إلى أن التقدم في المؤشرات الاجتماعية قد تباطأ أيضاً، ولا سيما فيما يتعلق بعدد من المؤشرات الصّحية منذ عام ١٩٩٧م.

**وأشارت**: إلى أن تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٥م قد أكّد أن تنفيذ الهدف الوارد في استراتيجية التخفيف من الفقر، المتعلق بمعدل النمو لن يتحقق، كما أن زيادة المخصّصات للخدمات الاجتماعية الأساسية، بالنسبة المطلوبة، من إجمالي الناتج القومي لن يتحقق أيضاً، على الرغم من الزيادات الكبيرة في المخصّصات الرقمية لكلٍّ من قطاعي الصّحة والتعليم.

**وكشفت المسؤولة**: عن أن التوترات الاجتماعية والسياسية تؤثر في استخدام الموارد العامة، وتزيد من حدّة المفارقات الإقليمية، وتسقط عديد من البلدان، ضحية تلك التوترات مجدداً، خلال فترة السنوات الخمس اللاحقة لتلك النزاعات، ومع ذلك فإن بقاء مؤشر نفقات الصّحة

العامة البالغ (١,٣٪) من الناتج القومي الإجمالي، مقابل النفقات العسكرية، البالغة أكثر من (٧٪) من الناتج القومي الإجمالي، يعني أن اليمن تستثمر موارد ثمينة بعيداً عن التنمية، ويحدّ التصور الدارج عن قصور الأمن في اليمن من مساهمة قطاع السياحة، وتوسيع الاستكشافات النفطية، وينبغي أن تعزز التحسينات في هذا الجانب، للسماح بتوسيع قطاع السياحة، وكذا الفرص الاقتصادية الأخرى.

**وطالبت (بانسيري)**: «بتعجيل عملية النمو، وجَعلهَا تعمل نحو خلق عمالة مكثفة، ومعالجة المفارقات الاجتماعية القائمة، مستندةً إلى تقرير التنمية البشرية، الذي يوضح أن المتوسط الوطني قد يخفي فجوات كبيرة بين مختلف المناطق والأجناس والمجموعات الاقتصادية والاجتماعية».

وكان تصريحُ الأخ الأستاذ أحمد محمد صوفان ـ كما لو كان ردّاً على خطاب المسؤولة الدولية كما يلي:

«إنّ إجمالي ما تحصّل عليه اليمن من مساعدات وقروض دولية يتراوح بين (٣٣٠ ـ ٣٥٠) مليون دولار سنوياً، يذهب جزء كبيرٌ منها إلى الجوانب الفنيّة والاستشارات، فيما كانت تحصل اليمن قبل الوحدة في عام ١٩٩٠م على ما يتراوح بين (٥٠٠ ـ ٧٠٠) مليون دولار».

**ويرى صوفان**: أن تلك المبالغ، التي تحصل عليها اليمن كمساعدات وقروض تُعدُّ في حدّها الأقل من الأدنى، وتدلّ على أن المحفظة الخارجية لليمن صغيرة جداً وأوضح: أنه رغم الإشكاليات التي تحدث في اليمن، إلا أنه تحقق نجاح كان بالإمكان تحقيق الأفضل منه، لولا ارتباط ذلك بالاستقرار السياسي والأمني، مشيراً إلى أن المجتمع الدولي يتحمل المسؤولية في مساعدة اليمن، على تحقيق الأهداف الإنمائية الثمانية للألفية.

وتعليقاً على تراجع مرتبة اليمن في تقرير التنمية البشرية من (١٤٩) عام

٢٠٠٤م إلى (١٥١) في عام ٢٠٠٥م من بين (١٧٧) دولة في العالم؛ قال صوفان: «لو قَارنّا أحوال اليمن بغيرنا لقُلنَا: إننا بخير، وأن التقرير لا يعبّر عن سياسات ولا إحصائيات دقيقة، مشيراً إلى أن اليمن انتقلت ـ خلال الثلاثين السنة الأخيرة ـ من القرن العاشر الميلادي إلى القرن الواحد والعشرين».

هذا ويدور تقرير التنمية البشرية الدولي للعام ٢٠٠٥م حول حجم التحدّي الذي يواجه العالم في مستهلّ العدّ التنازلي للسنوات العشر الباقية، حتى العام ٢٠١٥، ويتمَحور حول ما يمكن للحكومات في البلدان الغنيّة أن تفعله للوفاء من جانبها بصفقة الشّراكة الكونيّة. وهو لا يعني ضمناً أن حكومات البلدان الناميّة خلُوٌ من المسؤولية، لأن لديها ـ على نقيض ذلك ـ مسؤولية أوّليّة؛ إذ لا يمكن لأي حجم من التعاون الدّولي أن يعوّض عمّا تفعله حكومات تُقصر عن وضع التنمية البشرية في صدر أولويّاتها، أو عن احترام حقوق الإنسان، أو عن معالجة عدم المساواة، أو عن استئصال الفساد. ولكن من دون الالتزام مجدّداً بالتعاون المدعوم بالإجراءات العملية، سوف تفوّت الأهداف الإنمائية؛ وسيتذكّرُ التاريخ إعلان الألفية كمجرّد مجموعة أخرى من الوعود الجوفاء.

وركّز التقرير على ثلاث ركائز للتعاون، يستلزم كل منها الترميم على نحو عاجل.

**الركيزة الأولى**: هي المساعدات الإنمائية؛ حيث تُشكّل المعونة الدولية استثماراً أساسياً في التنمية البشرية. ويُمكن قياس عائدات ذلك الاستثمار من زاوية القدرات البشرية الكامنة؛ عندما يُطلق لها العنان بتفادي الأمراض والوفيات الممكن تلافيها، وتوفير التعليم لجميع الأطفال، والتغلُّب على مختلف أنواع اللامساواة بين الجنسَين، وخلقِ الأوضاع الكفيلة بنمو اقتصادي مستدام. في الوقت الرّاهن، تعاني

المساعدات الإنمائية من مشكلتين: هما النقص المزمن في التمويل، والتوعية الرديئة. وقد حدثت تحسُّنات على هاتين الجبهتين كلتيهما، غير أنه ما زال هناك قدر كبير ممّا ينبغي فعله لسدّ الفجوات في تمويل الأهداف، وتحسين مردود القيمة.

**الركيزة الثانية**: هي التجارة الدولية؛ إذ يمكن للتجارة، في الأوضاع الصحيحة، أن تكون بمثابة حفّازة قويّة للتنمية البشرية، وكانت (جولةُ التنمية) في الدّوحة التي أُطلِقَت إبّان محادثات منظمة التجارة العالمية عام ٢٠٠١م، قد وفّرت لحكومات البلدان الغنيّة فرصة خلق تلك الأوضاع؛ لكنّ أربعَ سنوات انقضت دونما تحقيق أي شيء ذي مغزى، فالسياساتُ التجاريّة للبلدان الغنية تحرم البلدان الفقيرة والفقراءَ من حصّةٍ عادلةٍ في الازدهار العالمي ـ وتتحدّى الالتزام المعقود في إعلان الألفية ـ علماً بأن للتجارة إمكانية تَفُوقُ ما للمعونات إلى حدّ كبير، كي تزيد حصّة أفقر بلدان العالم وشعوبه من الازدهار الكوني، فتقييدُ تلك الطاقة الكامنة، عبر سياسات تجارية غير منصفة، يتناقض مع الالتزام بالأهداف الإنمائية للألفية، أكثر من ذلك فإنه جائرٌ ونِفاقيّ.

**ثالثة ركائز التعاون هي الأمن**: لأن النزاعات العُنفِيّةَ تُفسِدُ حياة مئات الملايين من بَني البشر؛ كما أنها مصدرُ لانتهاكات حقوق الإنسان بانتظام، وعائقٌ في وجه التقدُّم نحو أهداف التنمية للألفية. وقد تغيّرت طبيعة النزاعات، وبرزت تهديدات جديدة للأمن الجماعي. ففي عالم متزايد الارتباط، لا مفر من أن هذه المخاطر؛ التي يُكونها فشل في منع النزاع، أو في اغتنام الفرص المتاحة للسلام؛ سوف تعبر الحدود القومية.

ويمكن للتعاون الدولي الأكثر فعالية أن يساعد في إزالة الحاجز الذي أقامته النزاعات العُنفيّة أمام التقدُّم نحو الأهداف؛ خالقاً بذلك الظروف الملائمة لتسريع عجلة التنمية البشرية والأمن الحقيقي. ومن الضروري أن

تُرمَّم كلٌّ من هذه الركائز الثلاث للتعاون الدولي في وقت واحد، لأن الفشل في أي مجال واحد سوف يقوّض الأساسات التي يُبنى عليها التقدُّم المُقبل. فالقوانينُ الأكثر فعّالية للتجارة الدولية لن تكون لها أيُّ أهمية تُذكر لدى بلدان يصُدُّ فيها النزاع العُنفي فُرَصَ المشاركة في التجارة؛ كما أن زيادة المعونة من دون قوانين تجاريّة أكثرَ عدالة سوف تُعطي نتائج أقل من مُثلى. أضف إلى ذلك، أن السّلام: من دون احتمالات التحسُّن في رفاه الإنسان وتخفيض الفقر، التي يمكن توفيرها عبر المعونة والتجارة؛ سوف يظل كينونةً هشّة».



# مداخلة[1] على: مسار التنمية في

## اليمن خلال العقود الأربعة الماضية من

## عمر ثورة أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر

لابد من شكر الزميل القدير الأستاذ أحمد محمد صوفان وزير التخطيط والتنمية [السابق] على ورقته الممتازة والمفيدة والمحبوكة، خاصة لخلوها من الحشو والتكرار، وعرضها الواضح للخطط التنموية منذ شبه الاستقرار في مطلع السبعينات حتى اليوم أو كما عنونها «بمسار التنمية في اليمن خلال العقود الأربعة الماضية من عمر ثورة أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر».

وبداية فإننا جميعاً نتفق فيما خلص إليه في مقدمة الورقة (ص٤) بأن اليمن الحالي قبل قيام ثورة ٢٦ أيلول/ سبتمبر كان منعدم التنمية، وكذلك الحال بالنسبة إلى ما كان يعرف بالسلطنات في المحافظات الشرقية والجنوبية (عدا عدن)، وحتى جلاء الاستعمار البريطاني والاستقلال وقيام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في أواخر الستينيات.

وإنها لحقيقة جلية لا يختلف عليها اثنان بأن ثورة السادس والعشرين من أيلول/ سبتمبر عام ١٩٦٢م وقيام الجمهور العربية اليمنية في الشمال،

---

(١) هي تعقيب على ورقة بهذا العنوان في ندوة الثورة اليمنية المنعقدة في قاعة التوجيه السياسي (أيلول/ سبتمبر - تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٢)، ونشرت في الثوابت العدد (٣٠) تشرين الأول/ أكتوبر- كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٢.

ثم انطلاق ثورة الرابع عشر من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٦٣م والتي أدت إلى استقلال الشطر الجنوبي من الوطن، وتوحيد أجزائه في دولة حديثة، هما حدثان غيّرا مجرى التاريخ ليس في اليمن فحسب، بل وكل ما حولنا في الجزيرة العربية والخليج العربي، وأوجد المناخ اللازم للتحول، ودخول اليمن بشطريه مرحلة التنمية ابتداءً.. كما تفضل الزميل الأخ أحمد.

ولما كان المعقب أن يعلق سلباً أو إيجاباً، بل وأحياناً مخالفاً ـ عند البعض ـ لما قدم حتى ولو بلغ الكمال، بغرض الإثراء أو الإضافة أو الاستفسار وطلب المزيد من التوضيح أو التصحيح.

ولعله من حسن الحظ أنه لا يوجد عندي إلا ملاحظات وتعليقات قليلة بعضها على ديباجة الورقة المتعلقة بيمن ما قبل الثورة، الذي ينطبق على حياته الجامدة وأوضاعه المحزنة ما سبق أن شخّصه ووصفه العلامة الكبير ابن خلدون عن المغرب والمشرق في عصره (قبل ثمانية قرون)، حين قال: «وأما لهذا العهد وهو آخر المئة الثامنة فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحن شاهدوه، وتبدلت بالجملة، وكأني بالمشرق قد نزل به ما نزل بالمغرب، لكن على نسبته ومقدار عمرانه، وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول فبادر بالإجابة!»[1]؛ ولهذا فلربما يكون من الظلم مقارنة اليمن من أواخر عقد الخمسينيات بأفغانستان عام ١٩٠٠م، كما نقل الأستاذ أحمد صوفان عن كتاب الدكتور بوروس مؤلف كتاب (سياسات التنمية في ج. ع. ي). فأفغانستان المحتلة وقتها من قبل بريطانية والتي كانت تحاول تطوير بعض الجوانب المفيدة للوجود الاستعماري كمركزية الحكومة، وتأسيس بعض المدارس.. إذ إنه وكما هو معروف، كانت تواجه هجمات القبائل وخلافاتها التي ينطبق عليها القول: «ما أشبه اليوم

(١) المقدمة، ١/ ٤٠٥ -٤٠٦.

بالبارحة»، ولعل تلك الأوضاع الأفغانية خطرت على بال الكاتب فذكر المقارنة الغريبة، وهو يتحدث عن اليمن. ومع ذلك فإننا نحمد الله العلي القدير على الثورة المباركة وعلى ما قام به رجالها، فرغم تلك التركة الثقيلة التي حملتها من الماضي فحالنا اليوم غير أفغانستان المضطربة والمتصارعة قبائلها من أيام الملكية.. فالماركسية.. إلى (طالبان).. إلى محنة اليوم.

أما الحديث عن المجاعات والافتقار إلى الوسائل الصحية والعناية الطبية وأثر ذلك في الحد من نمو السكان، فأمر صحيح، لكن تعليله بأنه لم يكن هناك اكتفاء غذائي ذاتي، وبأن اليمن حين ذاك كان يستورد المواد الغذائية من الخارج وبما قيمته ١٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني في سنوات الرخاء وتزيد في سنوات الجدب، فأمر يحتاج إلى شيء من الإيضاح؛ ذلك أنه من المؤكد تعرّض بعض مناطق اليمن وعبر العصور إلى فترات منتظمة من الجدب واحتباس الأمطار، ولعل مجاعة (١٩٤٢م ـ ١٣٦١هـ) أيام الإمام يحيى في بعض مناطق تهامة وطلوع أهلها إلى مناطق صنعاء وغيرها، وكذا بعد نحو عقدين آخرين أيام الإمام أحمد عام ١٩٥٨م مثالان لظروف مناخية وطبيعية كانت دورية معروفة ومتكررة في اليمن ومصر وبلاد الشام، وكتب المؤرخون المصريون كالجبرتي والحلاق البديري الدمشقي شأنهما شأن مؤرخينا كالشوكاني وجحاف فيما كتب عن اليمن، فهم يذكرون بإسهاب حال المجاعات والناس في مصر القاهرة ودمشق القرن ١٨ و١٩ إلى مطلع القرن العشرين، وبأن الناس كانوا يأكلون الكلاب والقطط وغير ذلك. وليست اليمن منفردة في هذه المأساة رغم أن مصر هبة النيل، وبردى كان يشق دمشق متدفقاً، إن ما أريد قوله: إن اليمن قبل ثورته وحتى شباط / فبراير ١٩٥٩م لم يستورد القمح أو الطعام، بل كان مكتفياً ذاتياً، ولعل البعض منا يعرف أن من إثبات حسن

النوايا بين الإمام يحيى والملك عبد العزيز آل سعود بعد اتفاقية الطائف عام ١٩٣٤م، كان تزويد المملكة (وقتها) بكميات لا أذكر رقمها من الحبوب المحتاجة إليها السعودية، كما أن مشيخات الخليج كانت ترسل سفنها الشراعية لتحمل القمح والحبوب الوافرة وقتها، ولقد كان من حسن الحظ عثوري على الإحصائية التالية التي نشرتها في الجزء الثاني من كتاب (يمانيات) عام ٢٠٠٠م. وبغرض الفائدة اسمحوا لي بقراءتها، وهي قصيرة:

**(شباط/ فبراير ١٩٥٩م):**

أول معونة من القمح الأمريكي لليمن ٨٧٥ طناً، ومن القمح الروسي ٢٢٢٥ طناً.

الأربعاء ٢٥ شباط/ فبراير ١٩٥٩م (الموافق) ١٣٧٨/٨/١٧هـ، وصلت الباخرة الأمريكية استيل فيوجر، عليها من المعونة الأمريكية القمح (٨٧٥) طناً، أي (١٧,٧٠٤) أكياس، ومكتوب على الأكياس بالعربية (تقدمة من الشعوب الأمريكية)، والكيس الواحد لا يزن أكثر من (٥١) كيلو، أي ما يساوي قدح ونصف قدح إلا نصف الثُّمن، وقد بدأت في تفريغ شحنتها كما هو مبين في المذكرات بتاريخ (٢٦ شباط/ فبراير).

الجمعة ٢٧ شباط/ فبراير ١٩٥٩م (الموافق) ١٣٧٨/٨/١٩هـ، وصلت باخرة يونانية تحمل (٢٢٢٥) طناً من القمح الروسي المعونة المقدمة لليمن، وقد بدأت في التفريغ في نهار السبت... إلخ، ووزن الكيس للقمح الروسي (٧١) كيلو و(٦٩) كيلو و(٦٨)، أي ما يساوي قدحين وكيلو، أو أكثر من كيلو وليس عليه أي كتابة أو علامة أو عنوان.

**ملاحظة:**

أرسلت الباخرة الأمريكية تفريغ شحنتها إلى الميناء بواسطة السنابيك وباخرة مورسيل شيام استأجرتها الشركة الأمريكية يوم السبت الموافق (١٣٧٨/٨/٢هـ)، وقد كان المجموع (١٧,٧٠٠) كيس، أي إن النقص على ما في المنافيس كيسين لا غير.

الباخرة الروسية أتت بتفريغ شحنتها يوم الجمعة الموافق ٨/٢٦/ ١٣٧٨هـ أي الموافق ٦ آذار/ مارس ١٩٥٩م، وقد كان المجموع ٣١,٥٩٧ كيساً، وبعد النزول إلى الميناء كان مجموع ما تحمل ٣١,٥٧٩ كيساً النقص (١٨) كيساً، منها (٤) أكيس سقطت من الونش من الباخرة إلى البحر.. لا حاجة إلى التنبيه على مقدار الدقة، فهذا الحصر وفي عدد الأكياس والنقص مقارنة بما يحدث الآن سواء في المال العام أو ممتلكات الدولة، أما واردات مادتي القمح والدقيق إلى الجمهورية اليمنية للأعوام (١٩٩٤م ـ ١٩٩٨م) فهي متزايدة سنوياً على النحو التالي:

**أولاً ـ القمح:**

| السنة | الكمية (طن) | القيمة (١٠٠٠ ريال) |
|---|---|---|
| ١٩٩٨ | ١,٢٩٢,٨٧٤ | ١٣,٥٦١,٧٣٩ |
| ١٩٩٧ | ١٠٦٦٣٨٣٥ | ٨٧٩٠٤٤٢ |
| ١٩٩٦ | ٩٥٩٣٣٩ | ٧٦٧٤٠٥٤ |
| ١٩٩٥ | ٧٥٤٤٦١ | ١٨٢٢٧٧١ |
| ١٩٩٤ | ٨٢٤,٤٧٥ | ١,٦١٩,٧٦٤ |

**ثانياً- الدقيق**

| السنة | الكمية (طن) | القيمة (١٠٠٠ ريال) |
|---|---|---|
| ١٩٩٨ | ٧٦٨٩٩٥ | ١١٠١٥٤٥٣ |

| | | |
|---|---|---|
| ١٩٩٧ | ٧٢٩٥٨٩ | ٨٠٦٤٥٣٤ |
| ١٩٩٦ | ٦٦٥٩٣٧ | ٧٨٢٧٦٥٥ |
| ١٩٩٤ | ٣٢٧٠٥٧ | ١١٠٢٢ |

٢- أمر آخر أوردته الورقة عن بؤس التعليم واقتصار مدارسه على المدن الأربع، وأنه لا يوجد «أي نظام على الإطلاق ولا منهج دراسي..» ومع صحة محدودية التعليم إلا أن الأمانة التاريخية تستدعي القول بأن محدودية التعليم كان لها ـ مع ذلك ـ مناهج راقية وأساتذة مربون أجلاء كبار أمثال الأساتذة: الحورش والبراق ومحيي الدين العنسي والحلبي وآخرون، من بينهم عرب أمثال الأساتذة: إبراهيم خليل وعبد الفتاح الجندي وعبد القادر صوان وتلامذتهم، لا نجد مثيلاً لهم ولا بديلاً لمستواهم بعد أربعين عاماً من الثورة.

٣- ولما قد ذكرت الديباجة في آخرها من مساوئ الماضي «بأن خدمة البريد كانت محدودة وغير منتشرة»، فإنها في حقيقة الأمر وعلى محدوديتها ـ بحكم التخلف العام ـ كانت على درجة بالغة من الدقة ووصول الرسائل والبريد إلى أصحابها في مختلف أنحاء البلاد. وذلك أمر مؤكد نفتقده اليوم نهائياً، وربما كان النظام التركي الدقيق الموروث بعد خروج الأتراك، شأنه شأن أشياء أخرى كثيرة في الإدارة والمحاسبة، هو الأساس، وليس عبقرية المرحوم سيف الإسلام القاسم وزير المواصلات.

**أخيراً:**

مع اعتزازنا جميعاً باتساع التعليم وارتفاع الأرقام للملتحقين بالمدارس والجامعات التي بلغ عدد التلاميذ في التعليم الأساسي ٣,٣٥٠,٠٠٠، والثانوي إلى ٤٣ ألفاً، وبأن عدد الفتيات في التعليم الأساسي ارتفع من ٨٣٨ ألفاً إلى ١,٤٠٠,٠٠٠ طالبة.

أما الجامعي من ٨٧ ألفاً عام ١٩٩٦م إلى ١٨٤,٠٠٠ في عام ٢٠٠١م،

وهي أرقام عالية من حيث الكم، لكن من حقنا جميعاً وبعد أربعين عاماً من الثورة أن نعلن أن التعليم، وما يسمى بالبحث العلمي في بلادنا، في أسوأ أوضاعه، بل ولا مثيل له في العالم باستثناء أفغانستان طبعاً، وبأن جامعاتنا الرسمية (دع عنك أكشاك الجامعات الخاصة) لا ترتقي - وللأسف الشديد - إلى أي مستوى في المدرسة الثانوية التي تخرج منها معظم وزراء حكومات الثورة ورؤساء من الجيل السابق. وهذا هو التحدي الأكيد لتحقيق أهداف الثورة في ظل قيادة ربان السفينة الأمين محقق الآمال في الوحدة والاستقرار والحرية والديمقراطية الأخ علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية.



# مركز الخليج للأبحاث

# يعقد مؤتمره السنوي الثاني

## التقرير السنوي الثاني

## الخليج في عام ٢٠٠٤م

٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥م، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة

شارك رئيس التحرير في جلسات المؤتمر، وفيما يلي أهم ما تم مناقشته:

عقد مركز الخليج للأبحاث يوم الأربعاء الخامس من كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥م مؤتمره السنوي الثاني في فندق (جراند حياة) في دبي، وقد خصَّصَه لإطلاق ومناقشة تقريره السنوي الثاني عن (الخليج في عام ٢٠٠٤م)، وهو التقرير الذي شارك في إعداده ما يزيد عن ثلاثين من الخبراء والباحثين العرب وغير العرب (من الولايات المتحدة الأمريكية، وبعض الدول الأوربية، والصين، واليابان، والهند، وإيران، وتركية) المتخصصين في الشؤون والقضايا الخليجية، وسوف يصدر التقرير قريباً باللغتين العربية والإنجليزية في طبعة ورقية وأخرى إلكترونية.

وقد شارك في أعمال المؤتمر السنوي الثاني هذا عدد كبير من الخبراء والباحثين المتخصصين في الشؤون الخليجية، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدفاعية والأمنية وغيرها، فضلاً عن مشاركة كثير من

الإعلاميين والمهتمين بالشأن الخليجي. وقد تضمن المؤتمر جلسَتَي عمل، تناولت الأولى التطورات الداخلية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية والدفاعية في دول مجلس التعاون الخليجي، في حين تمحورت الثانية حول العلاقات العربية والإقليمية والدولية لدول المجلس، فضلاً عن تناول التطورات في كل من اليمن والعراق وإيران، مع طرح بعض الرؤى والأفكار الاستشرافية بشأن مستقبل الأوضاع في منطقة الخليج خلال المستقبل المنظور.

وقد استهل رئيس مركز الخليج للأبحاث عبد العزيز بن عثمان بن صقر أعمال المؤتمر بكلمة افتتاحية رحب فيها بالمشاركين والحضور، وأكد فيها حرص المركز على الارتقاء بمستوى تقريره السنوي حتى يظل مرجعاً علمياً معتمداً للباحثين والمتخصصين والمهتمين بشؤون منطقة الخليج. كما تطرق إلى أهم النشاطات الأكاديمية التي قام بها المركز خلال العام الماضي، والتي شملت المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية والمحاضرات التي تناولت أهم القضايا والمستجدات السياسية والاقتصادية والأمنية في منطقة الخليج في ضوء التغييرات المتسارعة التي تشهدها المنطقة، مثل: الحلقة الدراسية عن التطورات في العراق وانعكاساتها القائمة على دول مجلس التعاون الخليجي، والحلقة الدراسية الخاصة بالاتجاهات الحديثة والمحتملة على دول مجلس التعاون الخليجي، والحلقة الدراسية الخاصة بالاتجاهات الحديثة في الإعلام الخليجي، فضلاً عن تنظيم حلقة أخرى في كانون الأول/ ديسمبر تناولت أسس ومتطلبات وشروط جعل الخليج منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل، باعتبار ذلك مقدمة لجعل منطقة الشرق الأوسط برمتها خالية من هذه الأسلحة، بالإضافة إلى المنتديات التي نظمها المركز بشأن الإصلاح السياسي في دول المجلس، وأوربة وأمن الخليج في مرحلة ما بعد الحرب على العراق.

تلت الكلمة الافتتاحية أعمال الجلسة الأولى التي تمَّ فيها استعراض الجزء الأول من التقرير السنوي للمركز. وقد ناقشت هذه الجلسة التغيرات والتطورات الداخلية في دول مجلس التعاون الخليجي على الصُعد السياسية والدستورية والاقتصادية والنفطية والاجتماعية والدفاعية والأمنية، فضلاً عن تناول قضايا شؤون الإعلام والتعليم والمرأة.

فعلى الصعيد السياسي، ناقش المؤتمرون قضية الإصلاح السياسي في دول المنطقة، وقدرة النظم السياسية على التكيّف مع استحقاقاته، وكذلك أنماط المعارضة السياسية في هذه الدول، وأهم قوى وتنظيمات المعارضة، ومطالبها وأساليب عملها، وكيفية تعامل الحكومات الخليجية معها.

كما تناولت الجلسة بعض التطورات الدستورية والقانونية التي جَرَت في بعض دول المجلس خلال عام ٢٠٠٤م، فضلاً عن تناول دور المؤسسات التشريعية في دول الخليج، في ظل انتشار الدعوة إلى الديمقراطية وتنامي دعوات الإصلاح السياسي. كما ناقشت عدداً من المعايير التي يمكن من خلالها قياس أداء المؤسسات التشريعية وتقويمها.

أمّا على الصعيد الاجتماعي، فقد ناقشت الجلسة أهم التفاعلات والتطورات التي جَرَت على صعيد مؤسسات المجتمع المدني في دول المجلس خلال العام المنصرم، وأنماط علاقة هذه المؤسسات بالدولة، وأهم العوامل التي تؤثر فيها، علاوة على مناقشة المستجدات بشأن قضايا المرأة في دول المجلس سواء على الصعيد السياسي أم الاقتصادي أم الاجتماعي.

وبشأن قطاع التعليم، تناولت الجلسة واقع التعليم الأساسي والتعليم العالي بدول مجلس التعاون، وأبرز القضايا والعقبات التي يواجهها،

والتحولات التي مرّ بها وما انتهت إليه من التنوع الحالي في أنماط التعليم ومؤسساته.

وكانت التطورات الاقتصادية لدول مجلس التعاون خلال عام ٢٠٠٤م محوراً آخراً من محاور الجلسة الأولى، حيث ناقش المؤتمرون التحديات الاقتصادية التي تواجه هذه الدول، وأهم قضايا الإصلاح الاقتصادي فيها، وأهم المعوقات بهذا الخصوص، واتفقوا على وجود حاجة ملحة إلى تنويع مصادر الدخل القومي، وخلق قاعدة إنتاجية لها صفة الديمومة والاستمرار، ولا تكون رهينة لتقلبات أسعار النفط.

وفي الشأن الأمني، ناقشت الجلسة مجمل الأوضاع الأمنية في دول المجلس من خلال البحث في أسباب ونتائج التطرف والعنف، وانعكاساته القيمية والمجتمعية وسبل مواجهته، فضلاً عن استشراف آفاق المستقبل المنظور لهذه الظاهرة.

وقد اختتمت الجلسة الأولى أعمالها بمناقشة مختلف أوجه الشؤون الدفاعية في دول مجلس التعاون الخليجي خلال عام ٢٠٠٤م، بما في ذلك تقويم كم القوى البشرية العاملة ونوعها في القوات المسلحة لكل دولة من هذه الدول، وكذلك المستجدات بشأن نظم القيادة والسيطرة والاتصالات والتدريب.

أما الجلسة الثانية فقد خُصصت لمناقشة القسم الثاني من التقرير السنوي الذي يتناول تطورات ومستجدات وقضايا العلاقات البينية والعربية والإقليمية والدولية لدول المجلس خلال عام ٢٠٠٤م، فضلاً عن تناول التطورات في كل من اليمن والعراق وإيران على الصعيدين الداخلي والخارجي. وفي هذا السياق ناقشت أعمال الجلسة مَحاورَ عدة منها: مستجدات وتطورات علاقات دول مجلس التعاون مع كل من إيران والهند وباكستان ودول حوض البحر الأحمر. كما تناول المؤتمرون علاقات دول

المجلس مع الولايات المتحدة الأمريكية، وكيف أن هذه العلاقات، ولاسيما بين واشنطن والرياض، قد شهدت حالة استقرار نسبي خلال عام ٢٠٠٤م مقارنة بعام ٢٠٠٣م، وهو ما تم الكشف عنه من خلال تحليل طبيعة هذه العلاقات وتفاعلاتها وإبراز المتغيرات المؤثرة فيها وقضاياها، فضلاً عن تحليل دوافع التوجه الأمريكي للتعامل الانفرادي مع دول الخليج عبر إبرام اتفاقيات ثنائية أمنية واقتصادية.

وحول العلاقات الخليجية ـ الأوربية، ناقش المؤتَمِرُون طبيعة هذه العلاقات وبحثوا في إمكانية وجود دور أوربي أكثر حضوراً وفاعلية في المنطقة على الصُعُد المختلفة، ولاسيما فيما يتعلق بترتيبات الأمن في الخليج والشراكة الأوربية ـ الخليجية على المستوى الاقتصادي. وقد شهدت نهاية هذا المحور مناقشات حول نقاط الالتقاء والاختلاف بين العلاقات الخليجية ـ الأوربية مقارنة بالعلاقات الخليجية ـ الأمريكية.

وبالإضافة إلى ما سبق، فقد تناولت أعمال هذه الجلسة التطورات الداخلية في كل من العراق وإيران واليمن، سواء على الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو الأمني، أو على صعيد العلاقات الخارجية لكلّ من هذه الدول. وقد اهتم المؤتمرون برصد وتحليل انعكاسات ما يجري في كلٍّ من الدول الثلاث على دول المجلس، ولا سيما في ظل تشابك المصالح وتداخل السياسات التي تعيشها المنطقة، الأمر الذي يجعل من الفهم الموضوعي للتطورات في الدول المعنية عاملاً هاماً في تعزيز الجهود الرامية إلى خلق بيئة خليجية آمنة ومستقرة.

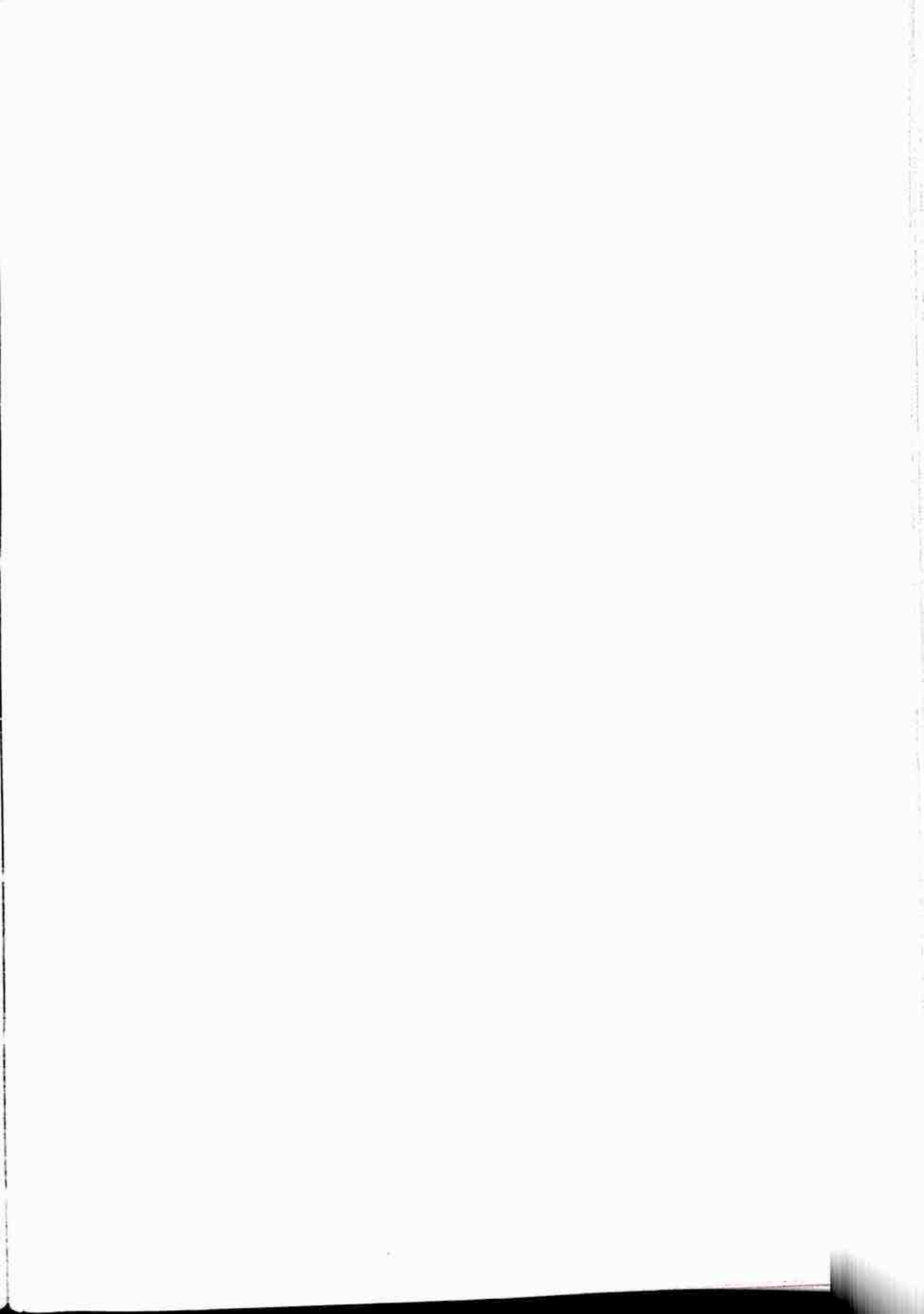
وفي نهاية الجلسة، اهتم المشاركون برصد واستشراف الأوضاع في الخليج خلال المستقبل المنظور، وأهم العوامل والمتغيرات المؤثرة في هذا المستقبل في ضوء الاختلالات في الهياكل السكانية لدول المجلس وتداعياتها، واستمرار المطالب الداخلية والخارجية بالإصلاح، والارتفاع

الكبير في أسعار النفط والنتائج المترتبة على ذلك، والوضع المتردي في العراق وإفرازاته الإقليمية والدولية، وتصاعد دور المحافظين في إيران على حساب الإصلاحيين واستمرار التأزم في العلاقات بين واشنطن وطهران على خلفية الملف النووي لإيران، والمسألة العراقية وتطوراتها.

وأكد المؤتمرون في نهاية أعمال المؤتمر ضرورة مواصلة جهود الإصلاح السياسي في دول المنطقة، باعتبار ذلك شرطاً ضرورياً لمواصلة الإصلاح في المجالات الأخرى، مع إفساح المجال لتقوية دور تنظيمات المجتمع المدني، وتعزيز دور المرأة الخليجية، وأهمية أن تكون الزيادة في العائدات النفطية دافعاً لتفعيل عملية الإصلاح الاقتصادي وتسريعها.

كما شدد المشاركون على ضرورة تفعيل جهود إصلاح الاختلالات والتشوهات في أسواق العمل ومعالجة مشكلة البطالة، وضرورة التسريع في إصلاح الإعلام، وتسريع عملية تطوير مجلس التعاون وتفعيل أكثر لدوره، فضلاً عن التشديد على أهمية قيام دول المجلس بتعزيز علاقاتها الخارجية مع عدد من القوى الكبرى في النظام الدولي، وفي مقدمتها الاتحاد الأوربي والصين واليابان وروسية، الأمر الذي من شأنه تحقيق المزيد من التوازن في علاقاتها الدولية. كما دعا المؤتمرون إلى العمل من أجل إنضاج الشروط والمتطلبات التي يمكن أن تقود إلى جعل الخليج منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل، وإعادة صياغة العلاقة بين واشنطن وطهران على أسس جديدة.

وختاماً، نبّه المشاركون إلى أن أي ترتيبات مستقبلية للأمن في الخليج لا يمكن أن يُكتب لها الاستمرار والاستقرار ما لم تشمل كلاً من اليمن والعراق وإيران، الأمر الذي سبق أن أكدَهُ كثير من المسؤولين الخليجيين.



# راحلون

- الشاعر الناقد والسياسي أحمد بن محمد الشامي
- العلامة الأستاذ المستشرق الكبير روبرت سرجنت
- العلامة السياسي والدبلوماسي القاضي إسماعيل بن أحمد الجرافي
- أخي القاضي العالم علي بن عبد الله العَمري
- رجل الدولة القاضي عبد الكريم بن عبد الله العرشي
- الرحّالة المؤرخ جون بولدري
- العلامة الفقيه القاضي عبد القادر بن عبد الله الكوكباني
- الكاتب والمفكر الأستاذ الدكتور إدوارد سعيد



# صور من الذاكرة

## وانطباعات مبكرة
## في رحيل فتى الفليحي نزيل بروملي
## ذلك المغترب السياسي، المؤرخ والأديب
## الشاعر الكبير: أحمد بن محمد الشامي
## (١٩٢٤ ـ ٢٠٠٥م)

لقد اختزل صديقنا العزيز الأستاذ الشاعر والأديب الكبير الدكتور عبد العزيز المقالح ـ أحد أبرز من تتلمذ على الراحل ـ حين ذكر في مطلع يومياته في الثورة يوم ١٥/ ٣/ ٢٠٠٥م عبارة صادقة محكمة.

«بأن يوماً يختفي معه وفيه نابغ كبير في بلد حظه من المبدعين الحقيقيين أقل من القليل، هو يوم حداد كبير، هكذا وجدت نفسي أردد لحظة نبأ رحيل الشاعر والناقد الأدبي الكبير أحمد محمد الشامي عضو المجلس الجمهوري السابق، وأحد شباب ثورة ١٩٤٨م».

نعم لقد كان الراحل الكبير نسيج وحده نابهاً حاد الذكاء، كبير الطموح، عظيم الاجتهاد في التحصيل المبكر في مختلف ميادين الأدب والعلم والمعرفة، فقال الشعر الكثير وزاحم الكبار قبل اكتمال العقد الثاني من عمره، وعندما غادر مقام ولي العهد في تعز عام ١٩٤٤م وشكل مع طليعة النضال المبكر الأساتذة الكبار: محمد محمود الزبيري ومحمد أحمد نعمان وزيد الموشكي بداية النقد الصريح ضد نظام الإمام يحيى: اختار أن يوقع على ما كان يكتب بصحيفة (فتاة الجزيرة) باسم (فتى

الفليحي) ذلك الحي من صنعاء القديمة الذي نشأ وتتلمذ فيه، وبقي يحن إليه وإلى ذكريات صباه وشبابه خاصة بعد أن رمى عصا الترحال، واستقر منذ عام ١٩٧٤م في منزله المتواضع الكائن في حي (بروملي) بمقاطعة (كنت) الجميلة، على بعد نحو نصف ساعة بالقطار من محطة فيكتوريا في قلب لندن، وليس في علمي بأن أديباً أو شاعراً من أهلها قد ذكرها وعصافيرها في شعره أو نثره كما فعل.

كانت السياسة والفكر بكل أبعادهما وأمواجهما المتلاطمة وعلى اختلاف المبادئ والمدارس القديمة والحديثة فنّين لازما رحلة عمره عبر هذه الشخصية الفريدة طوال حياته التي امتدت لأكثر من ثمانين عاماً، فنجح وأخفق، وشعر وألفَ، ولم تلن له قناة في خصام سياسي أو أدبي، فكتابه الهام الأول ـ على سبيل المثال ـ (قصة الأدب في اليمن) الذي نشره بالقاهرة عام ١٩٦١م صرخة عالم يمني غيور على تجاهل مؤرخي الأدب ـ عرب ويمنيين ـ أدب اليمن وأعلامه، ويأتي سفره الكبير الآخر بمجلداته الأربعة (تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي) (١٩٨٧م) في السياق نفسه، علم غزير استوعب تاريخ تراث العربية واليمن فيه على وجه الخصوص ـ، وقلم سيّال لا يخلو أبداً من السياسة والاستطرادات فيها.

ومن اللطيف أنه أهدى كتابه (مع الشعر المعاصر في اليمن) «نقداً وتاريخاً» ١٩٨٠م إلى المرحومين:

١ ـ الشاعر الناقد كاتب الإسلام مصطفى صادق الرافعي.

٢ ـ الشاعر العالم الراوية القاضي أحمد بن أحمد الحضراني.

٣ ـ الشاعر الأديب أستاذي في المعاني والبيان عبد الكريم الأمير.

**مضيفاً بأسلوبه الجميل:**

«فإلى هذا الثالوث المتفاوت (أسلوباً) والمتقارب (ذوقاً) والمنسجم (إخلاصاً) لكلمة الفتى، ووحي القلم.. أهدي هذا الكتاب الذي لولا ما اقتبسته عنهم في شباب (تلمذتي) ما تجرأت، وأقدمت على تأليفه

في كهولة (غربتي). فأما صوابهُ فهم أهله ولهم فضله، وأما (الخطأ) فلن يرهقني حِمله، لأن «ابتعادي عن المراجع يسوّغ لي لطف الاعتذار!».

عرفت الراحل الكبير للمرة الأولى حين وصلت تلميذاً في طريقي أوائل شهر نوفمبر إلى دمشق عام ١٩٥٧م في القاهرة مع أخي المرحوم القاضي محمد بن عبد الله، وكان قائماً بأعمال المفوضية اليمنية واستمرت علاقتي وتلمذتي في لقاءاتي به حتى قبل رحيله ـ على انقطاع بين عامي ١٩٦٢ و١٩٧٠م.

وعن تلك المعرفة والعلاقة الحميمة أرجو أن أكتب صوراً من الذاكرة في العدد القادم بإذن الله، فهذه عجالة عقب المصاب الجلل الذي لا يفي بحقه مثلها.

وقال عن نفسه في ديوانه الثاني (غُلالة المغترب):

«لم يعرف الاستقرار، ولا خلدت نفسه إلى (مستقر)، منذ عرف الحياة، دائماً يصبو إلى هدف، أو يهفو إلى جديد، ودائماً ينزع إلى (مجهول).. فلا يقف إلا على الحيرة والهاً يشعر دائماً.. بالاغتراب، ويحس بأنه فاء عن كل ما حوله.. كل.. وعن كل ما ينطوي عليه.. بين أهله وأحبابه.. أو تائهاً في الآفاق، بين الناس، أو وحيداً.. في انطلاقه وحريته أو بين الحواجز والأغلال.! «دائماً هو «المغترب» النائي».

«مغترب في موطنه»..! .. في «غربته؛..!».

وكما ذكرت سابقاً في عقب رحيل الأستاذ الكبير أحمد بن محمد الشامي بأن أول لقاء لي به كان في القاهرة التي وصلت إليها بصحبة أخي المرحوم العلامة والسياسي المعروف القاضي محمد بن عبد الله العمري «ت ١٩٦٠م» الذي كان مرافقاً يومها لولي العهد محمد البدر «الإمام قبيل الثورة بأيام» في زيارة رسمية لِمصر وفي الطريق إلى موسكو في أول زيارة رسمية أيضاً للاتحاد السوفييتي.

كان ذلك أوائل شهر نوفمبر عام ١٩٥٧م، وفي مطار ألماظة استقبل البدر رسمياً وركب إلى جواره السيد حسين الشافعي ممثلاً للرئيس الراحل جمال عبد الناصر ـ والذي سبق له زيارة اليمن عقب فشل انقلاب ١٩٥٥م كما هو معلوم ـ وكان السيد أحمد الشامي القائم بأعمال المفوضية اليمنية بالقاهرة منذ نحو عامين في طليعة المستقبلين يتقدُ حيويّةً ونشاطاً ملفتين، وقد لاحظت من معانقته للبدر حميمية الصداقة وعمق المعرفة بينهما قبل أن أعرف حقيقة تلك العلاقة ودوره المؤازر لولي العهد عام ١٩٥٥م ـ وقد أوضح ذلك مطولاً في كتاب (رياح التغيير) كما كان كذلك معه بعد قيام ثورة ٢٦ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٢م ـ مع الفارق الكبير بين الحدثين والظرفين.

وقد ركب أخي إلى جوار القائم بالأعمال وبعد أن قدمني إليه وبأنني «ابنه وأخوه» ركبت معهما بجوار السائق النوبي الطيب، وأذكر أن اسمه كان (محمد نور)، وبين المطار وقصر الطاهرة في موكب ولي العهد لم يتوقف السيد أحمد عن الحديث المتدفق: إجابة وأحياناً استفساراً من أخي في مسائل مختلفة، وكان المعروف عن أخي ـ رحمه الله ـ قلة الكلام وانخفاض الصوت، وقد أعجبت يومها بأدب الحديث بين الرجلين، وتبين لي العلاقة والصداقة القديمة بينهما، ولم يكن القاضي محمد يكبر الأستاذ الشامي الذي كان وقتها في الثانية والثلاثين إلا ببضع سنين، فهما من جيل متقارب، ومدرسة أدبية وعلمية وسياسية واحدة، مثّلها أحرار ١٩٤٨م ومن بقي منهم حتى عام ١٩٦٢م؛ أمثال العلامة الرئيس القاضي عبد الرحمن الإرياني وأبو الأحرار الزبيري والأستاذ النعمان وزملائهم، من جيل رحل معظمه وكان الأستاذ الشامي واحداً من أكثرهم ذكاءً وبراجماتية مع تعدد مواهبه السياسية والأدبية والتاريخية. وكان فيما سمعت أن الأخير قد أقنع الأستاذين الزبيري ونعمان بلقاء البدر، وقد تم ذلك في قصر القاهرة، ولا أعلم بما دار..

لقد مكثت في القاهرة أياماً ـ بعد سفر الوفد ـ وزرته في مكتبه بالطابق

الأرضي من المفوضية (٢٨ شارع أمين الرافعي) وأهداني ديوانه الأول (النفس الأول) والذي أصدره ـ فيما يظهر ـ عقب تعيينه بالقاهرة أواخر عام ١٩٥٥م، وقد تلطف فدعاني إلى «شقته» للغداء، ثم أولمَ وليمة فاخرة تكريماً للوالد العلامة السيد محمد بن محمد المنصور والأستاذ المربِّي المرحوم زيد بن علي عنان «ت. ١٩٩٢م» (ومعهما سافرت إلى دمشق حيث حضرا اجتماع المنظمة العربية للعلوم الإدارية) وقد دعاني مع آخرين يمنيين ومصريين أذكر من بينهم الأستاذين الكبيرين الدكتور أحمد فخري - عالم الآثار والدكتور طه فوزي مترجم كتاب (مملكة الإمام يحيى)، ومن الغريب أنه كان يعاملني في تلك اللقاءات كرجل كبير وليس كتلميذ لم يتجاوز الشهادة الإعدادية، ولعل ذلك ما زادني محبة وقرباً منه، وحرصاً فيما تلا من السنين على اللقاء معه والاستماع إلى أحاديثه الذكية وشعره البديع، فلم يكن، وحتى إصداره (قصة الأدب في اليمن) عام ١٩٦١م، قد تفرغ للكتابة والشعر ونشر ما نشر وهو كثير، ولقد عدت من دمشق إلى مصر بعد أقل من عام، وكان قد عين وزيراً مع آخرين في مجلس اتحاد اليمن والجمهورية العربية المتحدة (٨ آذار/ مارس ١٩٥٨م)، وجددت تلك اللقاءات معه وقبل أن ينحل ذلك الاتحاد كانون الأول / ديسمبر ١٩٦١م، وينتقل الأستاذ الشامي للعمل وزيراً مفوضاً بلندن وانقطع اللقاء حتى عاد بعد المصالحة الوطنية عام ١٩٧٠م وبعدها يطول الحديث بما لا تحتمله مثل هذه العجالة.

وقد خلّف ولدين (فيصل وإبراهيم) من زوجه الثانية ( المطلقة) إبنة سيف الإسلام الحسين سماهما تيمناً بصديقه الملك فيصل رحمه الله والآخر بتلميذه العلامة إبراهيم بن الوزير، وابنة هي أمة اللّه (باسم زوجه الأولى) ابنة العلامة أحمد عبد الرحمن الشامي وحفيدة الإمام يحيى حميد الدين والتي لم تنجب له وتوفيت قبله فحزن عليها وقال فيها(في بر وملي) سفراً كثيراً .

# العلامة روبرت سرجنت يرحل عنا

## صُور من الذاكرة[1]

في رحاب جامعة عدن انعقد في ٦/ ٤/ ٢٠٠٤م الملتقى العلمي السادس لمركز البحوث والدراسات اليمنية ـ جامعة عدن عن العلامَة المستشرق الراحل الأستاذ الدكتور رُوبرت سرجنت prof. Robert B. Serjeant (١٩١٥ ـ ١٩٩٣م).

وقد أسهم أ. د. حسين العمري رئيس تحرير الثوابت بورقة قُرئت نيابة عنه؛ لارتباطه في الوقت نفسه باجتماعات المجلس التنفيذي لليونيسكو بباريس. وننشرها هنا مع ورقة أخرى للأستاذ: علوي عبد الله طاهر الباحث بجامعة عدن عن كتاب الأستاذ سرجنت (نثر وشعر من حضرموت) تنويهاً بالندوة التي سينشر المركز أوراقها.

* * *

التقيت للمرة الأولى بالأستاذ العلامة روبرت سرجنت في مطلع العقد السابع من القرن العشرين، حين زار صنعاء ومعه الدكتور/ ولتر دوستال ـ الأستاذ بجامعة فيينا، والدكتور/ ركس سميث ـ أستاذ الأدب العربي بجامعة مانشِستر، ومحقق كتاب (السمط الغالي الثمن) لابن حاتم،

(١) هذه الورقة مستلة بتصرّف من مقال طويل للكاتب نُشِرَ عقب وفاة الراحل الكبير (انظر: يمانيات، دار الفكر، ١٩٩٦م: ١/ ٢٥٢).

وكانت زيارة سرجنت لصنعاء حينئذٍ هي الأولى ـ كما يقول ـ لأقدم عاصمة عربية في التاريخ، فأعجبَ بها ووضع في وصفها وتاريخها كتاباً زاخَمَ في شهرته أشهر ما كُتِبَ عن المدن العربية وأهمها في اللغات الأوربية (صنعاء المدينة العربية الإسلامية Sana,a An Arabian Islamic City, 1983)، قد أمضى عشر سنوات في إعداده وتحريره مع آخرين كثيرين ـ منهم كاتب هذه السطور ـ وصدر في مجلد ضخم عن المهرجان الإسلامي (لندن ١٩٨٣م)[1].

لم يكن تأليف العلامة سرجنت لهذا الكتاب هو الحافز له على الاهتمام بهذا الإقليم والوقوف على أحواله وأموره جليلها ودقيقها، بل كانت علاقته باليمن ودراسته لتاريخه وآدابه وعادات أهله ترجع إلى مطلع الحرب العالمية الثانية. فبعد أن نال درجة الدكتوراه من جامعة كامبردج سنة ١٩٣٩م وهو في الرابعة والعشرين من عمره، توجّه لأداء الخدمة العسكرية في عدن، لأن زيارته التالية لحضرموت باحثاً عقب الحرب (عام ١٩٤٧م) كانت بعد أن أضحى محاضراً في الأدب العربي بجامعة لندن، كانت تلك الزيارة بداية رحلة طويلة في بحث متواصل في كل مَا لَهُ علاقة بتاريخ اليمن وثقافته في إطار اهتماماته ودراساته الواسعة للتاريخ العربي والإسلامي، فقد تولّى منصب أستاذ كرسي الأدب العربي الحديث بجامعة لندن مدة عشر سنوات (١٩٥٥م ـ ١٩٦٤م)، رجع بعدها إلى جامعته (كامبردج) محاضراً في التاريخ الإسلامي بضع سنين، قبل أن يشغل كرسي الأستاذية عام ١٩٧٠م خلفاً للمستشرق المشهور آرثر آربري A.Arberry بعد وفاته أواخر عام ١٩٦٩م، وهو المنصب الذي استمر فيه حتى تقاعده عام ١٩٨٢م، وعلى عينه وتحت إشرافه تخرّجَ الكثير من

(١) انظر مراجعتنا له في مجلة الاجتهاد البيروتية بعنوان (اليمن في مرآة الغرب).

الباحثين والمختصين في شؤون الثقافة والحضارة العربية الإسلامية، بعضهم من العرب، وكان يخصهم بالحب والرعاية وحسن التوجيه.

كانت سنوات العقدين اللذين أمضاهما سرجنت في كامبردج من أخصب سنوات إنتاجه العلمي والأدبي، فبالإضافة إلى أعباء التدريس الذي أرسى قواعده الجديدة القائمة على تنويع مواضيع المعارف العربية والإسلامية، فإنه نقل خلالها إلى الإنجليزية مختارات من عيون التراث العربية، يأتي كتاب (البخلاء) للجاحظ تاجاً لها وتحفة مهداة للمكتبة الغربية، فقد قام بعد إصداره عام ١٩٦٣م كتابه الحفيل عن البرتغاليين في شُطآن الخليج والبحر العربي، بتبنّي فكرة سلسلة كامبردج في تاريخ الأدب العربي: Cambridge History of Arabic Literature بالتعاون مع سلفه البروفيسور آربري، وهي السلسلة التي صدر منها أربعة مجلدات انفرد سرجنت بتأليف ثلاثة منها. وفي عام ١٩٧٥م كان من أنشط المستعربين والمهتمين بإبراز الوجه المشرق للحضارة العربية الإسلامية، فقام بزيارة صنعاء غير مَرَّة، كانت إحداها من أجل الإعداد للمهرجان الإسلامي الكبير الذي عُقِدَ في لندن، وافتَتَحَتْهُ جلالةُ الملكة إليزابيث وفضيلة شيخ الجامع الأزهر الشريف، في ربيع عام ١٩٧٦م[1]، واتّخذت هذه الحاضرة العريقة صنعاء في ذلك المهرجان أنموذجاً للمدينة العربية الإسلامية مقابل البادية، وذلك في متحف البشرية بلندن.

وفي الوقت نفسه صدر له كتابه الفريد في بابه عن الصيد في بلاد اليمن أو (جنوب الجزيرة قبل الإسلام ,South Arabian Hunt ١٩٧٦) أما ندوة الدراسات العربية Semener For Arabian Studies التي أسسها مع نخبة من العلماء والمستشرقين عام ١٩٦٩م، منهم صديقه الراحل العلامة البروفيسور ألفِرد بيستون (ت: ١٩٩٥م) أستاذ اللغات القديمة في جامعة أكسفورد

(١) كان للكاتب مع أستاذه العلامة القاضي إسماعيل بن علي الأكوع شرف تمثيل اليمن في ذلك المهرجان.

والمختص في النقوش والحضارة اليمنية، فقد أصبحت ملتقى علمياً يُعقد في شهرتموز / يوليو من كل عام، يتوافد إليه أشهر الباحثين والمهتمين بشؤون الجزيرة واليمن عَرباً ومستشرقين، ويصدر عن هذه الندوة أو الحلقة حولية وسِمَت باسم الندوة وتسنمت مكانها بين الدوريات المشهورة.

ولعله شرع في تلك الحقبة نفسها بإصدار مجلة (دراسات عربية) يحررها مع صديقه القديم المرحوم روبين بيدول Robin Bidwell (ت: ١٩٩٤م) الذي كان يحلُو لَهُ أن يدعوه الشيخ صالح!، وقد صدر منها ثمانية مجلدات، ووافاهُ الأجل، وفي المطبعة العدد الأول من إصدارها الجديد New Arabian Studies.[١]

بلغ الأستاذ سرجنت يوم وفاته الثامنة والسبعين، فقد ولد في أدنبره في الثالث والعشرين من مارس/ آذار عام ١٩١٥م، وعلى الرغم من هذه السن العالية ومعاناته لداء السكري فقد كان دائب الحركة والنشاط كثير الأسفار والتنقل، زار اليمن آخر مرة في فبراير/ شباط عام ١٩٩٢م للمشاركة في ندوة التراث العربي بجامعة عدن، حيث جرى الاحتفاء به كثيراً، واستقبله نائب رئيس مجلس الرئاسة آنذاك بحضوري، كما زار مختلف أقطار المعمورة ومعظم مدنها. كان جَلَدُهُ وقدرته على التحمل والعمل مضربَ المثل، وأثبتت شخصيته الجذابة الجادة، والمتميزة بسعة اطلاعه وتعدُّد مواهبه، حضوراً قوياً في أي مُلتقى أو مُنتدى يَحلُّ فِيه، ولهذا فقد كان غيابه واضحاً في احتفال فيينا، كما كان افتقاده بالغ الأثر في ندوة الدراسات العربية المقرر انعقادها في جامعة لندن في النصف الثاني من تموز / يوليو عام ١٩٩٣م، وبرحيله تخسر الدراسات العربية والإسلامية واليمنية منها بشكل خاص عالماً يعز من يَسُد مَسَدّه.

---

(١) واصل تلميذه استاذي الآخر الدكتور Prof. Rex Smith اصدارها حتى الآن من جامعة اكسترا Exter مع آخرين ولي بأعدادها الجديدة أبحاث ومقالات.

## رَحيل القاضي العلّامة السّياسي والدّبلوماسي الكبير

# إسماعيل بن أحمد الجِرَافي[1]

### (١٣٣١ - ١٤٢٨ هـ / ١٩١٣ - ٢٠٠٧ م)

في هدوءٍ نادر كَرحلةِ حَياته الطويلة المثالية التي اقتربت من قرن، رَحَل عنّا يوم أمس الأربعاء ١٦ شعبان- ٢٩ آب / أغسطس ٢٠٠٧م شَخصيَّةٌ عظيمة مُتَميِّزة بغَزارة العِلم، وتَعدُّد المواهب والمناصب، والأعمال الرسمية مع تواضع جمّ واستقامة وفضل ودماثة خُلق لا حدود لها.

كان الراحل الكبير أكبر أولاد القاضي العالم والإداري الضليع الصفي أحمد بن أحمد الجرافي؛ فهو من مواليد سنة ١٣٣١ هـ/ ١٩١٣ م. ويليه مفتي الجمهورية العلّامة الجهبذ القاضي العزي محمد بن أحمد أطال الله عمره، وثالثهم الأخ الأستاذ والزميل علي بن أحمد الدبلوماسي السابق والمقيم في لندن مع أسرته منذ تقاعده قبل نحو ربع قرن.

تخرَّج راحلنا في المدرسة العلمية، وأخذ عُلوم الحديث والعربية وآدابها على عُلماء صَنعاء، وأشهرهم شَيخ الإسلام القاضي حسين بن علي العمري. وقد صَادف أنَّ آخر لقائي به كان قبل أسابيع قليلة في دار أخيه العلّامة المفتي الذي يَصْغُره ببضع سنين، وكان معنا أخي القاضي

(١) نُشر في صحيفة السياسية عدد (٢٠١٣٠) الأحد ٢٠ شعبان ١٤٢٨ هـ الموافق ٨/ ٩/ ٢٠٠٧ م.

علي بن عبد الله العَمري وهو من أترابهما[١]. فقال القاضي إسماعيل: إنه زار شيخه العلامة المعمّر (جدّنا) الحسين العَمري، وكان وقتها قد بلغ الثالثة والتسعين، وهي سنٌّ عالية وأضاف: «وأنا اليوم في السَّابعة والتّسعين! ولم أكن أظن العُمُر يمتَد بي إلى هذه السِّن». فدَعَوت له بالصحة والعافية مذكراً ومشيداً بحياته الحافلة بالعلم والعمل. فقد حقق عديداً من كُتب التاريخ والأدب كقصيدة نشوان الحميري وتحقيقه لكتاب العلامة المؤرخ الآنسي «إتحاف ذوي الفِطن» وتعاون مع زميله الدبلوماسي -القديم- العالم المرحوم علي بن إسماعيل المؤيد في ذلك وفي إخراج ديوان ابن شرف الدين إلى غير ذلك مما استفاد منه خلال سنوات عمله الطويلة في الجامعة العربية وفي المفوضية بالقاهرة. وفي الحقيقة إن عمله في الحقل السياسي والدبلوماسي يرجع إلى منتصف

---

(١) **رحيل أخي الأكبر -هذا- القاضي علي بن عبدالله بن الحسين العَمري (١٣٣٩-١٤٢٨هـ الموافق لـ ١٩٢٠-٢٠٠٧م).**

لم يمضِ شهر على رحيل العلامة القاضي إسماعيل الجرافي - وعلى ذلك الحديث- حتى لحق أخي بتربه وصديقه، إلى الرفيق الأعلى يوم الخميس الخامس عشر من رمضان ١٤٢٨هـ الموافق ٢٧/ ٩/ ٢٠٠٧م. وكان رحمه الله شخصية متعددة الاهتمامات العلمية والعملية والسياسية فقد كان له اهتمام بالفن المعماري فهندس وبنى القصر الجمهوري ( دار الوصول) وانتهى منه عام ١٩٦٠م في نفس السنة التي أسس فيها -مع عدد من التجار والمتنورين شركة كهرباء صنعاء وكان يديرها ورئيس مجلس إدارتها حتى تعين في عام ١٩٧٠ أول مدني -بعد الثورة- وزيراً للداخلية، فوزيراً للأوقاف، فمحافظاً لصنعاء، وخلال ذلك وبعده كان عضواً لمجلس الشعب ورئيس اللجنة المالية فيه حتى انتخابات عام ١٩٨٧م حين عين مستشاراً لرئيس الجمهورية لشؤون المحافظات حتى تقاعد بعد الوحدة المباركة عام ١٩٩٣م، وكان في ذلك دائم النشاط والحيوية على علاقات اجتماعية وسياسية واسعة، عرف بالتواضع واتساع المعرفة ونظافة اليد، مُقدراً عند كل رؤساء الجمهورية والمسؤولين الذين عمل معهم وآخرهم الرئيس علي عبد صالح الذي كان يحفظ له الكثير من التقدير والمحبة. وقد خلف ولدين نجيبين هما محمد وعبد الله وابنتين فاضلتين، وله منهم عدد من الأحفاد والأسباط، وخسرنا برحيله أباً وأخاً وراعياً لا يعوض، وكان في نحو الثامنة والثمانين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أربعينيات القرن العشرين حين اختير مع مجموعة قليلة مختارة أُعدت للعمل في الجامعة العربية عقب إنشائها وكذلك الأمم المتحدة، فقد كان مشاركاً في مؤتمر سان فرانسيسكو عام ١٩٤٧م، وما تلا ذلك من مؤتمرات عربية ودولية، وكان مديراً عاماً بوزارة الخارجية فنائباً لوزير الخارجية بعد ثورة ٢٦ أيلول / سبتمبر ١٩٦٢م، واختير أميناً عاماً لأول مجلس شورى في اليمن، وقد اعتزل العمل الحكومي بعد أن شغل آخر منصب سفيراً لليمن في المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٠م، وتفرغ في سنواته الأخيرة للقراءة ورعاية والده الذي توفي عام ١٩٨٥م، وكان وما زال حتى رحيله يوم أمس الأول جمّ النشاط عظيم الأخلاق كثير التواضع، وخلّف أبناءً لهم نفس سجاياه، وأكبرهم صديقنا العالم الفاضل الطبيب الاختصاصي في علم العيون الدكتور إبراهيم بن إسماعيل الجرافي.

رحم الله الرّاحل الكبير وجَبر الأهل والأصدقاء والوطن في مُصابه الجَلَل.

وكم كان مثله جديراً بالتنويه والعزاء!

**صنعاء ٢٠٠٧/٨/٣١م**



# في ذكرى رحيل

## صديق عزيز ورجل دولة كبير[١]

## (القاضي عبد الكريم العرشي)

لا تسعفني الذاكرة لتذكر تلك المعرفة المبكرة جداً التي جمعتني مع الراحل العزيز وشقيقه الراحل الألمعي الأديب والسياسي الحصيف السفير عبد الوهاب بن عبد الله العرشي، لكنها بالتأكيد ترجع إلى زمن قبيل الثورة، فكلاهما، بل وأسرتهما المعروفة، كانا على علاقة تتلمذ وزمالة مع بعض أشقائي وأسرتي، وإذ تمتنت علاقتي وصداقتي فيما بعد أكثر ـ بحكم العمل في وزارة الخارجية ـ مع أخيه المرحوم عبد الوهاب، كان الأخ القاضي عبد الكريم يثبت في الستينيات ومطلع سبعينيات القرن العشرين جدارة رجل الإدارة، وإخلاص رجل الدولة في عدة مناصب كان قد تبوأها. ولم تنقطع صلتي وتتبعي لنشاطه الإداري والسياسي بين عامي ١٩٧٥ و١٩٧٩م، فمنذ تم تعيينه رئيساً لمجلس الشعب التأسيسي حتى انتخابات مجلس الشورى عام ١٩٨١م الذي عملت معه في المجلس

(١) بعد حياة غنية مليئة بالتجارب السياسية والإدارية في خدمة اليمن رفع إلى الرفيق الأعلى رجل الدولة، العالم والفقيه والسياسي القاضي عبد الكريم بن عبد الله العرشي يوم الأحد الموافق ١٦ جمادى الأول ١٤٢٧هـ الموافق ١١ حزيران / يونيو ٢٠٠٦م، وشارك في تشييع جنازته الرسمية والشعبية فخامة الأخ الرئيس علي عبد الله صالح، وكل أركان الدولة ومحبوه من أبناء الشعب، وقد كتبتُ هذه العُجالة ضمن كتاب سيصدُر عنه.

رئيساً لإحدى لجانه الأساسية، وعلاقتي به لم تنقطع يوماً واحداً حتى أول انتخابات في ظل الوحدة المباركة (نيسان / أبريل ١٩٩٣م)، وكان في كل علاقاته مع الأنداد والمرؤوسين من أعضاء المجلس أو موظفيه نموذجاً فريداً في علو الفهم والجهد الذي لا يلحق به أحد ،مع حُسن الإدارة والاحترام للصغير والكبير على السواء. ويعرف كل من عمل أو شارك في الأعمال السياسية المصيرية الأخرى مدى ما كان الأخ الرئيس علي عبد الله صالح يعوّل على آراء القاضي عبد الكريم العرشي سواءً في المسائل الدستورية والقانونية أم في مختلف القضايا الوطنية التي كان مكلفاً أو مسؤولاً عنها، ولم يكن صحيحاً أنه كان يتمسك برأيه إن وجد من يقنعه بعكسه، وكان ذلك معروفاً في غير موقف قبل الوحدة وبعدها.

وكان منطلقه دائماً مصلحة الوطن العليا، ولم يكن يخشى قول الحقيقة حيث ينبغي أن يقولها.

ولعل العالم، الفقيه، الإداري والسياسي الوطني، المغفور له بإذن الله، واحدٌ من المعدودين والمشهود لهم بنظافة اليد ونُبل الخلق وسعة الصدر، أفنى شبابه وكهولته في أداء مهام كبيرة في زمن صعب وظروف غير عادية.



# في ذكرى جون بولدري

# (الرّحالة المُؤرخ)

## "JOHN BALDRY" IN MEMORIAM

## (١٩٣٩ - ٢٠٠١)

لعلَّ كلَّ من عرف (جون بولدري) عبر تجربته العربية (الطويلة) وتواصل معه، ومن ثَمَّ فَقَد هذا التواصل بعد ذلك، سَيَلُفُّه الحزن حين يبلغه خبر وفاته منذ سنوات ثلاث خَلَت في تايلاند!

كان (جون) يشتغل ـ أساساً ـ بتدريس اللغة الإنجليزية، وكان يعتمد في دخله على ذلك، وقد عمل مدرساً في معظم الأحيان لدى (المجلس البريطاني)، كما عَمِلَ لاحقاً لدى جهات أخرى، وبعد أن عَمِلَ في تونس والجزائر وليبية، تم تعيينه في (جَيزان) بالمملكة العربية السعودية، وهناك تَيَسّرَ له متابعة اهتماماته (بأدَارِسَة عَسِيْر) التي كان شَرَعَ فيها خلال إقامته في ليبية.

وهناك ـ أيضاً ـ وَقَعَ حُبُّهُ وشَغَفُهُ بتَهَامَةَ في وقت كانت الحرب الأهلية اليمنية (أواسط ستينيات القرن العشرين) تبلغ ذروتها. وكان ممّن تعرّفَ عليهم (جون) في جيزان أمريكي يُدعى (بروس كُنده) اعتنق الإسلام[١]، وتَسمّى بالأمير عبد الرحمن الكندي الذي كان يقوم بدعم الملكيين

(١) كان ذلك في أول زيارة له أيام الإمام (أحمد) أواسط الخمسينيات من القرن العشرين.

والدعاية لهم بطبع طوابع بريدية ملكية وبيعها. وقد اشترى (جون) بعضاً منها كجزء من هوايته في جمع الطوابع.

وبعد انتهاء الحرب الأهلية انتقل (جون) للعمل بصنعاء، وبُعيد ذلك بقليل ـ وعلى وجه التحديد عام ١٩٧٣م ـ التقيت به في (ندوة الدراسات العربية) في جامعة كامبردج، وكنت أرتّب وقتها لزيارتي الشتوية الأولى إلى اليمن والتي تلطف (جون) باستضافتي في منزله المتواضع ـ وغير المرتّب ـ والذي لم يكن مريحاً لأصدقائه، وإن كان مناسباً لِي بالطبع، ولا بُدّ أنّ أولئك الأصدقاء يتذكرون (خادمه) ومرتب شؤون منزله (حسن) الذي كان له كذلك دور هامّ في رحلات (جون) الاستكشافية، ولا سيما أن (جون) كان إنساناً خجولاً ولا يُحسن اللغة العربية. وكان كلما سنَحَت لهما الفرصة انطلقا سريعاً على دراجتيهما الناريتين في مغامرة جديدة لاستكشاف الجبال (كان هذا قبل تعبيد الطرق).

وبعد انتقال (جون) إلى الحديدة، وسكنِهِ منزلَه الجميلَ المصنوعَ من الأخشاب البديعة انتقل (حسن) بمرافقته تاركاً زوجته وأطفاله في صنعاء، وقاما معاً برحلات استكشافية لكل تهامة.

وانتهت بعدها فترة عمل (جون) في اليمن، فانتقل إلى عمل آخر في قاعدة عسكرية في المملكة العربية السعودية، ولكنه لم يستحسن الوضع هناك.. وبعد فترة وجيزة استطاع (حسن) اللحاق بـ(جون)، وقاما بالمشاركة في مسابقة (برعاية شركة لوكس) تم الإعلان عنها في إحدى الصحف، كان لهذه المسابقة بأن تُسهم في تحويل مسار حياة (جون).

وكانت هذه الصحيفة قد طبعت صورة لطائرة وهي تحلق في الأجواء فوق مَدرج هبوط المطار، وكان على المشاركين في المسابقة أن يضعوا علامة على المَدرج حيثما يعتقدون بأنها ستهبط. فقاما (جون) و (حسن) بشراء عشرات الأعداد من هذه الصحيفة وتقدما بعديد من المشاركات

واضعين علامة الهبوط في كل الأماكن المحتملة، وقد نجحا فعلاً بإحراز الفوز! وكانت الجائزة عبارة عن رحلة إلى تايلاند لشخصين، فذهبا إلى تايلاند. وقد استمتعا في هذه الرحلة إلى حدٍّ كبير، بَيدَ أنّ (حسن) كان يتساءل: لماذا يتم مكافأة غير المسلمين بهذا الكم من الأمطار والخضْرة؟ ولعل هذه الزيارة هي التي أدرك (جون) خلالها بأن هناك ثقافة أخرى (غير العربية) يمكنه الانتماء إليها.

وهكذا قَبِلَ (جون) أعمالاً في كلّ من تايلاند وكورية، ثم التقى بزوجته التايلاندية (لمياء) التي أنجبت له ابنه (واسنت)، والذي صار الآن في السادسة عشر من عمره. وقد عاد جون إلى الشرق الأوسط لفترةٍ مّا ومعه عائلته الجديدة، واشتغل لفترة محدودة في أبو ظبي، ولكنه في الأعوام الأخيرة أقام في جنوب شرق آسية متنقلاً بين بلدانها دون الرجوع لزيارة بريطانية إلا نادراً.

وخلال هذه الفترة انقطع جون عن مكاتبة أصدقائه السابقين برسائله الطويلة والإخبارية التي كان قد عُرف بها في الماضي، وفَقَد كثير منّا سبيل التواصل معه فيما عدا الحصول على البطاقة النادرة منه مباركاً بأعياد الميلاد. وكانت إحدى لقاءاتي الأخيرة معه عندما اتصل بي هاتفياً ذات يوم متحدثاً من منزل والدته في هرتفوردشير [إنجلترة] عارضاً عليّ الحصول على جميع كتبه ووثائقه وأوراقه شريطة استلامي إيّاها من مرآب والدته في اليوم التالي والذي ـ وكما قال لي ـ لا بُد من تفريغه فوراً وإلّا سيكون مضطراً إلى رميها جميعاً خارج المرآب. فأخَذت من فوري سيارتي (الخاصة بالنقل) منطلقة نحو «ساوبريدجورث» وحملت كل ما أمكنني أخذه. ولقد أحزنني أن (جون) قد قرر وضع اهتماماته بالشرق الأوسط خلف ظهره، فأكدتُ عليه استعدادي لتدبير كل المسائل متى غيّرَ رأيه وقرّرَ الرجوع إلى دراساته، بَيدَ أنه لم يرجع أبداً.

ومع توالي السنوات التي عاش فيها (جون) في شمال إفريقية و (عسير)، و (اليمن) كان يستغل كل إجازاته السنوية في بحث دؤوب لدراسة تاريخ إمارة الأدرِاسَة في (عسير) وسمات أخرى من تاريخ تهامة واليمن في كلّ من محفوظات الوطني البريطاني، ومحفوظات مكتبة الهند، وكان نتاج عمله هذا ما يزيد- عن عشرين مقالاً وبحثاً، يتم الاستدلال ببعضها أحياناً إلّا أن البعض الآخر منها غير معروف نهائياً. ولهذا، فقد قمت بإعداد مَا آملُ بأن يكون بيبليوغرافيا وافية لأعمال (جون) (انظر ذلك في الأخير). إن عمله الرئيس والهام هو كتاباته المستفيضة عن الإمارة الإدريسية، والتي كانت نتاج جهد طال نحو ست سنوات إلّا أنه لا يمكن نشرها في شكلها الحالي نظراً لكثافتها وكثرة تفاصيلها.

ونظراً لتألق (جون) في أسلوب الكتابة الأكاديمية، فإن كثيراً من قُرائه يفترضون سلفاً على أنه حاصل على درجة أكاديمية في التاريخ، وهذا غير صحيح فهو لم يكن يحمل سوى تأهيله في طرق التدريس ـ ولكنه صار مؤرخاً عصامياً، إذ إنه علّم نفسه بنفسه. وتشكل مقالات (جون) إسهاماً رئيساً في دراسات تاريخ اليمن منذ القرن التاسع عشر. ولذلك راودتني منذ فترة فكرة جمع ونشر مقالاته في مجلدٍ واحد. وتطبيقاً لهذه الفكرة حاولت متابعة جون للاستفسار عن رأيه، ولكنني ـ ويا للأسف ـ تبين لي بأنه قد رحل عنا. وفيما يلي قائمة بأعمال «جون بولدري»[١].

---

(١) [بغرض الاستفادة والتنويه بها، انظرها كاملة ص(٧) في القسم الإنجليزي من مجلة الثوابت]. وقد شرعت مع الأخ الدكتور أحمد عبد الكريم سيف وابني العزيز الأستاذ فراس في جمعها وتعريبها، على أمل اصدارها قريباً بعون الله.

## عبد القادر بن عبد الله بن علي

# عبد القادر بن شرف الدين الكوكباني

(١٣٢٦ - ١٤٢٥ هـ / ١٩٠٨ - ٢٠٠٤ م)

عالم، فقيه، قاضٍ، سياسي، أديب، مُعمَّر، سليل أسرة مشهورة بالعلم والسياسة موطنها (كوكبان) شمال غرب صنعاء، ولم تنقطع صلة الأسرة بها رغم انتقال البعض منها للاستيطان بصنعاء.

ولد العلّامة عبد القادر في متنزه الروضة شمال العاصمة في موسم (الخريف) في ٢٣ شهر جمادى الآخرة ٢٢ تموز / يوليو، ترعرع في حجر والده العلّامة عبد الله بن علي عبد القادر، والتحق في صنعاء بحلقات تدريس الصغار في المساجد، وكان أستاذه الأول الفقيه الجمالي علي بن أحمد الآنسي، وقد أظهر نبوغاً وفهماً مبكراً، فأخذ عن علماء صنعاء وكبار مشائخها أمثال شيخ القراء علي بن أحمد السدمي والعلّامة عبد الخالق الأمير والمحقق زيد بن علي الديلمي وشيخ الإسلام القاضي علي بن علي اليماني والعلّامة الأديب القاضي عبد الكريم بن أحمد مطهر، وغيرهم من علماء وأساتذة الوقت، مُجمَل علوم العصر من لغةٍ وفقه وفروع، وفي أصول الدين والحديث والتفسير، ثم التحق بالمدرسة العلمية، وكان من أبرز خريجي ما عُرف بالغاية فيها.

وأجازه إجازة عامة شيخ الإسلام القاضي العلّامة الحسين بن علي العَمري والقاضي العلّامة لطف بن محمد الزبيري وغيرهما. التحق بعد

تخرجه من المدرسة العلمية بهيئة التدريس فيها؛ فكان يدرس علوم العربية والفقه وأصوله وغير ذلك، وقد أثبت أستاذية معروفة وعلو كعب في مختلف الفنون والآداب والتاريخ، وتخرج على يده عدد كبير من الفقهاء والأدباء، وقد انخرط في سلك القضاء والإدارة؛ فعمل في نظارة الأوقاف، وحين أنشأ الإمام يحيى عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م (المجلس النيابي) المكون من خمسة إداريين وقضاة عُين رئيساً للمجلس، وبعد إلغائه عُين معاوناً بوزارة المعارف عام ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٢ م فوزارة الاقتصاد، وقبيل الثورة عام ١٩٦٢م كان عضواً في محكمة الاستئناف العليا. وعُين بعدها بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٧١م وزيراً للعدل في عدة حكومات متعاقبة. وقد عُيّن عام ١٩٨١م رئيساً للمحكمة العليا للنقض والإقرار، فرئيساً للمحكمة الاستئنافية العليا، وهو آخر منصب شغله حين تقاعد أواسط التسعينيات.

له مساهمات علمية وأدبية كثيرة كان من أهمها عضويته للجنة تقنين أحكام الشريعة الإسلامية التي صدر عنها جملة من القوانين الاجتهادية المختلفة المعمول بها اعتماداً على مختلف المذاهب الإسلامية، وليس فقط على المذهبين الزيدي والشافعي المنتشرَين في اليمن. وقد عُمّر حتى تجاوز التسعين، وعُرف بالتواضع والزُّهد والنزاهة مع سعة العلم والاستقامة والخُلق الرفيع، وخلّف عدداً من الأبناء أكبرهم عبد الله ومحمد. زميل الكاتب وصديقه.

توفي يوم الخميس ٢٥ رجب ١٤٢٥ هـ/ ٩ أيلول / سبتمبر ٢٠٠٤ م، وقد نعاه رئيس الجمهورية في برقية عزاء بالغة الثناء والتقدير. ورثاه الشعراء، ومشى في جنازته عدد غفير من العلماء ورجال الدولة والقضاء وغيرهم[1].

---

(١) صحيفة (القضائية)، عدد ٥٥٥ تشرين أول / أكتوبر ٢٠٠٤م، صحيفة الثورة ١٠ أيلول / سبتمبر، ٢٠٠٤م. وانظر كتابنا (مئة عام من تاريخ اليمن). كان له الفضل في إعارتي نسخته الخطية من تاريخ صنعاء للرازي التي استعنت بها عند تحقيقي ونشري للكتاب عام ١٩٧٢م.

# رحيل إدوارد سعيد

## الخميس ٢٠٠٣/٩/٢٥م

بعد صراع مرَيرْ مع المرض، مات الكاتب والمفكر العربي البارز إدوارد سعيد من دون أن يستسلم، وحتى الرمق الأخير ظل يقاتل بالكتابة والمحاضرة والمقابلة، في الولايات المتحدة وفي أوربة وفي زوايا الأرض، وطبعاً ودائماً في فلسطين، قضية عمره.

ظل يدافع عن آراء وأفكار حملها بكثير من العناد والتحدي.

طفل فلسطيني ويافع مصري وشاب لبناني ثم أستاذ أمريكي. مسيحي مقاتل دفاعاً عن صورة الإسلام ،وصديق لأعداد لا حصر لها من اليهود المناوئين للصهيونية. هذه المواصفات جعلت من إدوارد سعيد رجلاً كونياً بامتياز. جمع في ذاته، بطريقة غير مألوفة، ما يوحي، لوهلة، بأنها متناقضات: صاحب أفكار في السياسة وناقد أدبي وعازف بيانو[١]. واجتمع فيه تمسك لا يكل بالحق الفلسطيني، وإصرار على ما اعتبره تحريراً للشرق من افتعال المستشرقين، وموقعه في الولايات المتحدة تعدى في تأثيره كل ما يمكن أن يطمح إليه ذو أصل عربي. وهو تأثير

---

(١) التقيت به للمرة الأخيرة وهو يعزف لجمهور كبير في إحدى كبريات كنائس لندن في آذار / مارس ٢٠٠١، ولم يكن قد أنهى فترة علاجه الطويلة من المرض الخبيث، وكم كان مشرفاً لنا - السفراء العرب - بين الحاضرين ذلك العزف الرائع البديع.. (حسين).

تجاوز المواضع العربية إلى مسائل الثقافة العالمية المعاصرة، كالنسبية والتعددية وما بعد الحداثة وما بعد البنيوية.

وإلى الشأن النظري، اهتم سعيد بالسياسات المباشرة حليفاً لياسر عرفات مرةً وناقداً مراً له مرة أخرى. ولم يتردد، في حركة رمزية، في رمي حجر باتجاه الجنود الإسرائيليين من وراء الحدود اللبنانية.

لكن الوجه الأبقى من هذه الحياة الغنية التي امتدت به ٦٨ عاماً، قضى معظمها أستاذاً للأدب المقارن في جامعة كولومبيا الأمريكية، وجهُ إدوارد سعيد المثقف. فمن تناوله أدب جوزيف كونراد إلى نقده الاستشراق و (تغطية الإسلام) و (الإمبريالية) تحول سعيد إلى صاحب مدرسة وطريقة تمانعان المرض وتُغالبانه. والذين خالوا، حين وضع سيرته الذاتية، في ١٩٨٦، أنه يكتب آخر أعماله، فاجأهم أن الراحل الكبير ظل يكتب ويكتب كأنه يديم حياته ويطيلها في مواجهة الموت.

ولقد نقل جثمانه إلى بيروت، وأدهشني أنه أوصى أن يُحرق الجثمان ويذر رماداً، وذلك بالفعل ما تم!!.



# هموم يمانية

## على منبر اليونسكو





# هموم يمانية على منبر اليونسكو

## كعضو منتخب ممثل لليمن بين عامي ٢٠٠٣ و ٢٠٠٧

### تمهيد

لم تكن اليمن بشطريها - قبل الوحدة - عضواً في المجلس التنفيذي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) رغم انضمامها إلى عضوية هذه المنظمة الهامة في نيسان / أبريل ١٩٦١. وخلال العقود الثلاثة الماضية حالف الحظ أخانا العزيز الدكتور أحمد الصياد الذي كان سفيراً ممثلاً للجمهورية العربية اليمنية خلفاً للمرحوم زميلي وصديقي الدكتور عبد الرحمن الحداد، فتم انتخابه في المجلس حتى كان من حسن حظ اليمن وحظه أن يكون بعد ذلك أول يمني يعين مساعداً للمدير العام للشؤون الخارجية عام ١٩٩٦ وما زال، وقد خلفه كسفير الأخ أ. د. عبد الله الزين أستاذ الإعلام بجامعة صنعاء، وأخيراً الأخ الباحث واللغوي الأستاذ الدكتور حميد العواضي الذي يمثل اليمن كسفير، ويعمل منذ أربع سنوات بجهد لا يكلّ ونشاط ملموس في كل أوساط المنظمة، رغم ضعف التواصل مع الجهات المختصة في الداخل كما هو معروف!

ولقد شجعتني رفقته وعمله ممثلاً في المنظمة في أن أقبل اقتراح ترشيحي لعضوية المجلس، وكان ذلك كذلك في دورة انعقاد المؤتمر العام الثلاثون في باريس (تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٣) والذي كان

معالي الأخ العزيز د. عبد السلام الجوفي وزير التربية والتعليم، قد انتخب رئيساً للمؤتمر، ولعلها المرة الأولى، وكان معه في المؤتمر الأخ الكريم الأستاذ التربوي القدير الدكتور محمد بن محمد بن يحيى مطهر نائب وزير التعليم العالي والبحث العلمي. وقبيل ذلك كان لدعم دولة الأخ الأستاذ عبد القادر باجمال رئيس الوزراء - آن ذاك - والأستاذ علي محمد الآنسي مدير مكتب رئاسة الجمهورية والأستاذ الدكتور عبد الوهاب راوح الذي كان وزيراً للتعليم العالي وآخرين كُثر، أخص منهم الصديق العزيز الأديب الأستاذ محمد باسلامة السفير السابق في باريس، وفي حومة الترشيحات وعمل الكواليس وقنوات التواصل كنت مع عربيين (مصر والبحرين) من تم انتخابهم لأربع سنوات، مع ممثلين آخرين أوربيين وآسيويين وأفارقة إلى المجلس المكون من ثمانية وخمسين عضواً ممثلين لمئة وثلاث وتسعون دولة، هي كل أعضاء المنظمة اليوم برئاسة المدير العام الدبلوماسي القدير السيد **كوتشيرو ماتسورا**، وقد تم في أول اجتماع لمجلسنا الذي عادت إليه في الوقت نفسه الولايات المتحدة الأمريكية بعد مقاطعة ربع قرن!، انتخاب ممثل ألمانية السفير الصديق **هانز هانريش فرايدة** رئيساً للمجلس للعامين التاليين، وخلفه السفير الصيني **زانج اكسينشينج** الذي كان كسلفه على درجة عالية من المعرفة والدماثة وحسن الإدارة، (وهو كذلك نائباً لوزير التعليم في بلاده الصين الشعبية)[1] وكنت معه وآخرين ممن انتهت عضويتنا لتدخل دماء جديدة تستفيد منها المنظمة في حقول تعميم التعليم والعلم والثقافة في العالم أجمع، وكانت الجلسة الختامية بعد عصر يوم

(١) عدد طلاب المدارس والجامعات في الصين نحو ٢٠٠ مليون طالباً! كما أبلغني السيد زانج.

الأربعاء الموافق ٣١ تشرين الأول/أكتوبر عام ٢٠٠٧، وتم التقاط صورة تذكارية للمجلس بمن بقي فيه ومن خرج منه (انظرها في الغلاف الأخير).

## قبل الكلمة الأولى

بقي القول: إن حرصي على نشر هذه الكلمات المتواضعة نابع من الحاجة إلى توضيح كثير من القضايا والمواضيع السياسية والعلمية والاجتماعية والتعليمية التي تُبحث وتُناقش وتصدر بها قرارات وسياسات (استراتيجيات) يهمنا في اليمن والوطن العربي أمرها وأن نبدي آراءنا ومواقفنا منها كما هي. يأتي بعضها فيما يلي وخلال الدورات ١٦٩ - ١٧٧ بين عامي (٢٠٠٣ و ٢٠٠٧).

**العَمري**

- ١ -

[الدورة ١٦٩ للمجلس التنفيذي صباح يوم ٢٠/ ٤/ ٢٠٠٤ م]

**السيد الرئيس**

تأتي هذه الدورة للمجلس الموقر، والتي أشارك فيها للمرة الأولى شاكراً ومقدراً ثقة المؤتمر العام الثاني والثلاثين ولمجلسكم الموقر في اختياري للعمل مع هذه النخبة المميزة من رجال العلم والفكر والسياسة، بعد أشهر قلائل على التقاء أكثر من ثلاثة آلاف مشارك من جميع أقطار العالم في دورة المؤتمر العام الثانية والثلاثين، والتي كانت ناجحة من حيث التفاعل الكبير الذي أظهرته الدول الأعضاء، وما حققته من اعتماد الاتفاقية الدولية للتراث غير المادي، وعدد من الإعلانات الدولية، وهو ما يشكل أهمية بالغة في تعزيز دور المنظمة على المستوى الدولي، بالإضافة إلى انضمام تيمور الشرقية إلى المنظمة. أما عودة الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت نفسه، فقد شكل آمالاً جديدة في قيامها بالدور نفسه الذي لعبته منذ تأسيس منظمةٍ لخدمة الإنسانية جمعاء، ودليل كذلك على الحكمة وتحمل المسؤولية. واسمحوا لي أن أنتهز هذه المناسبة لأرحب بسعادة السيدة السفيرة بيننا في اللقاء، وفي كل لقاء للتعاون والتشاور والحوار.

**السيدات والسادة**

على الرغم من أننا نشعر بأن الوقت الذي مضى منذ انعقاد آخر دورة

للمجلس قصير نسبياً، إلا أن العالم قد شهد أحداثاً مأساوية، أبرزت بشكل ملفت للنظر، وفي أكثر من أي وقت مضى، مدى الهوّة التي تفصل بين آمال ومبادئ منظمتنا السامية والطموحات النظرية من ناحية وواقع الحال عملياً من ناحية ثانية. فازدياد وتيرة العنف ومعالجاته بعنف أشد منه، خلق دوامة من الأفعال وردود الفعل عليها، وهو ما نشاهده بشكل محزن ومؤلم في عدة أماكن من العالم، خصوصاً في الأراضي المحتلة من فلسطين، ولن يخرج العالم من ذلك إلا بالحوار السلمي والمتساوي، والذي ينبغي أن يكون مقدمة حقيقية لحل المشاكل المعلقة والمزمنة، كحق الشعب الفلسطيني في العودة، وإقامة دولة. لقد أخفقت للأسف آمال العدل ومساعي السلام نتيجة أعمال ومواقف حكومة شارون الإرهابية. وما يحدث اليوم في العراق مثال آخر وخطير، لا ينبغي السكوت عليه، ذلك أن انفراد قوة أو قوى بعينها في فرض حلول القوة أو الرأي على المجتمع الدولي في هذا الشأن، هو تجاهل للدور الإقليمي والدولي الذي يهم - في الحقيقة - البشرية جمعاء. ذلك أن أي تصور - سيدي الرئيس - لأي نوع من الحلول في مثل هذه الإجراءات وبهذا المستوى الخطير، ينبغي أن يقوم على تشاور - مخلص وصادق - مع كافة الأطراف المعنية في هذه المنطقة من عالمنا العربي والإسلامي، وبمباركة من المجتمع الدولي ممثلاً بالأمم المتحدة، ومجلس الأمن، ووفقاً للقرارات الشرعية الدولية.

**السيد الرئيس**

إن الإرهاب فكراً أو فعلاً، وبشتى الأشكال والألوان أو المسميات أمر خطير يهدد الجميع، ومن الواجب التصدي له، وسواء أقام به أفراد أم جماعة، أم دولة (كإسرائيل) أم غيرها صغر حجمها أو كبر، لأن ضحايا الإرهاب هم من المدنيين المسالمين العزل، وبينهم أطفال ونساء

ومسنّون. والأمثلة كثيرة لا حصر لها، وليس من شك بأن من مهام هذه المنظمة - راعية الثقافة والعلوم والفنون - «بناء حصون السلام في الأذهان» ذلك الشعار النبيل الذي يعني فيما يعني استباق مزاعم حتمية نظرية الصراع وتقديم الحوار بديلاً.

**السيد الرئيس**

يسعدني - في هذا السياق - إحاطتكم ومجلسنا الموقر، بأن حكومة بلدي وبالتعاون مع اليونسكو، قد استضافت (ندوة صنعاء لحوار الثقافات والحضارات) والتي جرت أعمالها بنجاح في العاشر والحادي عشر من شهر شباط (فبراير) الماضي (عام ٢٠٠٤)، وحضرها عدد لابأس به من المشاركين المختصين من مختلف أقطار العالم، بالإضافة إلى مشاركة فاعلة من المنظمات الإقليمية (العربية والإسلامية)، وكذا بعض المنظمات غير الحكومية والمؤسسات الأكاديمية. ولقد تمخض عن تلك الندوة التي تمت بعد صدور (بيان صنعاء) الشهير عن مؤتمر (الديمقراطية والمحكمة الجنائية الدولية)، جملة من التوصيات الهامة التي نرجو أن تحظى باهتمام المنظمة تفعيلاً وتطبيقاً، ومن ذلك أنه تم التأكيد على اختيار العاصمة اليمنية (صنعاء) كملتقى إقليمي (لحوار الثقافات والحضارات)، وهذا يمثل عملاً فاعلاً متقدماً في الاتجاه الصحيح لتحويل الحوار إلى خطوات إجرائية تتراكم معها المنجزات التي يتم الاتفاق عليها أو التوصل إليها في مختلف الندوات.

**السيدات والسادة**

لقد تابعنا باهتمام كبير تقرير المدير العام عن اجتماع الخبراء حول إعداد مشروع اتفاقية دولية (لحماية تنوع المضامين الثقافية وأشكال التعبير الفني) ونحن إذ ندعم جهود السيد المدير العام في أهمية خروج مشروع

الاتفاقية بأسرع وقت ممكن، بحيث يتسنى لكافة الدول الأعضاء الاطلاع على المشروع، وإبداء الملاحظات عليه، وفي الموعد المأمول والمحدد لخروج هذه الاتفاقية مع الدورة القادمة للمؤتمر العام، فإننا ندعو في هذا المقام إلى أهمية تضمين هذه الاتفاقية الأبعاد الإيجابية للتنوع الثقافي مثل التنوع اللغوي والقيمي، باعتبارها مضامين ثقافية تكتسب قيماً فنية في الأشكال التي يتم بها التعبير عنها. ونرجو ألا يفهم من هذا أننا نطالب باتفاقية عامة تغطي كل ألوان طيف التنوع الثقافي، وإنما نحرص أن تتضمن الاتفاقية القادمة حداً أدنى من أبرز أشكال التنوع الثقافي باعتبار ذلك التنوع يشكل مصدراً من مصادر الإرث التراكمي المتنوع والثراء الفكري للإنسانية. وإن حماية هذا التنوع والحفاظ عليه وتنمية بعض أشكاله أمر يحظى باهتمام كبير في اليمن والمنطقة التي ننتمي إليه بشكل عام.

إن سياسة الإصلاحات التي انتهجها ووعد بها السيد المدير العام بدأت تظهر ثمارها، سواء كان ذلك في الأسلوب الجديد للإدارة أم سياسة الموظفين أم تحقيق اللامركزية، وكأي عملية إصلاح لابد من أن يرافقها بعض الإشكالات التي يتم التغلب عليها بتمكن النظام الجديد من الاستتباب، ولا شك أن المزيد من الوقت مطلوب لإتاحة الفرصة للمدير العام ومساعديه لاستكمال خطط الإصلاحات والتدابير المتخذة، ومن ثمة استخلاص النتائج بشقيها الإيجابي والسلبي. ولعله سيكون من المناسب في الوقت الراهن التركيز على تقوية اللامركزية بنظام تواصل فعّال وشفافٍ، فقد لوحظ ضعفٌ كبير في عملية الاتصال والتواصل بين أطراف العمل المركزي واللامركزي، وصعوبة شفافية الإجراءات التي تتخذ لامركزياً.

**السيد الرئيس**

اسمحوا لي أن أتقدم بالشكر للسيد المدير العام على توجيه اهتمام

المنظمة لدعم الدول النامية، سواء تلك التي تمر في مرحلة البناء الداخلي وتعزيز قدراتها الذاتية، أو تلك التي تعيش فترة ما بعد الحرب أو تمر حالياً بفترة نزاع مسلح، أكان ذلك في الصومال أم العراق أم الأراضي المحتلة في فلسطين أم أفغانستان أم أنجولا أم غيرها من الدول الأقل نمواً والأكثر فقراً، مثل اليمن التي تتطلع إلى تقوية التعاون مع المنظمة، ولا تفوتني الفرصة بهذه المناسبة أن أتوجه بالشكر باسم بلادي للسيد المدير العام على ما قدمته وتقدمه المنظمة في مد يد العون والمساعدة في عديد من المجالات المندرجة ضمن اختصاصاتها. وأهمها ميدان التربية والتعليم والتدريب المهني حيث إن لليمن برنامجاً طموحاً في تحديد المناهج الدراسية، وتدريب المعلمين، ونشر التعليم الفني والمهني. كما أن اليمن تعاني من شح كبير في المياه، ومن ثم فإنها بحاجة إلى معالجة الوضع الخطير ضمن إطار دولي تمثل اليونسكو المكان المناسب له. أما المدن والمواقع التاريخية والآثارية والحضارية فإن اليمن - وكما تعلمون - غني بها، والتعاون لإبقائها تراثاً إنسانياً مطلب ملح، آملين أن تولي المنظمة هذا الجانب المزيد من اهتمامها الكبير.

في الأخير إذ أكرر الشكر للسيد المدير العام على الجهد والعمل الذي يقوم به، اسمحوا لي أن أذكركم بالآية القرآنية الكريمة التي لا شك أنكم تعلمونها:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ٤٩/١٣].

شكراً لحسن استماعكم والسلام عليكم

- ٢ -

[الدورة ١٧٠ للمجلس التنفيذي باريس ..]

إن العالم يعيش اليوم دوامة عنف وحروب وسلسلة من الكوارث الطبيعية مما يجعل كل لقاء مناسبة لدراسة هذا الوضع، وتبقى اليونسكو هي المكان الأنسب لوضع النقاط على الحروف فيما يتهدد البشرية من مخاطر الإرهاب والحرب والنزاع والاحتلال.

لقد شهدت السنوات الماضية تراجعاً كبيراً في إعمال مبادئ ناضلت من أجلها الإنسانية طويلاً؛ كاحترام حقوق الإنسان، وحرياته الأساسية. وتراجعت القيم الإنسانية المشتركة، لتحل محلها قوى العنف والبطش والانتقام، وهذا وضع يهدد قيم التسامح والتعايش، وينذر بموجة جديدة من انتهاك كل القوانين الدولية بسبب الإرهاب، أو تحت مظلة الحرب على الإرهاب.

**السيد الرئيس**

**السيدات والسادة**

إن البشرية توصلت إلى بناء مؤسسات وسنّ قوانين وقواعد دولية جماعية لكي تنظم أحوالها، وجميع الأطراف مدعوة لاحترام هذه القواعد والقرارات الدولية. وعن هذه المنظمة ذاتها صدرت قرارات لحماية

المؤسسات الثقافية والتعليمية في فلسطين والأراضي العربية المحتلة، وها هو العالم يشهد ما يعانيه الفلسطينيون يومياً من الحرب والهدم للمسكن والمدرسة، وقتل الأطفال والشيوخ والنساء، واقتلاع الأشجار، وما يتهدد المعالم الدينية في القدس والخليل وغيرها من أخطار التدمير والتشويه. وإننا ندعو المجلس الموقر إلى التذكير بقراراته، ودعوة سلطات الاحتلال الإسرائيلية إلى احترام قرارات المجتمع الدولي، وأخصها في مقامنا هذا القرارات المتخذة في نطاق منظمة اليونسكو. ونؤكد على ضرورة التزام سكرتارية اليونسكو باستخدام المصطلحات وفقاً لقرارات اليونسكو نفسها، وقرارات الأمم المتحدة، وبما يراعي مقتضى الدور الحيادي للمنظمة في هذا النزاع التاريخي المحزن.

**السيدات والسادة**

تعاظم في الفترة الأخيرة دور الخبر المقترن بالصورة حقيقية أو مزيفة في وسائل الإعلام المرئية، وعلى شبكة الإنترنت، وما تحمله أحياناً من إساءة إلى القيم والأخلاق الإنسانية، ولا شك أن اليونسكو مدعوة اليوم للاضطلاع بدور أساسي في التفكير بإيجاد آلية جديدة تزدهر فيها الحرية ضمن الوسائل المتاحة، وتحترم في الوقت نفسه تلك القيم. لهذا فإننا ندعو السيد المدير العام إلى تكليف قطاع الاتصال بالتعاون مع القطاعات الأخرى، ومنها قطاع العلوم الاجتماعية والإنسانية بالتفكير في صياغة مبادرة لوثيقة تدرس الأضرار القائمة والمحتملة من جرّاء إساءة استخدام التكنولوجيا الجديدة.

**السيد الرئيس**

**السيدات والسادة**

لقد كان لبلدي شرف استضافة انعقاد الاجتماع التشاوري الإقليمي

للدول العربية حول الوثيقة (٣٣م/ ٥) وذلك في الفترة من (٢٨ حزيران/ يونيو) - (١ تموز/ يوليو) ٢٠٠٤م، وليسمح لي المجلس الموقر بالقول: إن بلادي تؤيّد ما ورد في مشروع الوثيقة المذكورة للأولويات التي وردت بها، وكذا في وثيقة الاستراتيجية متوسطة الأجل (٣١م/ ٤) والتي بلا شك، تتجاوز في مداها عام ٢٠٠٧م، كما نؤيّد المدير العام في الربط بين الوثيقة (٣٣م/ ٥) والأهداف الإنمائية للألفية الدولية، ولا سيما تلك التي تربط بدور المنظمة ومهامها وعملها.

كما ترحب حكومة الجمهورية اليمنية بالتطور الذي طرأ على مسألة الاهتمام بالتربية في اليونسكو، ونشيد بالتقرير الذي أعده المدير العام حول هذه المسألة (الوثيقة ٨/ EX 170) وندعو إلى تفعيل دور اليونسكو من خلال دعوتها للأطراف المعنية بدعم التعليم للجميع للتشاور وللتنسيق وتأكيد دور اليونسكو القيادي في هذه العملية كما ندعوها إلى رفد العمل الميداني بكفاءات جديدة تعمل على تحقيق أهداف التعليم للجميع على المستوى الوطني للدول التي تحتاج إلى المساعدة، ولا سيما البلدان الأقل نمواً.

كما أن مبادرة اليونسكو لتعليم الكبار (٢٠٠٥ - ٢٠١٥) و لا سيما النساء والرجال في الريف والتي عرضها قطاع التربية مؤخراً، لهي مبادرة سامية الأهداف، لا يمكننا إلا أن نباركها، وندفع في اتجاه نجاحها، وهي في الواقع تصب ضمن تحقيق أهداف مؤتمر داكار للتعليم للجميع، وتأتي مكملة لمبادرة اليونيسيف ومبادرة البنك الدولي (المسار السريع)، ولكننا نوجه الدعوة للدول المعنية (٣٣ دولة منها بلادي) بضرورة تضافر الجهود من أجل نجاحها، ولا سيما في مرحلتها التحضيرية المعتمدة بدءاً من عام ٢٠٠٥م.

**السيد الرئيس**

إن المتأمل لتقرير المدير العام حول تنفيذ البرنامج المعتمد من المؤتمر

العام، وذلك خلال النصف الأول من العام ٢٠٠٤، سوف يرى بأن متوسط النسبة المئوية في تنفيذ البرامج تدور في الغالب حول ٢٥٪، وهو في الواقع مؤشر جيد جداً، بل - ولا شك - عامل تفاؤل وتحفيز بأن فترة الإصلاح في المنظمة بدأت تؤتي ثمارها، وذلك على اعتبار أن لدى المنظمة الوقت الكافي من أجل الوصول إلى النسبة الكاملة (١٠٠٪) من تنفيذ البرنامج المعتمد. كما أن المتتبع لأولويات المنظمة في مشروع الوثيقة (٣٣م/ ٥) سيرى بأن تعبير التنمية المستدامة قد ورد في أكثر من برنامج رئيسي وفرعي، وهو بلا شك هدف أساسي ومطلوب من الجميع، لكننا نخشى ألا تكون عوامل نجاحه قد وضعت بعين الاعتبار، فالتنمية المستدامة بحاجة إلى دعمها من خلال برامج عملية، اقتصادية واجتماعية راسخة تكون الدول المانحة ذاتها مقتنعة بها، ويأتي في أول تلك البرامج نقل التكنولوجيا والمعرفة والخبرة، وبالأخص في المجالات الحيوية؛ كالمياه، والصحة، وإدارة البيئة، والحفاظ عليها، عدا ذلك فستظل الدول تحت رحمة الكوارث التي تتسبب بها الطبيعة، أو يساهم في خلقها النمو البشري المتزايد، ولا يفوتني في هذه المناسبة أن أؤكد على أهمية إنشاء صندوق خاص بدعم الحصول على المياه الصالحة للاستخدام، وأدعو الدول الأعضاء إلى دعم هذا الصندوق المهم، فالمياه عصب الحياة. وبهذا الصدد أود أن أتوجه بالشكر إلى قطاع العلوم والبرنامج الهيدرولوجي IHP للاحتفاظ بالأولوية الرئيسية لليمن ضمن إطار (المياه والأنظمة المائية ذات العلاقة) والواردة في خطته للأعوام (٢٠٠٦ - ٢٠٠٧) نظراً لما تعانيه بلادي من نقص خطير وشُح حقيقي وشديد في مجال المياه.

**السيد الرئيس**

**السيدات والسادة**

أما مشروع الاتفاقية الدولية حول التنوع الثقافي، فإننا إذ نكرر الشكر للمدير العام وسكرتارية اليونسكو وللحكومة الفرنسية بوجه خاص على الترتيب لعقد لقاء الخبراء الحكوميين نؤكد على أهمية هذا المشروع، وأهمية أن تمضي لقاءات الخبراء قدماً في اتجاه الانتهاء من إعداد الاتفاقية لتقديمها إلى المؤتمر العام القادم ٢٠٠٥م. ولا سيما أن جو النقاش في اجتماع الخبراء الحكوميين كان بناءً ومفيداً. ونأمل التوصل إلى نص قابل للتطبيق، ويشجع التعاون الدولي، ويعزز التنمية، ويقوي أواصر الشراكات والتواصل الثقافي بين مختلف البلدان. ونؤكد هنا على أهمية أن يحظى المقترح الذي تبنته عدة بلدان في أهمية تضمين الاتفاقية فصلاً حول إنشاء صندوق دولي للتنوع الثقافي، بما يضمن فاعلية الاتفاقية مستقبلاً، ويعدّ إعداداً جيداً لتحقيق أهدافها، ويغري بسرعة القبول بها على نطاق واسع.

**السيد الرئيس**

ختاماً، أكرر الشكر للسيد المدير العام والأمانة العامة، وكل من شارك في إنجاح أعمال هذه الدورة، متمنياً للجميع النجاح في سبيل تحقيق الأهداف السامية لمنتظمتنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

-٣-

**[الدورة ١٧١ للمجلس التنفيذي باريس ٢٠٠٥/٤/١٩م]**

**السيد الرئيس**

**السيدات والسادة**

لاشك أن هذه الدورة تكتسي قيمة خاصة ليس بسبب المواضيع التي ستناقشها، ولكن بأنها دورة نريد من خلالها أن تظهر اليونسكو بكل أعضائها صفاً واحداً مساندة وداعمة للسيد كوتشيرو ماتسورا لولاية ثانية في إدارة اليونسكو، يكمل فيها برنامج الإصلاح الذي بدأه، ويتم هَيْكَلة المنظمة وفقاً للمشروع الذي جاء به، وأثبت جدواه.

**السيد المدير العام**

لقد عبرت لكم بلدي اليمن من خلال رئيسها الرئيس علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية اليمنية ومن خلال وزرائها ممن التقيتم بهم جميعاً عن دعمها لإعادة ترشيحكم، بل حثتكم على هذا الترشيح؛ اعترافاً منها بما قدمتموه لهذه المنظمة من رؤية حلت كثيراً من إشكالياتها، وقومت جزءاً كبيراً من هيكلتها، ولذلك نجدد لكم اليوم موقف حكومة الجمهورية اليمنية في دعمكم لولاية جديدة. وندعو كافة الدول الأعضاء باسم الشراكة التي بيننا في هذه المنظمة أن تدعم بقوة ترشيحكم لولاية ثانية لإدارة اليونسكو.

السيد الرئيس

السيدات والسادة

إن الوثائق التقنينية التي تعدها اليونسكو سواء في ميدان الرياضة، أو أخلاقيات البيولوجيا، أو التنوع الثقافي، كلها تخدم في نهاية المطاف تنظيم التعاون الدولي، وحياة الإنسان في مختلف المجتمعات، ومن ثم لابد من الاهتمام بالآراء التي تعرب عنها الدول النامية باعتبارها شريكاً مهماً في تبني هذه الاتفاقيات وتنفيذها مستقبلاً. وعليه ندعو إلى الاستماع لهذه الدول وفهم احتياجاتها تنموياً؛ للوفاء بالتعهدات القانونية التي قد تنجم عن هذه الاتفاقيات.

إن البعد التنموي الذي راعته اتفاقية حماية التراث غير المادي، وتبنيها صندوقاً لدعم هذا التراث، وما تقدمه الحكومة اليابانية في مجال دعم مضامين هذه الاتفاقية، كل هذا - فضلاً عن قيمتها التقنينية الأكيدة - قد جعل كثيراً من الدول، والنامية خاصة، تسارع إلى الانضمام إلى هذه الاتفاقية في وقت قياسي. وبهذه المناسبة، فإنني أؤكد أن حكومة اليمن بصدد اتخاذ الإجراءات الختامية للتصديق على هذه الاتفاقية الهامة.

هذه الإشارة أردنا منها دعوة كافة الدول الأعضاء في اليونسكو إلى تفهّم ما تدعو إليه بعض البلدان النامية من إيجاد آلية تمويل واضحة وطوعية للاتفاقيات التي يزمع المؤتمر العام القادم إقرارها، وعلى رأسها اتفاقية حماية التنوع الثقافي، وألا ينحصر همّ الدول الكبرى في التفاوض وتنظيم مصالحها وتسوية خلافاتها التجارية والثقافية في معزل عن إدراك مصالح البلدان النامية التي تمثل شريكاً هامّاً في الحاضر والمستقبل.

نجدد في هذا الصدد تمسك بلادنا بالدعوة إلى أن تتضمن اتفاقية حماية التنوع الثقافي آلية تمويل ومساندة دولية واضحة من خلال إنشاء صندوق للتنوع الثقافي في نطاق مشروع الاتفاقية.

**السيد الرئيس**

إن اتجاه اليونسكو لصياغة استراتيجية للتعليم للجميع للفترة من ٢٠٠٥ حتى ٢٠١٥ يعزز دورها على الصعيد الدولي كونها وكالة رائدة ومتخصصة في هذا المجال ونعبّر مبدئياً تقديرنا لتقرير المدير العام حول هذه القضية، ونؤكد على أهمية ألا يغيب مصطلح البلدان الأقل نموّاً باعتبارها الأكثر احتياجاً للمساندة والمساعدة في هذا الميدان. كما نؤكد أن التعليم العالمي جزء لا يتجزأ من العملية التعليمية والتنموية، وله انعكاس كبير على برنامج التعليم للجميع، باعتبار أنه يرفد هذا البرنامج بالأساتذة، وباعتبار أن نجاح التعليم العالي مؤشّر للنجاح الذي يتم في مستويات التعليم الأدنى منه.

أما في قطاع الثقافة، فإن بلادي تودّ أن تبيّن أن مدنها التاريخية في لائحة التراث تحظى بأولوية في مشاريع الحفاظ عليها والتنمية فيها بالتعاون الوثيق مع المركز العالمي للتراث، ولدى بلادي نيّة أكيدة لتعزيز مشاركتها ومساهمتها في هذا المجال خلال السنوات القادمة، وأود أن أعبّر للحكومة الإيطالية عن الشكر والتقدير لما تقوم به في اليمن في هذا المجال.

في قطاع العلوم الإنسانية، فإننا نشدد على أهمية أن تولى برامج رعاية المرأة وحقوق الإنسانية بأولوية كبيرة، وكذلك قضايا الأطفال، لأنهم أمل المستقبل. وبلادي تشدد على أهمية مدّ يد العون لها في هذه المجالات خاصة، لمزيد من تقوية مشاركة المرأة في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية.

**السيد الرئيس**

أما موقف بلادي فيما يخص الوثيقة (٣٣م/ ٥) مشروع البرنامج والميزانية، فقد سبق أن عبرنا عنه في الدورة ١٧٠ للمجلس التنفيذي، ووجهنا شكرنا للمنظمة ومديرها العام على الاهتمام الخاص بالبلدان النامية والتي هي أكثر حاجة لدور المنظمة في مجالات اختصاصها، غير أننا نلاحظ اليوم أن المنظمة ورغم عودة أحد أهم أعضائها، الولايات المتحدة الأمريكية، نلاحظ أنها بدأت العودة للمراوحة في مكانها فيما يخص ميزانيتها، إننا إذا استمرينا على هذا المنوال فسوف نعود للميزانية المبنية على النمو الصفري الحقيقي الذي نعرف جميعاً سلبياته، ولا سيما في مثل هذه الظروف التي يمر بها العالم، فزيادة الأمية وتخلف الأطفال عن الالتحاق بالمدارس، بل تعرضهم لمشاكل اجتماعية ونفسية في كثير من البلدان، ومنها بلادي اليمن، وكذا مشاكل البيئة والعوز في المياه الصالحة للاستخدام، ومعاناة كثير من الدول لظروف الحروب، كل هذا يتطلب منا دعم هذه المنظمة بكافة الإمكانات؛ كي يتاح لها أن تلعب دورها اللائق بها بوصفها منظمة رائدة في مجالات إنسانية تهمنا جميعاً.

**السيد الرئيس**

لاشك أن الوضع الدولي الصعب الذي تعيشه منطقة الشرق الأوسط من احتلال أو عنف أو إرهاب يستدعي من منظمتنا المزيد من العمل من أجل العدل والسلام معاً، بما يعزز التعاون والحوار بين الحضارات والثقافات والأديان والشعوب. وفي هذا المقام، فإننا نأمل أن نرى دور اليونسكو أكثر وضوحاً في حماية المعالم الدينية والتاريخية في كل مكان من العالم من الاعتداءات أو التهديدات، لأن هذه المعالم هي رموز للثقافة والحضارة الإنسانية، وأي خطر يتهددها فإنه بلا شك سيتجاوزها

إلى صراع بين الشعوب، ويهدد استقرار وأمن المنظمة والعالم. كما ندعو إلى أن تحظى البرامج القطاعية ذات العلاقة بتنمية الحوار والتعاون الإقليمي بمزيد من الدعم مثل برنامج خطة تنمية الثقافة العربية الذي نريد أن يزداد اهتمام المنظمة به نظرياً وعملياً؛ لأنه همزة الوصل الجماعية بين العرب واليونسكو.

**السيد الرئيس**

في الختام، نجدد موقف اليمن الداعم للسيد المدير العام ونجدد لكم شخصياً، السيد الرئيس، الشكر على الحكمة والفاعلية التي تديرون بها جلسات مجلسنا هذا.

- ٤ -

[الدورة ١٧٢ للمجلس التنفيذي ..]

**السيد الرئيس**

**السيدات والسادة**

تصادف هذه الدورة احتفالات اليونسكو بالذكرى الستين لتأسيسها. وبهذه السانحة فإن اليمن تهنئ المنظمة آملين أن تكون نقطة انطلاق جديدة في التخطيط والعمل. ولقد شهدت اليونسكو هذا العام ميلاد مجموعة سفراء دول المؤتمر الإسلامي، وإن بلادي تتشرف برئاسة هذه المجموعة، تهنئ اليونسكو ومجموعة سفراء دول المؤتمر الإسلامي الذين أنشؤوا مجموعتهم في نطاق هذه المنظمة للتعاون والعمل معها، بما يُسهّل الحوار والتفاهم بين الثقافات والحضارات، على أسس من الاحترام المتبادل، والفهم المشترك لقيم الأخوة الإنسانية.

**السيد الرئيس**

سبق وأن عبرت بلادي في المجلس التنفيذي في دورته ١٧١ عن مساندتها ودعمها لبرنامج اليونسكو لصياغة استراتيجية التعليم للجميع للفترة من ٢٠٠٥ حتى ٢٠١٥، والذي يعزز دورها على الصعيد الدولي بوصفها وكالةً رائدة ومتخصصة في هذا المجال. وفي هذا الصدد فإن بلدي قد جعلت من قضية التعليم أولوية قصوى، سواء أكان ذلك على

مستوى التعليم العام أم المهني أم العالي أم في مجال محو الأمية. وفي هذا الاتجاه، فقد أنجزت بلادي استراتيجية التعليم الأساسي، واستراتيجية محو الأمية، ونعمل حالياً على إنجاز استراتيجية التعليم الثانوي والتعليم العالي. وتشكل هذه الاستراتيجيات أُطراً تقنينية من شأنها أن ترسم قنوات واضحة لمسار الجهود الوطنية اليمنية، وتدفقات المساندة الدولية لبرنامج التعليم في اليمن، الذي حقق رغم الصعوبات الكبيرة نجاحاً يحمل على التفاؤل، ويدعو إلى الدعم والمساندة.

**السيد الرئيس**

**السيدات والسادة**

إن قضية التنوع الثقافي تشكل حَجر الزاوية في إنجاح مسار عَولمةٍ ذات وجهٍ إنساني يحافظ على ثراء التنوع، وقيم التعدد، وميزات الاختلافات البنّاءة، بما لا يجعل عالمنا على نمط واحد يخالف حقيقة التنوع وفوائدها. وفي هذا الصدد، أود التأكيد على أهمية نجاح المؤتمر العام القادم (الثالث والثلاثين) في التوصل إلى اتفاقية دولية تؤطّر لهذا التنوع، وتحميه وتنمّي فوائده. وهذا سوف يشكل نجاحاً يضاف إلى رصيد منظمتنا العتيدة.

**السيد الرئيس**

أما بشأن مشروع البرنامج والميزانية لعامي ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ فإن بلادي قد ساندت مقترح المدير العام للميزانية بمبلغ ٦٣٥ مليون دولار. ونعبّر عن التزامنا بتوصية الدورة ١٧١ حول هذا الموضوع، ونحن على ثقة من نجاح المدير العام في التمكن من إيجاد المبلغ الإضافي. لكن هذه الثقة لا تعفي المجلس التنفيذي من تحمل مسؤولية دعم المدير العام فيما سيقترحه من آلية للحصول على هذا المبلغ الإضافي المطلوب لمساعدة

اليونسكو في القيام بمهمتها، ولا سيما في مجال التعليم ودعم البلدان الأقل نموّاً في هذا المجال الحيوي.

أما فيما يخص برنامج اليونسكو لدعم اللامركزية، فإن الجمهورية اليمنية تقترح على المنظمة القيام بدراسة المراحل المنجزة في طريق اللامركزية، بحيث يقع استنتاج الجوانب الإيجابية لهذه السياسة، ومحاولة تفادي العيوب التي تقع بها بعض الجهات المنفذة لهذه السياسة. ونحن ندعو إلى وقفة متأنية وتقويم المراحل المنجزة من اللامركزية.

**السيد الرئيس**

نودّ أن نشكر المدير العام على التقرير الخاص بأوضاع المؤسسات التعليمية في فلسطين والجولان المحتلة، وندعم ونؤيّد نداءه حول القدس. وندعو اليونسكو للقيام بواجباتها في هذه المنطقة من العالم التي تحتاج إلى روح التعاون الدولي، وصدق النوايا، والتنسيق بين الأطراف المعنية بعيداً عن التفرّد بالحلول، وسياسة الأمر الواقع؛ فالسلام الشامل والعادل للجميع هو الذي نسعى إليه جميعاً.

إن ثقافة السلام تعني تعاون أطراف النزاع في التوصل إلى التسويات وتنسيقهم لتفادي الآثار السلبية على أي طرف ضماناً لدوام الاستقرار. ودور اليونسكو يبقى محوريّاً في الحفاظ على المعالم والآثار الثقافية وحماية المؤسسات التعليمية في فلسطين والجولان المحتلّين.

**السيدات والسادة**

في الختام، نجدد موقف اليمن الداعم للسيد المدير العام، ونهنئه بثقة هذا المجلس الموقر، كما ونجدد لكم شخصيّاً، السيد الرئيس، الشكر على الحكمة والفاعلية التي تديرون بها جلسات مجلسنا هذا.

-٥-

[الدورة ١٧٤ للمجلس التنفذي ]

**السيد الرئيس**

لاشك أن العالم يعيش وضعاً دولياً صعباً، وبالأخص في منطقة الشرق الأوسط التي لا يمر يوم إلا وتشهد عشرات القتلى والجرحى بسبب الاحتلال والعنف والإرهاب، مما سبب تراجعاً كبيراً في إعمال مبادئ ناضلت من أجلها الإنسانية طويلاً كاحترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، وتراجُع القيم الأخلاقية المشتركة لتحل محلها قوى العنف والبطش والانتقام، وهذا وضع يهدد قيم التسامح والتعايش وينذر بموجة جديدة من انتهاك القوانين الدولية. إن هذا الوضع يستدعي من منظمتنا بذل المزيد من الجهود من أجل إحلال السلام والعدل وأن يعم الاستقرار في المنظمة والعالم معاً، ما من شأنه تعزيز التعاون والحوار بين الشعوب بمختلف مشاربها وحضاراتها وثقافاتها وعقائدها الدينية.

**السيد الرئيس**

لقد سبق أن أشرنا في كلمتنا في الدورة ١٧٠ عام ٢٠٠٤ إلى تعاظم دور الخبر المقترن بالصورة حقيقية كانت أم مزيفة في وسائل الإعلام المقروءة والمرئية وعلى شبكة الإنترنت وما تحمله أحياناً من إساءة إلى

القيم الإنسانية. ونذكّر هنا بأننا قد دعونا اليونسكو إلى الاضطلاع بدور أساسي في التفكير بإيجاد آلية جديدة تزدهر فيها حرية التعبير وتُحترم في الوقت نفسه القيم الإنسانية السمحة، وكما دعونا السيد المدير العام إلى تكليف قطاع الاتصال بالتعاون مع القطاعات الأخرى، ومنها قطاع العلوم الاجتماعية والإنسانية بالتفكير في صياغة مبادرة لوثيقة تدرس الأضرار القائمة والمحتملة من جرّاء إساءة استخدام وسائل الإعلام والتكنولوجيا الجديدة. وها هي وسائل الإعلام اليوم تواصل الاتجاه نفسه بنشرها مؤخراً الرسوم الساخرة (الكاريكاتورية) المسيئة للنبي الكريم محمد ﷺ. وفي هذا المقام، اسمحوا لي أن أجدد موقف الجمهورية اليمنية من قضية الرسوم الساخرة (الكاريكاتورية) المسيئة للنبي محمدﷺ. إذ نعبر عن استيائنا من تلك الرسوم التي تنم عن نَفَس عنصري، وتدعو إلى كراهية الأديان والرموز الدينية، وكنتيجة طبيعية كراهية الآخر من ناحية، والتطرف الإعلامي من ناحية أخرى. وقد سبق لنا، بالنيابة عن مجموعة منظمة المؤتمر الإسلامي لدى اليونسكو أن عبرنا من خلال مداخلة إلى المجلس التنفيذي في اجتماعه الإعلامي عن خطورة هذا الانحراف الإعلامي الذي يبث مشاعر الكراهية والحقد بين الشعوب، ودعوا منظمتنا العتيدة اليونسكو أن تتخذ موقفاً حازماً من هذه القضية التي تهدد ما بنته المنظمة نفسها من أطر للحوار بين الثقافات والحضارات خلال العقود الماضية. وإذ نؤكد هنا على حرية التعبير كمبدأ وحق إنساني، فإننا ندعو في الوقت نفسه إلى احترام الآخر ورموزه الدينية والثقافية، مما يكفل نشر روح التسامح والاحترام، كما ندعو اليونسكو إلى إشراك وسائل الإعلام في حوار الحضارات، بحيث لا يبقى هذا الحوار محصوراً على فئة من النخبة المثقفة، وإنما يمتد إلى قنوات الاتصال والتواصل، وإلى فئات الشباب في المجتمع وصفوف الدراسة.

**السيد الرئيس**

أما فيما يخص برنامج اليونسكو لدعم اللامركزية سبق لنا أن دعونا في الدورة ١٧٢ للمجلس التنفيذي إلى القيام بدراسة المراحل المنجزة في طريق اللامركزية، بحيث يقع استنتاج الجوانب الإيجابية لهذه السياسة ومحاولة تفادي العيوب التي تقع بها بعض الجهات المنفذة لها. ونحن ندعو في هذا الصدد إلى وقفة متأنية، وتقويم المراحل المنجزة من برنامج اللامركزية، على أن يكون هذا البرنامج مصحوباً بآلية الشفافية والمساءلة، وأن يكون للوفود المعتمدة لدى اليونسكو معلومات مفصلة، كل فيما يخص بلده، مصدرها المكاتب الميدانية والسكرتارية المركزية لليونسكو.

وفيما يتعلق بالبرنامج والميزانية، فقد سبق أن عبرت بلادي عن دعمها لمشروع البرنامج والميزانية المقدمين من قبل المدير العام اللذين أقرهما المؤتمر العام في دروته ٣٣، لكي تتمكن اليونسكو من تحقيق برامجها في البلدان النامية، وعلى وجه الخصوص برنامج التعليم للجميع وبالذات في البلدان الأقل نمواً. فاليمن ترحب بالتقرير المشترك للمدير العام عن تنفيذ البرنامج والميزانية والنتائج المحرزة في فترة العامين السابقين. كما ترحب بالجدول الزمني لإعداد مشروع الاستراتيجية المتوسطة الأجل للفترة ٢٠٠٨ - ٢٠١٣، وكذلك مشروع البرنامج والميزانية للعامين القادمين، وندعم سياسة المدير العام في مجال الموارد البشرية ونوافق على مقترحه بهذا الخصوص، وكذا بفكرة دمج الأمانتين للمؤتمر العام والمجلس التنفيذي.

**السيد الرئيس**

**السيدات والسادة**

لم يمنع الاحتلال والظلم الشعب الفلسطيني من ممارسة الديمقراطية على أكمل صورها، وذلك بإرساء أهم قواعدها الديمقراطية، وأثبت للعالم بأن هذا الشعب يتوق إلى حياة كريمة على أرضه. وبالرغم مما يعانيه هذا الشعب من احتلال وقتل وهدم للمنازل وتشريد أهلها، إلا أن ذلك لن يثنيه عن ممارسة حقه الديمقراطي في سبيل بناء دولة ديمقراطية حديثة، لكن هذه الدولة الحديثة تحتاج إلى مساندة من المجتمع الدولي، وفي مقدمته منظمة اليونسكو والتي ندعوها إلى مواصلة دعمها للشعب الفلسطيني، والقيام بدور أكثر فاعلية لوقف النزاع في تلك المنطقة ليحل الأمن والسلام العادلان.

كما أننا ندعو المدير العام إلى اتخاذ الإجراءات المناسبة لتنفيذ تطبق الفقرة ١٤ من القرار ٣٢/ ٥٤ والمتعلقة بالمؤسسات التعليمية والثقافية في الجولان السوري المحتل والحفاظ على النسيج البشري والاجتماعي والثقافي في تلك الأراضي العربية المحتلة.

**السيد الرئيس**

**السيدات والسادة**

نود أن نلفت عنايتكم إلى مشكلة الجفاف الذي يجتاح الصومال وجيبوتي ومنطقة القرن الإفريقي عامة، والذي يذهب ضحيته كثير من سكان المنطقة وخصوصاً الأطفال. ولذا، فإننا ندعو اليونسكو أن تكون السباقة في القيام بمساعدات عاجلة لسكان تلك المنطقة المنكوبة، للحيلولة دون المزيد من تدهور الأوضاع هناك بسبب الجفاف والأوضاع

السياسية أيضاً، والتي تبذل اليمن الكثير من أجل استقرارها - كما تعلمون -.

**السيد الرئيس،**

وفي الختام، أكرر لكم الشكر وللسيد رئيس المؤتمر العام والسيد المدير العام والأمانة العامة وكل من شارك في إنجاح أعمال هذه الدورة، متمنياً للجميع النجاح في سبيل تحقيق الأهداف السامية لمنظمتنا.

**السيد الرئيس**

أود في هذا المقام الجليل أن أنقل إلى مجلسكم الموقر فحوى التقدم الديمقراطي الإيجابي الذي شهدته بلادي اليمن خلال الفترة القليلة الماضية، والذي تمثل في إجراء الانتخابات الرئاسية والمحلية بالاقتراع الحر المباشر في إطار من الشفافية والتعددية، وفي ظل رقابة محلية وإقليمية ودولية، ومن الاتحاد الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية خاصة، إذ قارب عدد المراقبين خمسين ألف مراقب ومراقبة من الأحزاب المعنية بالانتخابات ومن منظمات المجتمع المدني. وجاءت نتائج الانتخابات ونتاج المراقبة منسجمة مع تطلعات الشعب اليمني ورغبة المجتمع الدولي، لتأكيد مستوى الممارسة الديمقراطية التعددية.

إن فوز المرشح علي عبد الله صالح رئيساً للجمهورية اليمنية بولاية جديدة عمادها الاختيار الحر والتنافس النزيه، ليؤكد أن مسار الديمقراطية اليمنية ينمو باضطراد في اتجاه تأكيد مبدأ المشاركة الشعبية الواسعة والتداول السلمي للسلطة. وأهم ما يمكن ذكره أمامكم هو أن الديمقراطية في اليمن قد اجتمع لها في آن معاً ميزتان هامتان هما: تمتين الاستقرار والأمن من ناحية، والإجماع الشعبي القائم على حرية القناعة في الاختيار

من ناحية أخرى. ولا شك أن هذا النجاح يضع المجتمع الدولي أمام مسؤولية أخلاقية كبيرة، بحيث أنه صار مدعوّاً، أكثر من أي وقت مضى، إلى مساندة اليمن في مسيرتها في مجالات التنمية. ونرى أن اليونسكو هي المنبر المناسب للتعريف بهذه التجربة الفريدة والمتميّزة في المنطقة. ولا سيما أن اليمن يحتاج إلى دعم خططه في مجالات التنمية الثقافية والتعليمية والحريات العامة، وهي في صميم اختصاص عمل هذه المنظمة.

**السيد الرئيس**

للأسف أن يأتي انعقاد هذه الدورة بعد صيف عاصف مضطرب عاشته منطقة الشرق الأوسط في ظل حرب ضروس على الشعب اللبناني الشقيق، هذا الشعب الذي يمثل بتعدديته الدينية والثقافية والفكرية وأطيافه السياسية نموذجاً رائعاً لتعايش التنوع. فقد تعرضت المدارس وأطفال المدارس، والمواقع الأثرية وزوارها، ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة، ودور الطباعة والنشر المشهورة إلى التدمير الهمجي مما أضرَّ إضراراً كبيراً بهذه المرافق التي تدخل ضمن ولاية اليونسكو واهتماماتها. وليس لدينا سيدي الرئيس من شكّ أن اليونسكو تعمل اليوم على معالجة آثار هذا العدوان، لكننا نظن أن مهمتها كذلك لا تبدأ بعد الدمار، لكنها يجب أيضاً أن تسبق نوايا المحاربين، وأن تتصدى للميولات العدوانية لدى بعض الدول الأعضاء الذين يعيشون بالحرب وإشاعة الاضطراب والفوضى في مجتمع آمن.

إننا في اليمن قد عملنا ما بوسعنا للوقوف مع أطفال لبنان في محنتهم أمام آلة الحرب الغاشمة الجبّارة، وندعو المجتمع الدولي إلى وقفة صادقة مع الذات، وفهم أكثر للوضع الصعب الذي يعيشه طلاب المدارس

وجرحى الحرب والمشردون بمئات الآلاف في هذا البلد وأشقائه بفلسطين المحتلة.

**السيد الرئيس**

إن الحوار بين الحضارات كما سبق أن أشرنا في أكثر من مقام ينبغي أن يمتد إلى ميادين متنوعة، وأن يمس شرائح مختلفة. إن محاولات تأجيج العداوات التاريخية أو الدينية أو العرقية أو الثقافية لن يعود بالضرر على طرف دون آخر وإنما - وبحكم طبيعة التداخل الديني والثقافي - سيضر كل الأطراف المعنية، بل إنه قد يمتد في ظل تقارب المسافات إلى أرجاء مختلفة من العالم، وبهذه المناسبة نودّ التأكيد أن اليونسكو هي المكان الأنسب لقيام حوار لا يقتصر على المثقفين، وإنما يمتد إلى شرائح الشباب والنساء والعاملين في ميدان الإعلام وحقول التربية والتعليم وإلى تلك الزوايا التي لم يطلها نور الحوار وفوائده. إن الدعوات إلى البغضاء والكراهية يجب أن تدان بقوة مهما كانت مصادرها وأسسها التاريخية والإيديولوجية. وإن الحوار هو شرط إنساني يجب تشجيعه وتوسيع نطاقه.

**السيد الرئيس**

إن إصلاح نظام التعليم يجري في مناطق مختلفة من العالم، لكنه في الوطن العربي والبلدان الأقل نمواً يكتسب أولوية قصوى بحكم الوضع الصعب الذي صار إليه. ولما كانت اليونسكو هي التي تقود الإشراف على برنامج التعليم للجميع، وقد حققت إلى الآن نتائج طيبة، وإن كانت دون ما يطمح إليه الكثير، فإننا نقترح أن تُولى قضية تأهيل المعلمين أولوية قصوى، باعتبار المعلم هو مصدر المعرفة التربوية وموجهها والمتحكم في مساقها سلباً وإيجاباً. وتظل أولوية النظر إلى هذه القضية متباينة إلا أن

هناك إجماعاً على أولويتها. ومن هذا المنطلق، فإننا ندعو اليونسكو إلى أن تتبنى مبادرة لتأهيل المعلمين في الدول العربية وفقاً للأولويات والأهداف التي يمكن تحديدها، وتمتد هذه المبادرة للفترة من ٢٠٠٨ - ٢٠١٥. والاهتمام بتأهيل المعلمين يفيد ميادين مثل محو الأمية والتعليم العالي والجودة في التعليم، وكلها تصب في خاتمة المطاف في تحقيق أهداف الألفية كما حددت عام ٢٠٠٠م. أما الاستراتيجية متوسطة الأجل (م٤) ومشروع الميزانية (م٥)، فإننا ندعو إلى تأكيد أهمية القدرة على تلبية الاحتياجات ذات الأولوية في المرحلة القادمة، مع أهمية أن تجد اليونسكو مَصادرَ مالية كافية ضمن ميزانيتها الأساسية حتى تتمكن من تقديم رؤية واضحة لبرنامج عملها. وعليه فإننا ندعم اقتراحات المدير العام ونبارك توجهاته في تفعيل دور المنظمة وبرامجها.

**السيد الرئيس**

وفي الختام، أكرر لكم الشكر وللسيد رئيس المؤتمر العام والسيد المدير العام والأمانة العامة وكل من شارك في إنجاح أعمال هذه الدورة، متمنياً للجميع النجاح في سبيل تحقيق الأهداف السامية لمنظمتنا.



- ٦ -

[الدورة ١٧٥ للمجلس التنفيذي المنعقد صباح ٢٠٠٦/١٠/٣م]

اسمحوا لي في البداية أن أضم صوتي إلى من سبقني في الشكر للسيد زانج إكسينشينج رئيس المجلس التنفيذي والسيد كوتشيرو ماتسورا مدير عام منظمة اليونسكو والأمانة العامة على جهدهم في الإعداد لهذه الدورة التي تكتسي طابعاً مميزاً بسبب دقة المواضيع التي تعالجها.

**سيدي الرئيس**

لقد كان للزيارة التي قام بها السيد كوتشيرو ماتسورا مدير عام اليونسكو إلى اليمن في شهر كانون الأول (ديسمبر) العام الماضي ٢٠٠٦ سعادة بالغة وأثر إيجابي في نواحي متعددة، حيث استعاد الناس في اليمن ذكرى حضور اليونسكو المميّز، وأسعدهم أن مديرها زار معظم المواقع التراثية ذات الأهمية التاريخية والثقافية والطبيعية، ولا سيما جزيرة سقطرة التراث الطبيعي الفريد في هذا الجزء من العالم. كما التقى بكافة شركاء اليونسكو وعلى رأسهم فخامة الرئيس علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية. وحظي ملف التعليم بأولوية خاصة؛ حيث تم التوقيع بين المنظمة وبلادي على برنامج تأهيل المعلمين الذي نعلق عليه أهمية خاصة، وندعو السيد المدير العام إلى سرعة اتخاذ خطوات تنفيذية لوضع هذا البرنامج موضع التنفيذ.

**سيدي الرئيس**

أما فيما يخص الاستراتيجية المتوسطة الأجل (م٤)، فإننا نعرب عن شكرنا للمدير العام على مشروع النص المقترح علينا، ونودّ أن نؤكد أن موقف الجمهورية اليمنية ينبع من حرصها على أن تأتي هذه الاستراتيجية أولاً واضحة وثانياً مختصرة، بما يسهل فهمها وتصور آليات تطبيقها. وعليه، فإن المشروع الذي أطلعنا عليه بحاجة إلى بعض التهذيب والتشذيب مما يجعله قريباً من فهم المعنيين بعمل اليونسكو، وأن تترك التفاصيل لوثيقة البرنامج والميزانية (م٥). وفي هذا الصدد، فإن اليمن تدعم المواقف الداعية إلى اختصار الأهداف الاستراتيجية عدداً وصياغة، والتوصل إلى استراتيجية مرنة من حيث محدداتها الزمنية وفحواها وآليات تنفيذها، وأن تراعي التغييرات التي تجري في الأمم المتحدة وفي نطاق اليونسكو نفسها.

وعليه، نقترح أن تعدّل فترة الاستراتيجية إلى أربعة أعوام عوضاً عن ستة أعوام، وهذا التعديل ينسجم مع مدة ولاية المدير العام المعدلة إلى أربع سنوات أيضاً، كما أنه سيجعل الفترة المتبقية من الآن حتى ٢٠١٥ مدة كافية لإيجاد استراتيجيتين متوسطتي الأجل تواكبان برنامج التعليم للجميع وأهداف الألفية. كما أن مدة أربع سنوات ستتيح من ناحية أخرى إيجاد استراتيجية متفق عليها للفترة القادمة التي قد تشهد كثيراً من التحولات في اليونسكو، وفي منظمة الأمم المتحدة. وتحتفظ الاستراتيجية في هذه الحالة بميزتها عن البرنامج والميزانية المحددة بعامين والذي نؤكد على أهمية إبقائه في نطاق هذه المدة.

أما فيما يتعلق بسياسة إصلاح اليونسكو، فإن التجربة قد أظهرت التعثر العملي لبعض مراحل الإصلاح، وذلك بسبب غياب التشاور الواسع

والمسبق لأي إجراء قد تكون نوايا القيام به جيدة، لكن تأتي النتائج مخيّبة للآمال. من هذا المنطلق فإننا ندعو إلى توسيع المشاركات للدول الأعضاء في عملية الإصلاح تصوّراً ومساراً وتقويماً. لقد سبق لبلادي أن تحدثت عن سياسة الإصلاح وبالأخص اللامركزية، وأبدت تحفظها على بعض وجوه هذه السياسة، حيث إن التواصل مع مكاتب اليونسكو الإقليمية أصعب كثيراً من التواصل مع المركز الرئيسي للمنظمة، وفاعلية العمل في هذه المكاتب أقل بكثير عنه في المركز، بل إن بعض المكاتب (مكتب بيروت مثلاً) لا تعمل كمكاتب جامعة، وهي أقرب إلى المكاتب الوطنية، وربما دون ذلك، وندعو المدير العام بهذه المناسبة أن يحث هذه المكاتب على رسم سياسة تواصل واضحة ومحددة مع البلدان المعنية بما يحقق المصلحة المشتركة.

**السيد الرئيس**

**السيد المدير**

لابد أنكم لاحظتم كثرة الحديث عن علاقة اليونسكو بالسياسة، وبهذا الصدد، نودّ أن نؤكّد أن اليونسكو يجب أن تعمل ضمن اختصاصها الرامي إلى حفظ الأمن والسلم الدوليين كما جاء في ميثاقها التأسيسي، ومن هذا المنطلق يجب أن تكون اليونسكو سباقة في مبادراتها لاجتناب كل ما يعكر الأمن والسلم في أي مكان في العالم. وبناء عليه، نجدد التمسك بأهمية أن يكون لهذه المنظمة مواقف واضحة من القضايا التي يتداخل فيها الشأن السياسي مع كل من الشأن الثقافي والتربوي والعلمي والإعلامي. ولا يصحّ أن تتخاذل المنظمة باسم شكل من أشكال السياسة عن التصدي للدفاع عن مهامها. فالسياسة شأن عام لا يمكن فصله عن بقية شؤون الحياة، ومن ضمنها اختصاصات اليونسكو، حيث إن الذي

نلاحظه هو دفع المنظمة باسم عدم التسييس إلى شكل من أشكال التسييس أكثر خطراً وأشد ضرراً لها ولأعضائها. وهو سلوك موجّه ضد السلم والأمن في منطقة هي الأحوج إلى المعالجات في نطاق مهام اليونسكو التي «تبني حصون السلام في عقول البشر».

إن منطقة الشرق الأوسط تعيش لحظات صعبة من حيث المخاطر التي تهددها، وتهدد معها السلام العالمي. فالأراضي العربية المحتلة في فلسطين والجولان السورية والعراق بحاجة إلى جهود اليونسكو في مجالات اختصاصها. وأمام اليونسكو ساحة واسعة تعمل فيها، فالتعليم العام، ومحو الأمية، والتعليم الفني والمهني، ونقل التكنولوجيا وتحديث منظومة التعليم كلها آفاق عمل كبيرة يمكن أن تسهم فيها اليونسكو بشكل واضح، وبالقدر نفسه، فإن هذه الثقافة التي تزخر بها المنطقة العربية بأشكالها المتنوعة هي ساحة أخرى يجب أن يطالها اهتمام المنظمة ويحميها من عبث الاحتلال وأي مخاطر تهددها.

وهكذا فإن اليونسكو تسهم في نطاق منظومة الأمم المتحدة في تدعيم أهم مطلب كوني يتمثل في درء المخاطر التي تعكر الأمن والسلم الدوليين.

**السيد الرئيس،**

إن اليونسكو مدعوّة إلى تطبيق سياسة واضحة إزاء أي انتهاك للاتفاقيات والمواثيق المودعة لديها والمكلفة بالسهر على حمايتها، وعليها أن تبتعد عن سياسة الكيل بمكيالين إزاء أي خرق لأي اتفاقية دولية في التراث أو الثقافة أو غيرها. وليس هناك دول خارج القانون الدولي كمنظومة عالمية متفق عليها.

**في الأخير السيد الرئيس**

لابد أن نعرب عن شكرنا لكم على حسن إدارة مجلسنا وعلى حكمتكم

في معالجة القضايا التي يتصدّى لها المجلس التنفيذي، وسوف تجدون اليمن إلى جانب حكمتكم بما يحقق نجاح عمل مجلسنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



- ٨ -

[الدورة ١٧٧ للمجلس التنفيذي صباح يوم الثلاثاء ٢/١٠/٢٠٠٧م]

**السيد الرئيس**

في البداية نودّ أن نعبر لكم شخصياً عن تقديرنا للنجاح الكبير الذي تحقق تحت إدارتكم لمجلسنا خلال العامين الماضيين، وتمكنكم من حل ما طرح من قضايا ومشاكل في إطار من التوافق، وبروح تسودها المودة والحرص على مستقبل عمل المنظمة في جو من الوفاق والتراضي، وقد كنا دوماً إلى جانب هذه السياسة الحكيمة والعملية مساندين وداعمين.

**سيدي الرئيس**

لقد تتبعنا تقرير السيد المدير العام، ونود شكره مرة أخرى على حسن تسييره لأعمال المنظمة، وقدرته على معالجة الثغرات الناتجة عن محدودية الإمكانات قياساً بالمهام والأعمال التي تتطلع الدول الأعضاء في اليونسكو إلى أن تقوم بها المنظمة في مجالات التربية والثقافة والعلوم والاتصال.

**سيدي الرئيس**

لقد تعددت وجهات النظر حول الاستراتيجية متوسطة الأجل، وكنا ندافع عن فترة أربع سنوات كمدة تتناسب مع ولاية السيد مدير عام

اليونسكو، وقد وافق قناعتنا ما توصل إليه مجلسنا الموقر باعتماد استراتيجية لفترة ست سنوات مع إمكانية النظر فيها دورياً وإضفاء طابع المرونة على صياغتها بما يحقق مواجهة المتغيرات الإدارية والمالية التي ستجري في نطاق المنظمة خلال الفترة القريبة القادمة. وبهذه المناسبة، نؤكد دعمنا لتصور ميزانية تحقق أهداف الاستراتيجية وتمكن المنظمة من الحفاظ على مكانتها بوصفها وكالةً رائدة في مجال تحقيق أهداف الألفية بشأن التعليم للجميع على وجه الخصوص، ونؤيد ما توصل إليه الفريق المشكل ضمن مجلسنا لإعداد الصيغة النهائية للوثيقة الخاصة بهذا الموضوع.

**سيدي الرئيس**

نود أن نضع المجلس الموقر في صورة أن اليمن - وإن كانت جغرافياً في آسية إلا أنها من حيث الخصائص الاقتصادية والتنموية - يمكن أن تصنف ضمن مناطق الأولوية التي تقع غالباً في القارة الإفريقية، وعليه فإننا نتطلع أن تحظى بلادنا بدعم برامجها في مجالات التعليم والثقافة والإعلام بما يحقق أهداف المنظمة، وهذا يقتضي تضافر الدعم الدولي والإقليمي لصالح البلدان الأقل نمواً، ومنها بلادنا. ونخص بالتحديد موضوع التربية الذي حرصت بلادي على الاهتمام به بالذات، وبمساندة منظمة اليونسكو تجري عمليات تدريب وتأهيل المعلمين في اتجاه تجويد مخرجات التعليم العام، ومحاولة تحقيق أهداف الألفية.

**سيدي الرئيس**

إن اللامركزية هي حجر الزاوية، وفي ظل التوجه الذي بدأته المنظمة للانخراط في المبادرات المشتركة للأمم المتحدة، ومن هذا المنطلق نحث اليونسكو على أهمية العمل الميداني على المستوى القطري بحيث

يتعزز الاتصال المباشر بين المنظمة والبلدان المستفيدة من دورها. وقد تم مؤخراً فيما يتعلق بالمنطقة العربية استحداث مكاتب ذات طابع قطري، وإن كانت لظروف خاصة (السودان والعراق) ونأمل الاستمرار في هذا التوجه في البلدان التي تبرز الحاجة لوجود اليونسكو على المستوى القطري - ومنها بلادنا - لأسباب عملية وبما يلبي أداء وظيفتها في ميادين اختصاصها، ويعزز مسار اللامركزية، ويتوافق مع الاتجاه الدولي لتواجد منظمات الأمم المتحدة على مستوى القطر الواحد.

**سيدي الرئيس**

لقد حفل جدول أعمال هذه الدورة بعدد من المواضيع الهامة، ومنها ما يهم الشرق الأوسط، سواء ما يخص المسلمين والأراضي العربية المحتلة أم قطري العراق ولبنان. ونقدر عالياً لليونسكو الدور الذي تقوم به في هذه المنطقة. ونود أن نعرض على المجلس الموقر موضوع مساندة اللاجئين العراقيين الموجودين في الجمهورية العربية السورية والأردن، وكذا في البلدان التي استقبلت عدداً من هؤلاء المهجّرين تحت وطأة العنف والاحتلال، ولا سيما الطلاب في مستويات التعليم المختلفة. لكن خصوصياتهم في سورية هو العدد الكبير، وفتح الحكومة السورية لهم أبواب مدارسها ومعاهدها مما أثقل كاهلها. وهذا الموضوع في صلب عمل المنظمة، ويكتسي طابعاً طارئاً وعاجلاً، ونتائجه فيما يتعلق بصورة المنظمة ودورها ذات أثر إيجابي في المدى القصير والبعيد.

وفي جميع الحالات فإن قضايا هذه المنطقة سواء في مجال التعليم أو في مجال المياه يجب أن تحظى بأولوية خاصة في برامج اليونسكو.

**سيدي الرئيس**

إن اليمن - وهي تشارك في هذه الدورة الأخيرة من ولاياتها بالمجلس

التنفيذي - تشكر كل من تعاون معها في إنجاح أعمال المجلس، وتعرب عن رضاها الكبير لما تم إنجازه خلال السنوات الأربع الماضية، وهي تترك هذا المقعد إيماناً منها بأهمية التداول على خدمة المنظمة والمجموعة الانتخابية التي تنتمي إليها، وتأكيداً على حرصها لأهمية التناوب وتتمنى للبلدان المرشحة للمجلس التوفيق في مسعاها القادم.

هذا وفي الأخير أود أن أكرر الشكر للسيد رئيس المجلس التنفيذي وسكرتارية اليونسكو، وعلى رأسها السيد المدير العام، وكل الذين سهلوا عمل هذا المجلس، وندعو لهم بالتوفيق في الترتيب للمؤتمر العام الرابع والثلاثين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



# ملحقات

١- وثيقة رسالة هامة من الإمام أحمد إلى اللواء نجيب رئيس جمهورية مصر

٢- كتاب جديد (مسودات أملاك خمسة أئمة وورثتهم)

(من ١١٦١-١٢٥١ هـ الموافق ١٧٤٨ - ١٨٣٥م)

٣- البيان الختامي للمؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية

٤- عرض لكتاب: مصادر التراث اليمني ( الطبعة الثانية)

٥- أبحاث في السياسة والتاريخ اليمني

٦- إشهار «مؤسسة اليمن للثقافة والتراث» في ١١/٥/٢٠٠٦م

٧- إعلان تأسيس منتدى جسور الثقافة(النظام الأساسي للمنتدى)

٨- تشكيل منتدى: أصدقاء الكتاب

٩- تدشين مركز سبأ للدراسات الاستراتيجية

# ملحق (١)

# (وثيقة)

## العلاقة المبكرة للإمام أحمد بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م

رسالة هامة من الإمام أحمد حميد الدين إلى رئيس جمهورية مصر اللواء محمد نجيب رداً على الرسالة التي حملها إليه مبعوث الثورة المصرية الصاغ [مقدم] صلاح سالم وزير الإرشاد القومي ووزير الدولة لشؤون السودان.

وقد كان في استقباله ومرافقته في تعز القاضي محمد بن عبد الله العمري وزير الدولة وكيل وزارة الخارجية آنذاك (ت ١٩٦٠م) وهو محرر هذه الرسالة الرد، التي اقترح أن يكتبها بخطه الجميل المرحوم القاضي حسين مطهر. وقد وافق الإمام أحمد على ذلك مشترطاً أن تكون بخط سميك (بجيل!).

وننشرها هنا للمرة الأولى في ذكرى ٢٣ تموز / يوليو المصرية، وعلاقة الإمام أحمد المبكرة بقادتها من نجيب إلى جمال عبد الناصر.. (والأصل محفوظ في المركز الوطني للوثائق).

**العمري**

## بسم الله الرحمن الرحيم

**إلى الأخ العزيز صاحب الفخامة اللواء أركان حرب الرئيس محمد نجيب**
**رئيس جمهورية مصر المفخم**

سلام الله ورحمته وبركاته، وبعد فنسأل الله العلي القدير أن يمتعكم بكامل الصحة وموفور السعادة والهناء.

ولقد استلمنا بمزيد من الغبطة والتقدير العميق رسالة الأخ الكريم الأخوية من يد ولدنا السيد الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومي ووزير الدولة لشؤون السودان. ولقد كان لما انطوت عليه الرسالة من العواطف النبيلة والأهداف السامية المشتركة أطيب الأثر لدينا، كما ازداد السرور والارتياح باجتماعنا بحامل الرسالة ومندوب البلد الشقيق وحكومته الموقرة فنزل أهلاً ووطئ سهلاً، وأدينا بعض ما يليق به من الترحاب والتكريم لشخصيته الفذة وللحكومة الصديقة والشعب الشقيق. وفي حديثه معنا تجلت فيه روابط الأخوة وأواصر الود والمحبة، وكانت تلك الرغبة الصادقة التي أشاد بها وأعرب عنها في تقوية الأواصر والتضامن بيننا وتلك المساعي المبذولة لاتحاد كلمة العرب والمسلمين بما يعود على الجميع بالعزة والخير العام من المبشرات التي تبعث على التفاؤل لتحقيق الآمال. وإننا لنؤكد لسيادة الأخ أن كل ذلك بغيتنا ومن أهدافنا التي لا نحيد عنها وإن في الاتحاد لقوة، والمرءُ قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخوانه وذلكم أوضحناه بلساننا لولدنا الصاغ صلاح سالم.

وبهذه المناسبة نود أن نبادلكم الرغبة والشوق في تبادل الزيارة والاجتماعات النافعة، كما يطيب لنا الإشارة إلى رغبتنا في تلبية دعوتكم الكريمة لزيارة مصر؛ بإرسال ولدنا سيف الإسلام محمد البدر ليشترك في حفلات العيد الوطني في الذكرى الثانية لدولتكم الفتية.

سائلين الله تعالى لكم التوفيق والعز والسؤدد وللشعب المصري دوام السعادة والرفاهية والهناء في ظل العهد الجديد.

وتقبلوا تحياتنا ختاماً

حُرر في قصر صَالة بمدينة تعز في اليوم الثاني من ذي القعدة سنة ١٣٧٨ هـ الموافق ٨ تموز / يوليو ١٩٥٤ م.

[illegible]

بسم الله

الى الاخ العزيز صاحب السعادة اللواء اركان حرب الرئيس محمد نجيب رئيس جمهورية مصر المعظم

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد فنسأل الله العلي القدير ان يشملكم بكامل الصحة وموفور السعادة والهناء

ولقد استلمنا بمزيد الغبطة والتقدير العميق رسالة الاخ الكريم الاخوية بيد مندوبنا السيد الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد القومي ووزير الدولة لشئون السودان . ولقد كان لما انطوت عليه الرسالة من السمو والعطف النبيل والاهداف السامية المشتركة الطيب الاثر لدينا لازدياد السرور والارتياح باجتماعنا بحامل الرسالة ومندوب البلد الشقيق والحكومة الموقرة فنزل اهلا ووطئ سهلا واوضحنا بعض ما يليق بمقام صاحب الكريم لشقيقه الشعب والحكومة الوطنية والشعب الشقيق . وفي حديثه معنا تجلت فيه صحيح [illegible] الاخوة واسمى الود والمحبة وكانت تلك الرغبة الصادقة التي اشاد بها واوضحها في تقوية الاواصر والتضامن بيننا وذلك الاساس المتين لاتحاد كلمة العرب والمسلمين جميعا وعلى الجميع بالعزة والخير العام [illegible] التي تبعث التفاؤل لتحقيق الآمال وانا نؤكد لسيادة الاخ ان كل ذلك [illegible] وعن [illegible] بغيتنا ومن اهدافنا التي لا نحيد عنها وان في الاتحاد لقوة والمركز بفضل منه كثير باخوانه وذلك ما اوضحناه بلساننا لمولانا الصاغ صلاح سالم وبهذه المناسبة نود ان نبادلكم الرغبة والشوق في تبادل الزيارة والاجتماع الشخصي كما يطيب لنا الاستجابة الى رغبتنا في تلبية دعوتكم الكريمة لزيارة مصر بارسال ولدنا سيف الاسلام محمد البدر ليشترك في حفلات العيد الوطني في الذكرى الثانية لدولتكم الفتية

سائلين الله تعالى لكم التوفيق ودوام العز والسؤدد وللشعب المصري دوام السعادة والرفاهية والهناء في ظل العهد الجديد . ونقبلوا تحياتنا وختاما

حرر في [illegible] [illegible] الرابع [illegible]

## ملحق (٢)

# مسودات أملاك خمسة أئمة وورثتهم

المهدي عباس، المنصور علي، المتوكل أحمد المهدي عبد الله بن المتوكل أحمد وابنه علي بن المهدي (١١٦١ ـ ١٢٥١هـ الموافق ١٧٤٨ - ١٨٣٥م).

في مجلد ضخم تزيد صفحاته عن ألف صفحة صدر حديثاً عن دار الفكر والمعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، كتاب الدكتور العمري الوثائقي النادر بمقدمة للمستشرق الفرنسي الكبير البروفسور جان بول باسكوال خلص فيها «.. بأن هذه الوثائق المحققة في كتاب الدكتور حسين العمري ستقدم فائدة كبرى في تشجيع كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في اليمن..».

أما مدير المعهد الدكتور جان لامبرت فقد ذكر في (توطئته): بأن المعهد الفرنسي: «يَسُرُّهُ أن البروفيسور حسين العمري الباحث والمحقق المعروف للنصوص شرّفنا أن يشارك المعهد في ظهور هذا العمل الجميل...».

وفيما يلي مقدِّمة المحقق لهذا السِّفر التاريخي الفريد في بابه.

# بين يدي الكتاب

أستميح القراء والباحثين الكرام عذراً إذ أزعم أن هذه الوثائق - الإرثية - لخمسة أجيال من الأئمة الحكام في اليمن التي أنشرها لهم محققة، هي أول بحث تاريخي وثائقي ثمين في بابه، بل ربما تعد واحداً من أبحاث معدودة في الدراسات التاريخية العربية الحديثة فيما يعرف بـ(التاريخ الاقتصادي والاجتماعي) الذي قطع في الغرب شوطاً بعيداً، وبدأ الاهتمام به في الوطن العربي حديثاً، وأخذ يتنامى.

هذا الادعاء قائم على أساس تعذّر الحصول على مثل هذه الوثائق المتسمة بالأصالة والفرادة بتسلسلها التاريخي لخمسة أجيال من أسرة واحدة، في حقبة زمنية امتدت نحو قرن. وهي ليست مجرد سجل أو قيد ملك أو إرث فلان من أولئك الأئمة الحكام أو ورثته، بل هي أيضاً منجم زاخر بالمعلومات التي يمكن للباحثين والمعنيين الإفادة منها في جوانب كثيرة من البحث، تتجاوز معرفة حصر تركة والد (إمام) منهم، وكم كان له من الأبناء، وما صار لكل واحدٍ منهم من بَعده، وهذا لاشك مفيدٌ في حدّ ذاته، وسنشير إلى أهميته، لكن المهم كذلك هو معرفة التبدلات والتغيرات التي طرأت على قيمة الثروة من المنقول[1] ومن العقارات كالدُّوْر والأراضي والمياه (الغيول) خلال انتقال ملكيتها ومن ثم تبددها

---

(١) تمثل الوثيقة (المسودّة) الثالثة مصدراً ثميناً للإرث المنقول من فرش وأسلحة وكتب وحُلي وهو ما لا نجده في غيرها.

أو حتى في ثبات أو تغير الأسعار والأسماء والأماكن والمواضع مع مرور الزمن.. ونحو ذلك..

أما الأساليب والصيغ الشرعية في التسجيل والتقسيم وتحرير ذلك وأمثاله في هذه الوثائق أو «المسودات» فهي من الأمور الجديرة بالتأمل والمعرفة، بل والمقارنة، لما كان شائعاً وهل تطورت أو تغيرت بعد ذلك؟

لقد اعتمد العثمانيون - على سبيل المثال - سجلات للمحاكم الشرعية في الولايات العربية في (بلاد الشام ومصر، بل واليمن[١]) وقد توخيت فيها الدقة والتحرير فباتت بعض تلك السجلات مادة بحث ودراسة[٢] لكنها في واقع الحال محدودة للإفادة في دراسة السكان فهي رغم ذكرها للمتوفين من مختلف طبقات الشعب، لا تشكل بحال إحصاء دقيقاً لجميع المتوفين فبعض الورثة يحلون قضاياهم فيما بينهم دون اللجوء إلى القسَّام، كما أن معظم السكان من غير المسلمين كانوا يلجؤون إلى محاكمهم الدينية الخاصة بهم، ولهذا فإننا نجد لما ننشره اليوم من وثائق فرادة وأهمية خاصة. فما طبيعة موضوعها ومن هم أصحابها؟

(١) لدينا نسخة عن مجلد ضخم لسجل (مسطرته ٤٥×٣٢سم) حوى مئات الأحكام الشرعية الصادرة عن محكمة (لواء الحُديدة) من شهر ذي القعدة سنة ١٣١٤هـ/ نيسان (أبريل) ١٨٩٧م حتى شهر رجب ١٣١٩هـ/ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠١م، كان قد أهداه لنا صديقنا الأخ العزيز القاضي يحيى بن محمد مالك مدير المعهد العالي للقضاء سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٠م وهو أنموذج لسجلات أخرى كثيرة - أطلعنا عليها - في محاكم صنعاء وتعز وغيرهما، خلال الوجود التركي في اليمن ودرجت المحاكم في اليمن بعد ذلك على نفس المنوال حتى عهد قريب لا أعرف الآن تفاصيله أو حقائق أوضاعه.

(٢) انظر على سبيل المثال: أ.د. عبد الكريم رافق: (بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث) دمشق: ١٩/ ٢/ ١٩٨٥م.

## الأئمة أصحاب المسوّدات الواردة في الكتاب

- المنصور حسين بن قاسم (ت١١٦١هـ/ ١٧٤٨م).
- المهدي عباس (١١٦١-١١٨٩هـ/ ١٧٤٨-١٧٧٥م).
- المنصور علي (١١٨٩- ١١٢٤هـ/ ١٧٧٥-١٨٠٩م).
- المتوكل أحمد (١٢٢٤-١٢٣١هـ/ ١٨٠٩-١٨١٦م).
- المهدي عبد الله (١٢٣١-١٢٥١هـ/ ١٨١٦-١٨٣٥م).
- علي بن المهدي (حكم وخُلع غَيْرَ مرَّة بعد والده وتوفي سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م).

* * *

### ١- ثلث تركة المنصور حسين بن قاسم

حين توفي الإمام المنصور حسين بن قاسم سنة ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م[1] خلفه ابنه المهدي عباس (١١٦١-١١٨٩هـ/ ١٧٤٨- ١٧٧٥م) وكان المنصور قد أوصى بثلث تركته التي قُوِّمَت بتسعة وعشرين ألفاً ومئتي قرشٍ، فكان ذلك تسعة آلاف وسبع مئة وثلاثة وثلاثين قرشاً وصايا لورثته بنظر ابنه المهدي عباس وبعض إخوته الراشدين، ولم يتم تقسيم هذا الثلث إلا أيام حفيد المنصور حسين، الإمام المنصور علي بن المهدي عباس الذي كلف القاضي العلامة أحمد بن محمد الحرازي (ت ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م) قسمة ذلك سنة ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م بحسب الأصول الشرعية، وهذا ما تحكيه تفصيلاً المسوَّدة الأولى (القسم الأول) (الصفحات ١١-٩١) وهي التي وصلتنا عن الأصل عن طريق قضاة وعلماء أفاضل معروفين كما هو محقق في هوامش النص.

---

(١) انظر ترجمته في البدر الطالع للإمام الشوكاني بتحقيقنا (ط) دار الفكر: ١٩٩٨م، ٢٣٧.

## ٢- تركة المهدي عباس وورثته

ذكرت في ترجمتي للمهدي عباس[1] كثيراً من المزايا والشيم التي اتصف بها حاكماً ذكياً وقوياً، استطاع لأكثر من ربع قرن أن يسيطر على الأحداث والمعارضين (الخارجين على حكمه)، ولقد نَعِمَ اليمن في عهده باستقرار - نِسْبِيٍّ - كما ذكرت: «ولا يخفى أنه كان للرجل نقائص وعليه مآخذ، كما كان لكثير من الحكام قبله وبعده تفرضها طبيعة الاستبداد.. والحكم المطلق». ولعلّ من أهم المآخذ طمعه في التوسع في ملكيته العقارات بما فيها أراضي الأوقاف وامتلاك بعض جداول الغيول بدعاوٍ واهية ونحو ذلك.

وتكشف لنا الوثيقة الثانية التي تحكي تفاصيل أملاك المهدي وتوزيعها بين ورثته مجموعة من الأمور الهامة والمفيدة من بينها ما يأتي:

١- قيمة المخلف من دُورٍ وعقارٍ وغيول هو: ١٥٣,٠٢٥ قرشاً (مئة وثلاثة وخمسون ألفاً وخمسة وعشرون قرشاً) غير النقد والمنقول من أثاث وسلاح وخيول.

٢- كان للمهدي عباس: (١٧ سبعة عشر ولداً ذكراً وسبع بنات) من عدد غير معلوم - في الوثيقة من الزوجات بعضهن كُنَّ إماء - حبشيات - حُرِّرْن، ومن ورثه منهن هُنَّ المذكورات، إذ ربما كان له مطلقات أو توفين قبله.

٣- حَظُّ الذكر من الأولاد نحو سبعة آلاف قرش (٧,٠٠٠) وللبنت نحو (٣,٢٠٠) «النصف»، كما خص الثُمْن (الزوجات): ١١,٦٢٥ أحد عشر ألفاً وستمئة وخمسة وعشرون قرشاً.

---

(١) انظر: مئة عام من تاريخ اليمن ط٢، ٣٢.

٤- كان علي بن المهدي (المنصور فيما بعد) أكبر الأبناء[١] وكانت حصته الإرثية كإخوته (٦,٣١٧) قرشاً أضيف إليها على ما يظهر ما كان ديناً على أبيه المهدي قام بتسديده، وذلك مبلغ ١٦,٠٠٠ (ستة عشر ألفاً) فكان إرثه بما قيمته ٢٣,٢١٧قرشاً[٢].

٥- ولمعرفة تحويل إرث من واحد إلى آخر سواء بالوفاة أو البيع، قمنا بترجمة مختصرة - لعدد من أولاد المهدي عباس ممن وجدنا لهم خبراً أو ترجمة - ولاحظنا وفاة بعضهم قبل إجراء هذه القسمة بينهم، فورثهم أبناء لهم كما لاحظنا في وقت لاحق شراء معظم هذه الأملاك من هؤلاء الورثة من قبل أخيهم المنصور علي أولاً، ثم من قبل حفيده المهدي عبد الله، كما سيرد معنا في القسمين الثالث والرابع والأخير، ويبدو أن بعضهم مسَّته الفاقة والحاجة فكان يضطر لذلك البيع، في حين أن أخاهم الإمام المنصور علي الذي طال حكمه مائلاً للرفاه والراحة إلى درجة دفعت بشيخ الإسلام الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٥م) معاصره وقاضي قضاته أن ينشر بين الناس بجرأة وشجاعة بالغة قصيدة نقد وعتب في هذا الموضوع منها قوله مخاطباً المنصور[٣]:

ألستَ تَرى أبنا أبيك فإنّهم   غَدوا يسألون الناس والأمر أعظمُ!

فلو شاهد المهدي أولاده كما   كما نشاهدهم أضحى له الدمع يُسْجَمُ

ولمَّا لم نكن بصدد ذكر الجانب السياسي أو التاريخي للمنصور وحكمه[٤]، فسوف ننتقل لوضع بعض الملاحظات والإشارات للوثيقة

(١) كان للمهدي ابن أكبر من علي هذا اسمه (عبد الله) توفي في حياة والده، ولهذا لم يذكر في القسمة.
(٢) انظر ص: ٢٤١.
(٣) انظر ديوان الشوكاني (أسلاك الجوهر) بتحقيقنا ط٢، ص٣١٠.
(٤) انظر كتابنا: مئة عام من تاريخ اليمن ط٢:

الثالثة التي هي «مسوَّدة تقسيم تركة الإمام المتوكل أحمد بن المنصور علي بين ورثته وما ورثه ابنه المهدي عبد الله تفصيلاً».

وهي من أكثر وثائق العصر أهمية وقيمة لاحتوائها على مجمل مخلَّف المتوكل أحمد من عقارات كالدُّور والأراضي والغيول، ومن إرث حصر بين الورثة من: «فرش، ونحاس، وشرعة[1]، وملبوس، وأسلحة وكتب وحلية النساء...».

إنها تفاصيل هامة لما ورثه المتوكل أحمد عن أبيه المنصور علي وما اقتناه هو أيام أبيه وخلال حكمه القصير، وهو حلقة الوصل الأهم بين حكم أبيه وابنه المهدي عبد الله من بعده.

كما أن مخلَّفه من العقار والمنقول يعطينا صورة أكثر وضوحاً لما كان يملكه الإمام الحاكم ونوع ملبسه وحلية أهله وفرش دُوره وسلاحه (الشخصي) وكذا مكتبته التي تمثل عصره.. إلخ.

* * *

### ٣- المتوكل أحمد بن المنصور علي وإرثه (١٢٢٤- ١٢٣١هـ/ ١٨٠٩-١٨١٦م)

يمثل المتوكل أحمد حفيد المهدي عبّاس أنموذجاً وسطاً بين أبيه المبذر وجدّه الحازم القوي الشكيمة ولعلَّه الوحيد من سلالة أئمة بيت القاسم الذي تجَرأ على استصدار فتوى شرعية فريدة من نوعها في تاريخ اليمن الحديث، بعزل والده الإمام المنصور علي من سدّة الحكم لخرفه وسوء إدارته. وذلك ما أفتى به شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني سنة ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م بعد حكم خمسة وثلاثين عاماً كان في آخرها قد تجاوز الثمانين من عمره، وانعكس خرفه على أوضاع الدولة والإدارة، وتمكن

(١) الشَّرعة: ما تزين بها غرف الاستقبال أو المناسبات كالزّفاف والموالد أو ولادة النساء...

ابنه أحمد هذا من إعادة الهيبة والأمن ومواجهة الاضطرابات التي كانت قد استشرت في أكثر من مكان باليمن، وبموت والده في العام (١٥ رمضان ١٢٢٤هـ/ ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٠٩م) أصبح أحمد البالغ من العمر خمسة وخمسين عاماً إماماً شرعياً وحاكماً مطلقاً تلقب بالمتوكل. وكان الإمام الشوكاني - قاضي القضاة - أول من بايعه وأخذ له البيعة من إخوته وأعمامه و(آل القاسم) كافة، وكذلك من العلماء والوجهاء والأعيان ورؤساء القبائل كافة[١].

لم يطل حكم المتوكل أحمد المليء بالحركة الفاعلة سوى سبع سنوات، فقد توفي في شهر شوال عام ١٢٣١هـ / أيلول (سبتمبر) ١٨١٥م بمرض الاستسقاء وعمره إحدى وستون سنة مخلفاً عدداً كثيراً من الأولاد والبنات أكبرهم ابنه الشاب عبد الله الذي خلفه متلقباً بالمهدي[٢].

ولنرجع بعد هذا التمهيد إلى وثيقة حصر ما خلفه المتوكل أحمد وتفاصيل ما ورثه ابنه الأكبر المهدي عبد الله:

١- إن الوثيقة التي بحوزتنا وهي أصل، كتبها العلامة الفقيه علي بن أحمد هاجر في غرّة ربيع الأول سنة ١٢٣٤هـ/ الاثنين ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٨١٨م أي بعد نحو ثلاث سنوات من وفاة المتوكل أحمد، وقد تم ذلك كما تذكر مقدمتها بتوجيه من الإمام الشوكاني وإشرافه.

وقد وصلنا الأصل كاملاً إلاّ خرماً مقدراه ورقة في أوله، يفهم من سياق ما بعدها أنها كانت البداية التي تحدثت عن المخلف من العقار (الدُّور والبيوت) وهي وإن فقدت فسيأتي في التفاصيل أسماء تلك الدُّور والمنقول منها.

ونستفيد من المقدمة أن عدولاً (ذُكرت أسماؤهم) من ذوي الخبرة

---

(١) مئة عام: ١٥٨-١٧٤ وانظر البدر الطالع للشوكاني بتحقيقنا ٩٤-٩٥.

(٢) مئة عام: ١٧٨ وانظر قائمة بأبنائه ص: ٦٣٤، الملحق رقم .II

قوّموا الدُّور وما إليها من البيوت... بحضور الفقيه محمد بن علي العمري عن جميع الورثة المكلفين بالوكالة منهم له في الحصر والمقاسمة، وعن القاصرين بالنّصب الشرعي.. مع حضور الأخ التالي للمهدي عبد الله، محمد بن المتوكل أحمد عن نفسه وعن أخيه المهدي.

٢- صح قيمة المنقول على اختلاف أنواعه من: «فرش، ونحاس وشِرْعة ، وملبوس وسلاح وكتب وحُلية النساء..» وذلك: ٢٧,٩٥٣ قرشاً (سبعة وعشرون ألف قرش وتسعمئة قرش وثلاثة وخمسون قرشاً...) كانت قيمة الحُلي منها (٧٠٨٤ قرشاً).

٣- دفع من ذلك ٥٠٠ خمسمئة قرش أجر الدلالين الذين قوّموا ما أتى عليه الحصر من المنقول (ومن بينهم الذميون عيال البَدِيحي[1] (المختصون بصياغة الحلي في صنعاء) وللأساطية الذين قوموا الدور والبيوت وللمأمون المتولي الحصر والقسمة.

---

(١) كان آل البديحي من المشتغلين بتجارة الذهب وصياغته، وقد استمروا كغيرهم من تجار اليهود كحبشوش وسالم الجَمل وآخرين من كبار التجار اليهود حتى أواخر الأربعينيات من القرن العشرين - كما هو معروف - ويأتي ذكر (البديحي) في الوثيقة رقم (١١٤) في شكوى مرفوعة من عاقل اليهود الذمي سالم بن سعيد الجمل إلى والد المحقق (القاضي عبد الله بن حسين العمري) وذلك ضمن أكثر من ألف وثيقة ورسالة مرفوعة إلى الإمام يحيى وغيره من مسؤولي الدولة في قضايا متعددة تتعلق باليهود وأوضاعهم وحقوقهم. اطلعتُ عليها ويرجع تاريخها إلى العقدين الأخيرين من حكم الإمام يحيى ونشرت باللغة العبرية في مجلدين في القدس عامي ١٩٨٦ و١٩٨٧م بعناية: (.R. SHALOM B SA'DTA. GAMLIEL)والعنوان بالإنجليزية هو: The Jews and The king in The yemen

وفي الجانب الآخر عنوانها بالعبرية كُتب تحته بالعربية بخط (يبدو أنه خط الجمل نفسه) «اليهود تحت حمايت [هكذا] ملك اليمن الإمام العدلي يحيى» وانظر في المهن الفنية والتجارية ليهود اليمن في هذا العصر ما كتبه كارستن نيبور وغيره في بحث الدكتوره Aviva kleinire - franke المنشور ضمن المجلد الضخم والهام بتحرير صديقنا العالم والدبلوماسي الألماني الدكتور Werner Daum بعنوان: Yemen 3000 years of art and civilisation in arabia felix, penguin, 1987.

٤- وكان المتوكل قد أوصى في وصيته التي اطلع عليها القاضي العلامة شيخ الإسلام الشوكاني وأمر الفقيه هاجر بتنفيذها، بأن يخرج الثلث وقدره (٩,١٥١ قرشاً) ويقسم بين عتائقه (جواريه اللاتي اعتقهن) وتكاليف حجتين باسمه، ويكون الباقي وهو (١٨,٣٠٢ قرشاً) لبقية الورثة.

٥- قسِّم ذلك كما يلي:

أ- الثُمن لزوجاته الأربع (ورد ذكر أسمائهن) وهو مبلغ ٢,٢٨٨ قرشاً.

ب- الباقي بين أولاده (الذكور: ثمانية عشر ولداً[1]، والإناث ثلاث عشرة بنتاً) وذلك ما قيمته ١٦,٠١٤ قرشاً.

جـ- صح للذكر: ٦٥٣ قرشاً وللبنت: ٣٢٦ قرشاً.

٦- وبعد ذكر من مات ومن ورث من بين الإخوة والأخوات يزيد للمهدي عبد الله إرثاً من أختين فيكون جملة إرثه ٦٦٨ قرشاً.

لقد حوت الوثيقة بعد ذلك تفاصيل دقيقة لكل ما خصّ المهدي عبد الله من فرش ونحاس وكتب وسلاح وجنابي (خناجر تقليدية) وسعر كل قطعة من الأسلحة والجنابي كما قدر ذلك وقوَّمَه العدول، ولو ورَث كل أخ من الثمانية عشر مثل ذلك لكان بالطبع شيئاً كثيراً، إلاَّ أنه من الواضح اختصاص المهدي عبد الله وهو الولد الأكبر بين أخوته[2] ببعض المنقول كالسلاح (من بنادق وسيوف وجنابي). ففي حين لم يرث من المنقول من دَارَي «الذهب» و«سعدان» سوى «جنبية واحدة صنعاني» قيمتها **٢٥ قرشاً وبندقاً جزائرياً -لعلها بندقية فرنسية الصنع- بعشرين ريالاً**، وجملة ما تعين له من المنقول المقسوم بين الورثة من الدارين بمئتين واثنتين وثمانين

(١) لعله من المصادفات العجيبة أن يكون للمتوكل أحمد نفسه عدد أولاد جده المهدي عباس (راجع ماسبق) و(انظر الملحق رقم ..II ص: ٦٤٦ من كتاب المسودات.

(٢) كان عمره حين توفي والده ثلاثاً وعشرين سنة، أي إنه عند هذه القسمة لم يكن قد تجاوز السادسة والعشرين.

قرشاً (٢٨٢). فإننا نجد أن السلاح والجنابي في «دار بستان المتوكل» وهي «٣٦ بندقاً وعُددها وقيمتها ١٦٧٧ قرشاً»، وكذا «٤١ جنبية، قيمتها ١٠٧٦ قرشاً كانت جميعها من نصيبه». كما أن ما جملة قيمته من الحلية (لؤلؤ ومرجان ولاز وغير ذلك) ٧٠٨٤ قرشاً كان له فكان جملة كل إرثه أو بالأصح ما أخذه من هذه الدار «بستان المتوكل» هو: ١٣,٧٤٢ قرشاً ولا يعقل أن كل واحد من الورثة كان له مثل هذا، وينطبق على الكتب الأمر نفسه فمن القائمة الهامة **نستشفُّ ملمحاً عن ثقافة العصر**، (ص: ٤١١-٤٢٠) **وأسماء الكتب الموروثة في الأدب واللغة والفقه والتاريخ**، وقد قدرت بتسعمئة وثلاثة قروش (٩٠٣) يبدو أنها آلت جميعها إلى المهدي، ولم توزع على الورثة بدليل تعدد بعض النسخ[1] للكتاب الواحد. ولاشك أن تسوية بين الورثة - ذكر بعضها - قد تمت بالطرق الشرعية خاصة وأنَّ معظمهم كانوا قاصري العمر، إلاَّ أن بالإمكان الظن أن العادة قد جرت أن يكون للأخ الأكبر حصة أكبر في المنقول خاصة إذا كان خلف أبيه في منصب الإمامة، وأن يصبح كبير الأسرة أيضاً. ومع ذلك فقد نُصَّ بأن المهدي سَلَّمَ لأهل الثلث: «جميع الأموال المشتراة بيده من علي سعيد [له] من الفقيه علي بن عبد الكريم الجرافي وأخيه أحمد في بلاد جبلة وإبّ وما إليهما في جهة اليمن من أموال ومستغلات وغيرها حسب المسودة في المرقوم... وجملة ذلك ما قيمته: ١٦,٩٨٢ قرشاً،.. ولم يبقَ للورثة عنده جميعهم سُوى ١٧٩١ قرشاً.

* * *

(١) مثال ذلك: تاريخ ابن خلكان وفتح الباري لابن حجر والأحكام السلطانية للماوردي وبعض أجزاء متفرقة من نسخ واحدة.

## مخلّف الدُّور والبيوت وبعض الأملاك

١- نعرف من أول الوثيقة ومن سياق تال أن داراً كان اسمها (دار الفتح) في بئر البهمة من حي بئر العزب أمر المهدي عبد الله في أول عهده بهدمها ونقل مؤنتها وأحجارها (إلى بستان المتوكل) حيث شيد هناك داراً جديدة[١] وقُوِّمَت الدار المهدومة عليه بما شراها والده المتوكل أحمد. كما احتفظ لنفسه بالبيت المسمى ببيت الجرافي ومفرجيه وبستانه في بئر القاضي وهو الذي كان ساكناً فيه أيام والده وقد قدَّر ذلك بسعر الزمان والمكان فكان بمبلغ ٣٩,١٥٢ قرشاً نزع من ذلك عشرة آلاف قرش سلَّمها المهدي مما كان ديناً على والده ووزع الباقي وقدره ٢٩١٥٢ بين أهل الثلث والورثة.

٢- وقد تعين للمهدي في (دار الجامع) الواقعة في بستان السلطان بجميع مرافقها الثلثان وأصل الثَّمن ٨٣٠ قرشاً.

٣- وكان هناك دار أخرى في بستان السلطان هي (دار البشائر)[٢] تعين للمهدي فيها أيضاً الثلثان تقريباً (مشاعاً بالثلث) بما إليها «من الأحواش والأماكن الخارجيات والصبول والبيت والملاحق لها من جهة القبلة وكذلك البيت المتفرد غربيها والبستان الراجع لها..».

والمفيد الذي نخرج به عن هذه الدار، هو ما يعطينا صورة دقيقة للأسعار أرضاً وبناءً عام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م أي قبل ١٨٦ سنة، هذا غير ما عرفناه - أيضاً - من مآل الثلث الباقي من ملكيتها إلى المهدي نفسه مقابل تسوية وتعويض أخيه محمد (صاحب الثلث في الدار) ببيت في

---

(١) انظر وصف هذه الدار في كتابنا: مئة عام ط٢، ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) حملت دار الإمام محمد البدر بن أحمد حميد الدين (ت١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) آخر أئمة بيت القاسم نفس التسمية التي عرفت بها رغم أنها باتت بعد الثورة وهروب البدر سجناً لا دار سكن.

حارَة الطاووس، أمَّا ما صار للإخوة والأخوات الآخرين مقابل ذلك فقد ذكر تعويضهم في بيوت وعقارات أخرى كبيت في باب اليمن وآخر في بئر الشمس (في بئر العزب) بما قيمته ١٥٠٠ قرش وغير ذلك كما سنذكر:

- لقد صح جملة قيمة دار البشائر وكل ما ذكر إليها «باثنتي عشرة مئة قرش وأربعة عشر قرشاً حجراً (١٢١٤)، ومساحة بستان دار البشائر اثنتا عشرة لبنة، سعر كل لبنة ثلاثة قروش»[١].

- وهكذا فقد صَحَّت قيمة دار البشائر ودار الجامع بعشرين مئة وأربعين قرشاً، وبعد حسم ماله ولشقيقتيه إرثاً، وما تمت موازاته من العقار (دُوراً وأرضاً..) ما خُلاصته - وإن سبق ذكر بعضه -:

أ- كان الثلث (للعتائق) وقدره مبلغ ٩٧١٧ قرشاً ونصف القرش أسقط منه ٢٠٠ قرش أجرة الحجتين الموصى بهما من المتوكل (وهذا يعني أن تكاليف حجة وزيارة في ذلك الزمن كانت تكلف نحو مئة قرش) إلاَّ أن يكون المتوكل نفسه حدد قيمتها.

ب- الثمن للزوجات الأربع وقدره ٢٤,٠٢٩ قرشاً.

جـ - الباقي لبقية الورثة إخوة المهدي عبد الله السبعة عشر وأخواته الثلاث عشرة وقدر ذلك ١٧٠٠٥ قرشاً كانت حصة المهدي ميراثاً من أبيه كإخوته ٦٩٤ قرشاً ومن شقيقتيه مريم وسيِّدة ٢٢ قرشاً فكان جملة ذلك ٧١٦ قرشاً ونصف القرش.

د- إلاَّ أن المهم في أن قيمة المتعين للورثة بعد الثلث وهو ١٩,٤٣٥ قرشاً «قد عُين بها من الدُّور والبيوت المتوكلية فوق ما أخرج في مقابل قضاء الديون» وهو ما سبق أن أشرنا إليه. فقد عُوض الورثة في أموال أيضاً كعنب في الروضة وفي الصافية: غيل آلاف جنوب صنعاء، وكذلك

(١) قيمة اللبنة اليوم في نفس المكان نحو ثلاثة مليون ريال!.

في عنب لأبيه في وادي ظهر وقرية القابل، وكذلك في جميع الأموال «المكتسبة في بلاد اليمن [إب] وبلاد آنس وغيرها من الجهات إلى مقابل براءة ذمته..».

هـ - ولعله من المناسب أن نذكر له إخراج: «دار الحجر وما إليها وهو المشترى من يحيى الحرازي، فلم يدخل ذلك للترجيح الإمامي ببقائه لبيت المال»، وحسناً فعل المهدي فقد كانت «دار الحجر» في الوادي كما هي حتى اليوم ملكاً للدولة ولم تكن إرثاً خاصاً.

و- تظهر لنا الوثيقة بعض الإشكالات المتعلقة بنصيب الورثة الآخرين ومدى رضاهم من عدمه بتلك القسمة، أو بالأصح - لأنّ معظمهم قصَّار ونساء وجوارٍ محررة (عتائق) - فنحن لا ندري في الواقع إذا كان ثمة غبن أو تحايل قد جرى ليكون للمهدي عبد الله نصيب الأسد في تركة والده، ولعل الأمر كان كذلك، إلاّ أن الوثيقة التالية (الثالثة) وهي نسخة الأصل لمسودة ما اشتراه المهدي عبد الله «في الصوافي وجميع الغيول وجميع الأملاك المهدوية حسبما تحكيه..». ستوضح لنا الكثير من هذا التساؤل.

* * *

**٤- المهدي عبد الله بن المتوكل أحمد (١٢٣١- ١٢٥١هـ/ ١٨١٦- ١٨٣٥م)**

**محصلة أملاك أسرته وآخر الحائزين على جمعها قبل تفرقها!**

لعل المهدي عبد الله بن المتوكل أحمد الذي خلف والده، كان أصغر إمام قد حكم، ليس في أسرته بيت القاسم بن محمد فحسب، بل ومن سبقهم من الأئمة من بعد الإمام الهادي يحيى بن الحسين (٢٤٥- ٢٩٨هـ / ٨٥٩ - ٩١٠م) فإن عمره حينئذ لم يتجاوز الثالثة والعشرين، وبالتالي لم

يكن له دربة أبيه في السياسة والإدارة والحرب، وقد عرف بالطيش وتقلب المزاج، وكان يغير وزراءه لأتفه الأسباب، وقد زاول بدعة مصادرة الأملاك، ولكنه إلى ذلك كان مقداماً شجاعاً واجه الكثير من الاضطرابات والفتن، وقام كوالده ببعض الحملات العسكرية الناجحة[(١)]، وقد حكم عقدين كاملين توفي آخرهما ولم يتجاوز الثالثة والأربعين.

إنما يهمنا هنا هو استعراضنا لمسوّدة أملاكه التي هي الوثيقة (الأصل) لما اشتراه واكتسبه، وأثبت بذلك خلّة هي الوحيدة التي يشبه بها جدّ أبيه المهدي عباس الذي عرفنا عنه طمعه وجشعه في تملك الأراضي والغيول بطرق بعضها غير شرعي أو في أحسن الأحوال يفتقد المسوغ المعقول لمن كان في مثل مكانته ومركزه الديني والسياسي[(٢)]، ولعله من سخرية القدر أن ينتقل ما جمعه وابتاعه المهدي عباس - قبل جيلين - من ملكية أحفادة إلى يد هذا الشاب النّهم الذي دشّن حكمه من العام الأول بشراء أملاك أقربائه من آل المهدي عباس على وجه الخصوص، ومن آخرين أيضاً كما هو مفصل في مسودة أملاكه التالي الحديث عنها.

* * *

١- أمر المهدي عبد الله عام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م وهو العام الثالث من حكمه أن يفتح سجل (مسودة) خاص بأملاكه التي شرع في شرائها من أقربائه - أحفاد المهدي عباس - ومن آخرين في السنة الأولى من حكمه وكان جملة ما شراه ذلك العام اثنين وتسعين سهماً ونصف السهم وكان سعر السهم مئة قرش وست بقش[(٣)]، فكان جملة القيمة (٩٢٥٥ قرشاً) وهو مبلغ كبير جداً في ذلك الوقت، ولا ندري من أين دفعه فقد كان لا

(١) انظر تفاصيل ذلك في كتابنا (مئة عام (ط٢): ٢٣٩).

(٢) راجع ما سبق.

(٣) القرش يساوي ٤٠ بقشة.

يزال مديناً للورثة بمبلغ ١٧٩١ قرشاً بعد تلك التسويات التي ذكرناها قبل قليل عن الوثيقة المتقدمة[1].

وقد أوضح لنا كاتب المسوّدة في مقدمتها أن سعر السهم كان مئة قرش في بداية الشراء إلاّ أنه نقص إلى تسعين قرشاً في السنة الثانية، وهو واضح في تفاصيل الشراء بعد سنة واحدة أي من عام (١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م).

وَاصَلَ المهدي عبد الله الشراء بوساطة وكلائه[2] معظم أشهر السنة، ولا يكاد ينقطع ذلك إلاّ في بعض الأشهر حتى مطلع عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م - وهو العام قبل الأخير لوفاته.

وقد تفاوتت قيمة المشترى بين عام وآخر، فقد كانت الثلاث السنوات الأولى حتى رمضان ١٢٣٤هـ/ حزيران (يونيو) ١٨١٩م (٢٥٩) سهماً قيمتها ٢٣,٢٥٩ قرشاً بمتوسط سنوي يتراوح بين (٧) و(٨) آلاف قرش[3]، إلا أنَّ هذا المتوسط يتراجع في السنوات التالية ليكون المعدل في حدود ٤٥٠٠ قرش، لكن الشراء لم يتوقف إلاّ قبل أشهر من وفاة المهدي عبد الله.

ولاحظنا في تسجيل ما تم شراؤه عامي ١٢٤٩ و١٢٥٠هـ تقديماً وتأخيراً وذلك في الصفحات التي أولها [٥٨] وآخرها [٦٦] تحت البنود التي أعطيناها أرقاماً من [٢٢٩ حتى ٢٥٠] وهي بصائر ملكية شراء أراضٍ أو طيسان غيول وما شاكل ذلك، وكانت مبالغ شراؤه حتى ربيع عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م في حدود ٤٠٠٠ قرش.

---

(١) راجع ص: ١٥ قبل قليل.

(٢) يتردد كثيراً اسم وكيله: سعيد بن معيض الطل، ولعلّه من (آل الطل) من قرية (بيت بَوْس) جنوب مدينة صنعاء، كان منهم صديقنا وزميلنا السفير السابق بوزارة الخارجية المرحوم أحمد قاسم الطل (ت ٢٠٠٣م).

(٣) انظر ذلك تحت مسلسل رقم (٩٠) صفحة ٤٩٣.

٢- توضح لنا المسودة التالية والأخيرة التي تسجل أملاك علي بن المهدي عبد الله فيما ورثه عن أبيه، بعض النقص فيما لم يسجل من بصائر شراء في بعض السنوات من حياة المهدي كعام ١٢٣٩هـ والأعوام ٤٨ و٤٩ و٥٠ و١٢٥١هـ.

ومن ذلك على سبيل المثال أن المسوّدة السابقة لم يرد بها أي شراء في عام ١٢٣٩هـ/ ٢٣-١٨٢٤م في حين نجد في مسودة أملاك الابن فيما ورثه عن أبيه فيما شُري عام ١٢٣٩هـ بما جملته ١٠٠٠ (ألف قرش)، وبأن المكتسب عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م في بئر العزب (فقط) بمبلغ ٧٠٠٥ قروش، وتشير إلى أن جملة المكتسب الأخير إلى شهر رمضان ١٢٥١هـ/ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٣٥م أي عقب وفاة المهدي بشهر بما لا يتجاوز المائة ريال في المسودة الأخيرة والتي سنتحدث عنها بعد قليل[1]، وهكذا حيث تزيل الوثيقة (المسودة) بعض اللبس وربما نصيب فيها الإجابة عن محاولتنا في حصر أو تقدير نسبي لأملاك آخر الأئمة المعروفين بالأهمية من بيت القاسم بن محمد قبل عودة الأتراك العثمانيين إلى اليمن والتي صارت إرثاً لابنه علي (الذي خلفه) وبقية الورثة من آل المهدي عبد الله، وكيف تسارع بيعها أو ضياعها حتى لم يبق منها اليوم إلاَّ القليل فيما هو بيد الورثة الشرعيين - إن بقي! - وشيء يسير لوقف قبة المهدي عباس في السايلة وقبة حفيده الأخير المهدي عبد الله - نفسه - في طلحة، كان إلى وقت قريب تحت نظارة آل العمري[2].

* * *

(١) انظر ذلك في صفحة ٤١٤ وما قبلها.

(٢) راجع ما كتبه الأخ المرحوم يحيى محمد المهدي في بداية المسودة (الرابعة) ص: ٣٧٩ التي أعارناها مع غيرها وكذا المقدمة للمسودة الأولى (القسم الأول).

**٥- مسودة ما ورثه علي بن المهدي عبد الله (الذي ولي الإمامة أربع مرات بعد وفاة أبيه: ٧ شعبان ١٢٥١هـ - ١٢٧٤هـ/ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٣٥-١٨٥٧م)**

الوثيقة الخامسة والأخيرة معنا، هي مسودة ما ورثه علي بن المهدي عبد الله بن المتوكل أحمد بعد وفاة أبيه، وكان خلفاً له، وتلقب أولاً بالمتوكل على الله، ثم بالمنصور بالله قبل أن يخلع ويولى إماماً ثلاث مرات أخرى في مرحلة الضعف الأخيرة من حكم الأئمة بيت القاسم وعودة العثمانيين الأتراك إلى صنعاء.

* * *

ولما لم يكن دور علي بن المهدي السياسي - على أهميته - هو موضوعنا هنا وسنحيل ذلك إلى مظانه[1] ، فسوف يقتصر التركيز على مسوّدة ما ورثه عن أبيه وبعض الملاحظات التي قد تفيد الباحث ويكمل الصورة عن هذه السلسلة الفريدة من المسوّدات.

١- يرجع تاريخ المسوّدة الإرثية - الأخيرة هذه - إلى الرابع من شهر ذي الحجة سنة ١٢٥١هـ/ ٢١ آذار (مارس) ١٨٣٦م، أي بعد أربعة أشهر فقط من وفاة المهدي عبد الله حين تمت القسمة بين ورثته، وما لدينا هو ما صار إرثاً لعلي بن المهدي ولا نعلم، وليس بأيدينا شيء آخر عن بقية الورثة من زوجات أو إخوة وأخوات، لكن كاتب المسودة في مقدمتها

(١) تلقب في العودة الثانية سنة ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م بالمهدي ولم يدم حكمه الضعيف سوى ثمانية عشر شهراً لكنه عاد راكباً موجة مواجهة دخول الأتراك صنعاء عام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م وتلقب بالهادي، وكانت الأخيرة الرابعة عام ١٢٦٧هـ / ١٨٥١م ولم يسمع عنه في خطبة الجمعة إلا في مطلع عام ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م بعد غياب سبع سنوات، لكنه تخلى نهائياً عن السياسة، وتركه الناس ليستقر في داره بصنعاء حتى توفي سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م أي قبل نحو عام من عودة الأتراك إلى صنعاء (انظر كتابنا فترة الفوضى وعودة الأتراك إلى صنعاء) دار الفكر ١٩٨٦م، ص١٠-٢٦؛ مئة عام ٢٤٥-٣٠٦ وما بعدها.

يشعر المطلع بأنها تسجيل أو توثيق لأملاك المهدي عبد الله نفسه الصائرة - تفصيلاً - إلى وارثه الوحيد عليّ في هذه المسودة.

٢- يؤكد ذلك أن القاضي العلاّمة صالح بن محمد العنسي (ت ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م) الذي كان متولياً القضاء بصنعاء وكان أيام شيخ الإسلام الشوكاني ينوب عنه في بعض الأحيان قد صادق على صحة هذه المسوّدة - بعد عشر سنوات - كاتباً في أعلاها أنها «الشاملة لأملاك الولد جمال الإسلام علي بن أمير المؤمنين في أملاك والده الإمام المهدي رحمه الله، فقد قررنا يده على ذلك فيتصرف به كيف يشاء.. هذا ما قرر من الأصول الصحيحة فيعتمد كل واقف عليه» جمادى الآخرة عام إحدى وستين واثنتا عشرة مئة حزيران (يونيو) ١٨٤٥.

٣- والظاهر من هذا التوثيق أنه كان وعلي بن المهدي في فترة الخلع والعزل من الإمامة بدليل أن الحاكم لم يطلق عليه لقب الإمام، بل «الولد..» وأن إشكالات معينة قد واجهها مع الورثة أو آخرين غيرهم. لأنه شرع في التصرف والبيع من أملاك أبيه، وصار يسجل إزاء كل ما يباع انتقال ذلك إلى ملكية شخص أو أشخاص آخرين، وهو ما اثبتناه في هوامش النص، واستمر ذلك التصرف بالبيع حتى السنة الأخيرة لوفاة عليّ نفسة عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م وهو آخر ما دون فيها من بيع على المسودة التي تكاد معظم أملاكها قد انتقلت إلى الغير؛ ولعل ذلك ما حدث من الورثة بعد وفاة علي بن المهدي.

٤- وفي الحقيقة أن الوارد تفصيلاً من هذه الأملاك في الأراضي متعلق - بما ورثة المهدي عبد الله عن جدّه المهدي عباس فيما كان مشتركاً مع غيره من الورثة حتى عام ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م (راجع ما سبق) في أماكن متعددة، ثم المكتسب (المُشترى) بعد ذلك التأريخ من عقارات وغيول إلى نهاية عام ١٢٥١هـ/ ١٨٣٦م.

٥- ولم يثبت ما شراه علي بن المهدي لنفسه سوى بيت صغير في الوادي عن طريق الشفعة من الحرة عتيقة بنت محمد العمري بستين قرشاً وخمس وثلاثين طاسة (ماء) في غيل آلاف من السيد يحيى بن محمد حميد الدين (جدّ الإمام يحيى) بخمس وعشرين قرشاً عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م وأخيراً ما شراه أيضاً عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م من السيد حسن بن أحمد بن المتوكل وهو (عمه) في دار الذهب، وذلك بثمان مئة قرش.

٦- وقد أثبت في آخر المسودة أن جملة ثمن ما احتوته من عقارات وغيول هو مبلغ ٨٦,٥١٢ قرشاً ستة وثمانين ألف قرش وخمسمئة واثنا عشر قرشاً حجراً وثمان بقش - باستثناء البند السابق (٥) لأن ذلك بعد وفاة المهدي عبد الله.

٧- ولقد تحقق لدينا[1] أن علي بن المهدي هو الوارث الوحيد لوالده إذ لم يكن له إخوة أو أخوات.

- ولعلّ من مزايا هذه المسودة أن المبيع مما حوته من أملاك قد تم تسجيله باسم المشتري، وتاريخ البيع من بداية عام ١٢٦٣هـ/ أواخر عام ١٨٤٩م حتى عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م ويكاد يكون ذلك البيع كل سنة الواحدة تلو أخرى وقد أثبتناه في حواشي النص -وكما هو في الأصل-. وكان البيع في العام ١٢٦٦هـ/ ٤٩-١٨٥٠م بلغ الذروة إذ تم بيع ما يزيد على أربعين عقاراً وغيلاً. وإذا لم يبع في العام التالي سوى عشرة مواضع فقد بيع في العام الذي يليه (١٢٦٨هـ/ ٥١-١٨٥٢م) اثنين وعشرين وقريب

---

(١) انظر الملحق رقم (III) و(IV) في الكتاب نفسه ففيهما نص حكم صريح بحصر الوراثة في عليّ بن المهدي ممهور بتوقيع رئيس المحكمة الاستئنافية العليا العلامة القاضي حسين بن علي العمري بتاريخ ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م -جدّ المحقق- ومصادق على ذلك بقلم وخاتم الإمام يحيى بن محمد حميد الدين (نفسه)، وذلك بناءً على طلب أحفاد علي بن المهدي وأرشدهم السيد محمد بن عبد الله المهدي والد صديقنا المرحوم يحيى بن محمد بن عبد الله المهدي رحمهم الله جميعاً.

من ذلك في عام ١٢٦٩هـ، وتراوح المبيع بين عام ١٢٧٠ و١٢٧٥هـ بمعدل خمسة مواضع أو بضع طاسات ماء. ولم يسجل بعد ذلك إلاَّ مبيع في عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م ومثله في عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م وآخر مبيع في عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م أي في نفس العام الذي توفي فيه. ويمكننا أن نعزو كثرة المبيع في عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م والعام الذي يليه إلى عودة علي بن المهدي إلى سدة الحكم للمرة الثانية، ومواجهة عدوه اللدود المتوكل محمد بن يحيى المتّهم بإحضار العثمانيين الأتراك إلى صنعاء، ثم قيادته للمقاومة ضد الأتراك حتى إخراجهم من العاصمة في ليلة عيد شهر رمضان سنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م، بل وأقدم على إعدام قريبه المتوكل بعد سجنه بضعة أشهر[١] وهذا يدل على العبء المالي الذي كان بعض الأئمة يتحمله طمعاً في الحكم أو في حُبّ الاستمرارية خاصة في فترات الفوضى والاضطرابات حيث يكون فيها (بيت المال) أو خزينة الدولة فارغة.

إن هذه المسودة كسابقاتها غنية بالمعلومات التي يمكن للباحثين والمعنيين المهتمين استخراجها وتحليلها والاستفادة منها علمياً في أكثر من وجه أو حقل من حقول المعرفة، كما ذكرنا في أول هذه المقدمة التي حرصت على اختصارها بقدر الإمكان.



(١) انظر العمري: فترة الفوضى وعودة الأتراك، (المقدمة)، دار الفكر: ١٩٨٦ / مئة عام من تاريخ اليمن (ط٢).

# ملحق (٣)

# البيان الختامي

## للمؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية

## صنعاء ١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤م

انعقد المؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية (صنعاء الحضارة والتاريخ) ما بين الثلاثين من شهر آب / أغسطس والأول من شهر أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤م في رحاب جامعة صنعاء، وبمدينة صنعاء عاصمة الجمهورية اليمنية وعلى هامش اختيار صنعاء عاصمة للثقافة العربية لهذا العام. وكان المؤتمر برعاية كريمة من فخامة الأخ الرئيس علي عبد الله صالح الذي أولى المؤتمر كل الاهتمام، وكلف نائبه الفريق الركن عبد ربه هادي بافتتاح المؤتمر، والذي ألقى كلمة أشاد فيها بالمؤتمر وحسن إعداده، وقال بصريح العبارة: إن هذا المؤتمر علمي ولا يخضع لأي توجيهات سياسية. وقد نقل الأخ عبد ربه منصور هادي تحيات فخامة الأخ الرئيس علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية للمشاركين في المؤتمر وتمنيات فخامته بأن يخرج المؤتمر بالآراء التي تخدم الجهود المبذولة لحماية التراث الحضاري لليمن، مشيداً بدور جامعة صنعاء في تبني مثل هذه الفعاليات العلمية الهادفة والمتصلة بالحضارة والتاريخ اليمني القديم. وفي جلسة الافتتاح ألقى الأستاذ رئيس الجامعة ورئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدكتور صالح باصُرّة كلمة، حيث أكد فيها على حرص القيادة

السياسية واهتمامها بالتعليم العالي والبحث العلمي ممثلة بفخامة الأخ الرئيس علي عبد الله صالح شاكراً لفخامته رعايته الكريمة للمؤتمر ولوقائعه المتعددة:

وقال باصرّة: إن المؤتمر فرصة سانحة تعمل على تعزيز الحوار العلمي والمعرفي ومتابعة الجديد والمفيد في مجالات الدراسات اليمنية. والمؤتمر مساهمة ملموسة للمشاركة في العرس الثقافي لصنعاء عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٤م، ينظمه أكبر صرح علمي وفكري وثقافي في اليمن (جامعة صنعاء).

كما ألقى الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت كلمة المشاركين تناول فيه الموقع العلمي والثقافي لمدينة صنعاء، والذي هيأ الأرضية لإقامة مثل هذا المؤتمر العلمي الكبير، وأشاد الدكتور البخيث بالجهود التي بذلت لإنجاح هذا المؤتمر العالمي، والذي استطاع أن يقدم صورة مشرفة ومتميزة لليمن وحضارتها الإنسانية وبرعاية رئيس الدولة فخامة الأخ الرئيس علي عبد الله صالح الذي يولي للإنسان اليمني أهمية كبيرة في التنمية والبناء.

**وقد شمل برنامج المؤتمر محورين:**

**المحور الأول: بعنوان «الآثار والنقوش والفنون»**

وقد عقدت جلسات هذا المحور كلها في قاعة الجوف بكلية الزراعة.

**أما المحور الثاني: فكان بعنوان «صنعاء الحضارة والتاريخ»**

وقد انعقدت بحوثه بقاعة علي بن زايد بالكلية نفسها.

كما أقيم على هامش المؤتمر معرض معماري وفني، ومعرض للكتاب ومعرض لصور ولقطات من مؤتمرات الحضارة السابقة وأبرز المشاركين فيها.

وقد ألقي في المؤتمر أكثر من مئة بحث وشارك فيه أكثر من مئة وخمسين باحثاً، كما امتلأت القاعتان بالحضور، وتخلل إلقاء البحوث مناقشات علمية مفيدة.

وفي الجزء الخاص بالنقوش قدمت أبحاث هامة عن نقوش جديدة تنشر لأول مرة اكتُشفت في مأرب، وكذلك في محافظة عمران، وفي الآثار كانت هناك إضاءات على اكتشافات أثرية جديدة من محافظة الجوف وشبوة وإب ومأرب. وناقشت البحوث بعض القضايا اللغوية المتعلقة باللغة اليمنية القديمة، وكذلك اللهجات الحديثة مثل لهجة المهرة، بالإضافة إلى دراسات تناولت طرفاً من ملامح الفنون اليمنية القديمة، ولم تخل جلسات المؤتمر من دراسات تتعلق بالعصور التاريخية القديمة التي سبقت حضارة اليمن قبل الإسلام.

وفي مجال التاريخ الإسلامي شملت الأبحاث دراسات حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية؛ المسكوكات ومسودات الملكية في اليمن. وكذلك حظيت مدينة صنعاء بنصيب وافر من الدراسات، ولا سيما عمارة الجامع الكبير، وأسس التخطيط الحضري والتصميم المعماري للمدينة القديمة. ويمكن القول: إن معظم الدراسات المقدمة في المؤتمر قد نالت الاستحسان والإعجاب، وكانت جادة وجديدة ومفيدة تعكس المستوى العلمي الرفيع للمشاركين، وتدل على المدى الواسع الذي قطعته الدراسات اليمنية المتخصصة في شؤون التراث الثقافي اليمني في السنوات القليلة الماضية. كما تجاوزت تلك الدراسات العناية باليمن في الداخل، وامتدت إلى العلاقات الثقافية والحضارية بين اليمن والخارج عبر العصور، وبينت أن اليمن كان مشاركاً فعالاً في صياغة أحداث التاريخ، وفي مجالات التأليف والكتابة والإبداع، وأن التواصل التجاري والثقافي بين اليمن والأمم المجاورة كانا متلازمين، مما أعطى لليمنيين حضوراً مشهوداً في المحافل الدولية. وقد سلطت الأبحاث أضواءها

أخيراً، وليس آخراً، على جزيرة العرب والتكامل العلمي والفني والأدبي بين أرجائها والتعاون في سبيل المحافظة على تراثها.

**وقد خرج المؤتمر بتوصيات كثيرة أهمها:**

١ ـ يقدر المؤتمرون في رحاب جامعة صنعاء تقديراً عالياً الإعداد الممتاز لقيام المؤتمر الدولي للحضارة اليمنية (صنعاء الحضارة والتاريخ) ويشيدون بالمستوى العلمي الرفيع الذي تميزت به أعمال المؤتمر، ويقدمون جزيل الشكر وبالغ التقدير لرئيسها الأستاذ الدكتور صالح باصُرّة.

٢ ـ إن المؤتمرين وفي ختام وقائع مؤتمرهم العامر يقدمون أسمى آيات الشكر والعرفان لفخامة رئيس الجمهورية اليمنية علي عبد الله صالح ولنائبه الفريق عبد ربه هادي على الرعاية التي حظي بها المؤتمر وأعضاؤه، وعلى كل تكريم وتقدير نالوه من القيادة الحكيمة للجمهورية اليمنية، كما يشيدون بالتقدم الكبير الذي شهدته اليمن في عهد فخامة الأخ الرئيس، وذلك في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية.

٣ ـ إن هذا المؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية والذي ينعقد على هامش صنعاء عاصمة للثقافة العربية، وبمناسبة أعياد الثورة اليمنية المباركة، يعدُّ محطة علمية جديدة وحلقة متميزة في سلسلة المؤتمرات الدولية للحضارة اليمنية، إذ لم يحضر من قبل إلى أي مؤتمر مثل هذا الحشد العلمي الكبير سواء في الداخل أم الخارج ولم يحدث من قبل أن حظي مؤتمر الحضارة اليمنية هذا الاهتمام والإعداد على كافة المستويات الرسمية والعلمية والشعبية. فإن ذلك كله يعكس حقيقة حاضر هذا البلد المجيد وماضيه التليد ومستقبله السعيد.

٤ ـ يوصي هذا المؤتمر بالسعي بكل الإمكانات للحفاظ على التراث الحضاري اليمني. فاليمن كنز ثمين وتراثها الحضاري ملك للناس جميعاً

وهو تراث إنساني خالد، ولا يتم الحفاظ عليه إلا بتكاتف الجهود الوطنية والدولية، ولا يكون ذلك إلا بإرادة رسمية وشعبية ودولية.

٥ ـ يوصي المؤتمر بالحفاظ على المواقع الأثرية في كل أنحاء الجمهورية اليمنية وعلى تطبيق قانون حماية الآثار تطبيقاً حاسماً وصارماً لمنع المعتدين على المواقع الأثرية، وتوقيف النبش العشوائي الذي أضر كثيراً بشواهد الحضارة اليمنية.

٦ ـ يوصي المؤتمر بالحفاظ على المدن التاريخية، ويقدر الجهود الحالية التي تبذل حالياً للمحافظة على تراث صنعاء المعماري الأصيل، وخاصة على كل من مدينتي شبام حضرموت وزبيد، وهي من المدن الهامة في العالم والتي استحقت أن تدرج في سجل التراث العالمي.

٧ ـ يوصي المؤتمر بإعلان المواقع الأثرية في كل من محافظة الجوف ومحافظة مأرب ومحافظة شبوة بالدرجة الأولى معالم حضارية محمية وحدائق أثرية غير قابلة للتفريط بها وبمعالمها التاريخية، وتتمنى على حكومة الجمهورية اليمنية أن تبذل كل جهودها التشريعية والإدارية والمالية لمساعدة الجهود الدولية والعربية في التنقيب عن الآثار تنقيباً علمياً والحفاظ على طرز وبيئات التراث الثقافي الحضري في شتى أنحاء اليمن.

٨ ـ يناشد المؤتمر الجهات المعنية داخل اليمن وخارجه بالعمل بكل ما أوتيت من عزم وقوة على الحد من ظاهرة تهريب الآثار والمخطوطات والعمل على استعادة ما تسرب منها بوجه شرعي، مخالفة للقوانين الدولية التي تحرم تحريماً قاطعاً نقل الممتلكات الثقافية من يد إلى يد ومن بلد إلى بلد دون مسوغ شرعي.

٩ ـ يوصي المؤتمر من جديد بإعداد مدونة كاملة للنقوش اليمنية وإصدارها باللغة العربية، لتكون مرجعاً شاملاً في مجال النقوش القديمة

للباحثين اليمنيين والعرب، كما يوصي بضرورة إعادة تأليف وطبع المعجم السبئي.

١٠ ـ يهنئ المؤتمرون، وهم يغادرون هذا البلد التاريخي الأصيل منبع الأصالة مهد العروبة والإسلام والكتابة والحضارة ويتمنون على قيادة هذا البلد الشقيق والصديق أن يواصل مسيرته الرائعة وأن تجدد مثل هذا المؤتمرات كل ثلاث سنوات بدلاً من ست سنوات.

رعى الله بلاد اليمن وحمى رئيسها وحقق مناها في التنمية والتقدم والازدهار.

الكلمة الختامية في المؤتمر الخامس للحضارة اليمنية لرئيس جامعة صنعاء الأستاذ الدكتور/ صالح باصرّة.

أيها العلماء الأجلاء لقد سعدنا بحضوركم، واستفدنا كثيراً من علمكم، وبفضلكم تتواصل مؤتمرات الحضارة اليمنية التي طالما جمعت خيرة العلماء والباحثين داخل اليمن والبلاد العربية وخارجها من شتى أرجاء المعمورة، وكل المهتمين بدراسة الآثار والنقوش والفنون والتاريخ والعمارة اليمنية. وكان هذا الجمع الحافل الذي تم في جامعة صنعاء وفي صنعاء عاصمة الجمهورية اليمنية وعاصمة الثقافة العربية قد ملأ أسماع الدنيا وشغل الناس لعدة أيام بعلمه وعطائه وفكره وتميز شخصياته. لقد كنتم أيها السادة ضيوفاً أعزاء وما زلتم، فأنتم تحبون بلاد اليمن وتعشقون تاريخها وحضارتها وتقضون الكثير من سنوات عمركم في الكشف عن حضارتها وسبر أغوار تاريخها، ونحن في اليمن نقدر لكم هذا الاهتمام وهذا العشق الحضاري ونفخر بما تقدمون من معارف تملؤون بها موائد العلم وتسجلون لليمن جلائل الماضي وروائع الحاضر.

لكم منا فائق التقدير وخالص الامتنان وعوداً حميداً وإلى اللقاء إن شاء الله.

# ملحق (٤)

عرض لكتاب:

## مصادر التراث اليمني

### (الطبعة الثانية)

صدر مؤخراً للأستاذ الدكتور حسين العمري، هو الطبعة الثانية المزيدة والمنقحة من (مصادر التراث اليمني في المكتبة البريطانية) دار الفكر دمشق ٢٠٠٦م، كتاب في الببلوغرافية الخاصة بما تضمنته المكتبة البريطانية من خطياتٍ تخص اليمن.

قدم المؤلف لكتابه ببعض المعلومات المتعلقة بالمخطوطات اليمنية خصوصاً والعربية عموماً، ثم بنشأة المتحف البريطاني وما احتواه من مخطوطات يمنية في مجموعاته المختلفة.

ثم قسم كتابه إلى قسمين؛ جاء القسم الأول للتعريف بمخطوطات التاريخ والتراجم والأدب، والقسم الثاني للتعريف بمخطوطات الفقه وأصوله. والكتاب مرتب في كل قسم على أسماء المؤلفين بادئاً بأقدمهم وفاة حتى أحدثهم بها. ثم ترجم لكل منهم بنبذةٍ ذكر فيها اسمه، وأثبت تحته لفظه بالحروف اللاتينية، ثم ذكر ولادته ووفاته بالتاريخين الهجري والميلادي، وتناول شيئاً من حياته وأعماله ومكانته، ثم ختم بذكر المراجع والمصادر التي اعتمدها في سيرته.

ثم سرد تحت كل واحد منهم ماله من مخطوطات في المكتبة

البريطانية، فوصف كل مخطوطة وصفاً وراقياً دقيقاً، فذكر رقمها وعدة أوراقها ومسطرتها، ووصف خطها وورقها، وأشار إلى ما عليها من شروح إن وجدت، ومن طبعات، وشيئاً مما كتب في أولها وآخرها، وتاريخ نسخها.

ذُيل الكتابُ أخيراً بفهارس للأعلام وأعلام المترجَمِين والنُّساخ والكُتب والبلدان والمواضع عدا قائمة المراجع والمصادر العربية ثم الأجنبية.



## ملحق (٥)

# أبحاث في السياسة والتاريخ اليمني

**للأستاذ الدكتور حسين عبد الله العمري (صادر باللغة الإنجليزية عن دار الفكر)**

ينطوي هذا الكتاب على مقالات ومحاضراتٍ وأطروحاتٍ متنوعة ـ جُمعت من أجل الباحثين والقُراء الأجانب المهتمين بالتاريخ السياسي والثقافي لليمن ـ تتعامل مع تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، الذي يمتد بين القرنين الثامن عشر والعشرين، وتكشف نص فتوى للعالم المقبلي بشأن الوضع الشرعي للباطنية والإسماعيلية من بين سكان همدان، التي لم يسبق لها أن نشرت، ووثيقةٍ تتضمن مراسلات الإمام يحيى حميد الدين مع قبائل شرقي وجنوبي اليمن من أجل تحرير عدن من القوات البريطانية.

وهو يبين ما ورد، أولاً، في وثيقة الميثاق الوطني (المقدّس)، التي تمثل التوجه النظري والدستور المؤقت للحركة الوطنية والقوى المعارضة للإمام يحيى، وثانياً، الوثيقة الوطنية (الميثاق الوطني) لعام ١٩٨٢م، التي تمثلت بدايتها وظروفها بثورة عام ١٩٦٢م في الشمال والاستقلال في الجنوب عام ١٩٦٧م، بينما كان يمر اليمن بفتراتٍ قاسيةٍ من النضال، وعدم الاستقرار، وظهور التطرف، والآراء المختلفة لليمين الإسلامي، واليسار اللينيني الماركسي.

ثم يُقدّم نبذةً تاريخية؛ فيُذكّر بعلاقات اليمن مع أوربة ومملكة هولندة،

ويتحدث بدراية عن حياة آخر إمام، محمد البدر الذي كان آخر من حكم اليمن من الأئمة.

وفي الختام، يناقش الكتاب بالتفصيل دور وسائل الإعلام اليمنية/ العربية في آسية خلال القرن العشرين، والدور اليمني (الحضرمي) في شرق آسية وإندونيسية وماليزيا وسنغافورة، ثم يتحدث عن تماثل ظرفي لمدينتي فيينا وصنعاء من ناحيتي الجمال الساحر والحصار العثماني لكليهما في القرن السادس عشر.



# ملحق (٦)

# إشهار

## «مؤسسة اليمن للثقافة والتراث»

## في ١١/٥/٢٠٠٦م

شهدت قاعة المركز الثقافي بصنعاء الخميس ١١/٥/٢٠٠٦ حفلاً خطابياً وفلكلورياً ومعرضاً للأزياء والفن التشكيلي بمناسبة التدشين الرسمي لمؤسسة اليمن للثقافة والتراث.. حضره عدد من الإخوة أعضاء مجلسي النواب والشورى إضافة إلى عدد من المفكرين والأدباء والكُتاب والصحفيين والمهتمين بالثقافة والتراث في طليعتهم الأستاذ الكبير عبد العزيز المقالح ومعالي الأخ وزير الثقافة السابق الأستاذ خالد الرويشان.

وفي الحفل الذي بدئ بآي من الذكر الحكيم، ألقى الأخ الأستاذ علي محمد الآنسي مدير مكتب رئاسة الجمهورية رئيس الهيئة الاستشارية للمؤسسة كلمة رحب في مستهلها بالحاضرين شاكراً تفاعلهم وحضورهم الخلاق والذي سيدفع المؤسسة إلى ترجمة الأهداف والطموحات التي تنشدها وينشدها الجميع.

وقال: «.. إنه لمن حُسن الطالع أن يتزامن الإعلان عن إنشاء هذه المؤسسة مع احتفالات بلادنا بالعيد الوطني الـ١٦ لقيام الجمهورية اليمنية وإعادة تحقيق الوحدة المباركة مشيراً إلى أن قيادتنا السياسية ممثلة بفخامة

الأخ الرئيس علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية (حفظه الله) يدفع باتجاه تشجيع هذه المبادرات الخلاقة، ومنها إشهار هذه المؤسسة التي تأسست بناءً على عمل دؤوب استمر ما يقرب من سنة ونصف.. موضحاً أن الفكرة وحدت كل تشجيع وكل حماس من كل من استمع إليها معرباً عن اعتقاده بأن فعاليات هذا الاحتفال تمثل بداية طيبة لفعاليات أكبر وفق الأهداف المرسومة والمنشودة للمؤسسة..

وعبر الأخ رئيس الهيئة الاستشارية عن الشكر لكل الذين أبدوا التشجيع والتفاعل، والذين تحدثوا في كلماتهم عما ننشده من وراء إنشاء هذه المؤسسة، وما تهدف إليه من آمال وطموحات، باعتبار أن صنعاء تسكن في أفئدتنا وعقولنا، مشدداً على أن كل ذلك بحاجة إلى ترجمة عملية في الميدان من خلال برنامج واضح المعالم لهذه المؤسسة، تستطيع به ومن خلاله ومن خلال كل منتسبيها تقديم كل ما يمكن للمواطن المقيم في صنعاء من خدمة ثقافية واجتماعية، مؤكداً على أنه لا بد من العمل في سبيل إظهار هذه المدينة في أبهى حللها وأجمل وأنقى صورها، ولابد من تشجيع الإبداع والمبدعين فيها، ولابد من أن تكون هذه المؤسسة رافداً لكل المؤسسات الثقافية والإبداعية والمؤسسات الاجتماعية، وتكون عونًا لوزارة الثقافة ورافداً لها أيضاً، وقال:

إن الآمال المعقودة على هذه المؤسسة كبيرة وواسعة، ونسأل الله أن يوفقنا إلى خدمة أبناء مدينة صنعاء بصفة رئيسية وكل أبناء اليمن قاطبة باعتبار أن صنعاء هي عاصمة الجمهورية اليمنية، ولنعمل بكل ما أوتينا من جهد، ونسعى إلى توسيع مجالات الإبداع ودعمها وتشجيعها، ونعطي الانطباع المثالي لما تعنيه مؤسسات المجتمع المدني التي ينبغي أن تركز اهتمامها على الجوانب الثقافية والاجتماعية وخدمة المواطن.

متمنياً في ختام كلمته للجميع التوفيق والنجاح.

وكان الأخ الأستاذ مطهر أحمد تقي الرئيس التنفيذي للمؤسسة قد ألقى كلمة أوضح فيها أن مدينة صنعاء العاصمة التاريخية والأبدية لليمن تختزل المكون الحضاري والثقافي لجميع مناطق الوطن اليمني الواحد، مشيراً في هذا الصدد إلى أن أحد الأشقاء العرب المهتمين بالثقافة والموروث الحضاري التقاه مؤخراً، وقال عند اطلاعه على الصحيفة التي تصدرها المؤسسة: لقد أحسنتم صنعاً حين أطلقتم اسم صنعاء اليمن على هذه الصحيفة لأني أشعر وأنا مواطن عربي أن صنعاء هي مثار اعتزاز وفخر ليس لأبناء اليمن وحده، وإنما لكل مواطن عربي...

وقال الأخ مطهر تقي في كلمته: إن صنعاء هي قبلة كل اليمنيين من كل مناطق اليمن لمن يطلب العلم والسياسة والمهنة، ومن يريد أن يعيش ويعشق الحياة... كما أنها عبر التاريخ مركز تراث كل أبناء اليمن، ومن تخريجات اسمها أنها اشتهرت بالصناعة... مضيفاً أن سكان هذه المدينة التي هي ملك لكل أبناء اليمن يمثلون نسيجاً متناغماً من مختلف أنحاء اليمن، وهم بحق يجسدون الوحدة الوطنية..

وأشار إلى أن مؤسسة اليمن للثقافة والتراث وانطلاقاً من تلك الحقائق قد اختارت لصحيفتها اسم صنعاء اليمن موضحاً أن الذين اسهموا في إنشاء هذه المؤسسة ارتأوا أن تبدأ المؤسسة بإصدار الصحيفة كصوت يعبر عنها ويترجم أهدافها من ناحية، ولكي يتواصل عمل المؤسسة بجدية من ناحية أخرى...

وأكد في كلمته أن المحافظة على موروثنا الحضاري والثقافي بكل مكوناته، ودعم الصناعات الحرفية خصوصاً تلك المهددة بالانقراض سواءً في صنعاء أو في بقية المدن اليمنية التاريخية، يأتي في طليعة الأهداف والمهام التي ستضطلع بها المؤسسة شاكراً في ختام كلمته كل من أسهم في تأسيسها ودعمها...

بعد ذلك قدم فريق من جمعية المنشدين بقيادة الأخ علي محسن الأكوع مقطوعات من الأناشيد التي عكست وجسدت جمال ورقة وعذوبة التراث الإنشادي اليمني وأصالته... وكان الحاضرون الذين غصت بهم قاعة المركز الثقافي يقاطعون الوصلات الإنشادية بالتصفيق تعبيراً عن إعجابهم وتقديرهم..

وألقى الأستاذ الدكتور حسين عبد الله العمري رئيس مجلس الأمناء كلمة أوضح فيها الأهداف والغايات والآمال لهذه المؤسسة الوليدة نلحقها فيما يلي:

**نص كلمة رئيس مجلس أمناء المؤسسة:**

لم يَعُدِ اليومَ الاهتمامُ بالتراث الثقافي حصراً على المؤسسات الحكومية، كما كان سائداً لدى كثير من دول العالم الثالث، وإنما أصبح هَمّاً وطنياً يشمل المجتمع كُلّه وبوجه خاص منظمات المجتمع المدني والقطاع الخاص.

وإذا كانت الدولة رسمياً هي المناط بها حمايةُ التراث الثقافي، فإن المسؤولية الأخلاقية تقع بالدرجة الأولى على المواطنين، والتراث في الواقع هو قريب من الناس وهو منهم وإليهم، ولكنه في هذه المرحلة الحرجة من تاريخنا، تزداد مطالب السوق وتتسع مشروعات التنمية ويخضع كلُّ شيءٍ للمضاربات العقارية، وتصبح مواد التراث ـ كالآثار والمخطوطات والنتاج الحرفي والفني الأصيل وغيرها ـ سلعاً لجمع المال، وسوقاً للتجارة والتهريب، ويصبح الاعتداء على المعالم التاريخية سِمة من سمات الحياة المعاصرة، والنتيجة إتلافٌ وضياعٌ لأهمِّ عناصرِ الهُوية الوطنية في وقتٍ قصيرٍ وفي غفلةٍ من غفلات تاريخنا المعاصر...

وَكَم سُعِدنا وتفاءلنا كثيراً عندما أعلِنَ قبل نحو عَقدٍ من الزمان تأسيس مؤسستين رائدتين في بلادنا؛ اعني مؤسسة السيد للثقافة والعلوم بتعز،

ومؤسسة العفيف الثقافية بصنعاء، وحديثاً مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي على تفاوت في الاهتمامات والأوضاع الخاصة بكلٍ منها.

ولم تكن اليمن فيما مضى من تاريخها بعيدةً بشكل أو بآخر عَمّا تطور وترسخ في الغرب من إنشاء مؤسسات تعليمية وعلمية وثقافية وقفية خاصة تخدم العلوم والأبحاث، أدّت في العصر الحديث إلى الثورة التكنولوجية والثقافية الهائلة التي مازلنا ـ نحن العرب اليوم ـ نحاول تقليدَها أو اللحاقَ بها...

**الحضور الكريم..**

إن الاهتمام بالتراث الثقافي ليس تَرَفَاً، وإنما هو في صميم اهتمام أمّتِنَا، إذ إنه في حقيقة الأمر تعبير عن الهوية الوطنية والذاتية الثقافية.

وليس غريباً أن يتداعى عدد من الإخوة المهتمين بهذا الشأن والهم الوطني لتأسيس هذه المؤسسة التي نحتفل بإشهارها اليوم، وأن يجدوا ترحيباً وتشجيعاً من عددٍ كبيرٍ من الناس أنتم جميعاً معشر الحاضرين في طليعتهم، وليست رعاية الأخ الأستاذ القدير علي محمد الآنسي لهذا الحفل الكريم بل وتشرُفُ المؤسسة برئاسته لمجلس هيئتها الاستشارية إلّا دلالة على التوجُّه العام ـ دولة ومواطنين ـ لتشجيع ودعم مثل هذه الأعمال الخيرية والخيّرة للإسهام الجاد في إزالة الفجوة الهائلة بين أجيال أيامنا هذه وجذورها الأصيلة، ابتعدت كثيراً عن منابع التراث والثقافة اليمنية العربية والإسلامية والتي لم يَخلُ فيها عَلَمٌ كبير، أو عَالِم قدير، أو مبدع شهير من أعَلامها الكبار في عَصرٍ من العصور، ولم يَتَبَقّ في أذهان هذا الجيل أيٌ من تراث قادة النضال الوطني في مسيرتنا الطويلة إلّا صُوراً باهتَة، أما الاهتمام بشؤون الناس والرعاية الاجتماعية للمعوزين والمرضى والعاطلين عن العمل على كثرتهم في المدن والريف فقد ترك

لقلة من أهل الخير والإحسان والوزارات المعنية، وهو مَا لا حاجة لنا للاستطراد فيه في هذا المقام.

إن حماية المدن التاريخية والبيئة الحضرية، وفي مقدمتها صنعاء عاصمة اليمن في كل العصور وحاضرته الأولى، في حاجة إلى كل الجهود الرسمية والدولية والشعبية، والتي نأمل ونرجو أن يكون بالدرجة الأولى هَمَّ هذه المؤسسة، كما هو هَمُّهَا أيضاً الإسهام في إبراز الدور التاريخي لرموز اليمن العلمية والتاريخية والوطنية، ونشر المعرفة لبلورة الشخصية اليمنية ذات الأبعاد المختلفة والمعتدلة في العقيدة والسلوك والخلق القويم.

ولقد كان في مقدمة أهداف هذه المؤسسة الرائدة إن شاء الله هو «الإسهامُ في بناء التنمية الثقافية والاجتماعية وإحياءُ التراث الفكري والفني، والقيامُ بالأبحاث والدراسات المتعلقة به وتيسير ذلك للباحثين والمهتمين».

ومن أهداف هذه المؤسسة ـ أيضاً ـ المشاركة في الحفاظ على الحياة الثقافية والتراثية والاجتماعية لمدينة صنعاء وبقية المدن اليمنية التاريخية تعزيزاً لأبعادها الحضارية والإنسانية، وإبرازها للعالم بأفضل الطرق الممكنة.

ولم يغرب عن بال المؤسسين هدفٌ هامٌ آخر؛ هو تنسيق التعاون، وتوكيد الشراكة مع الهيئات والمؤسسات العامة والمنظمات الأهلية والإقليمية والدولية، وذلك خدمةً للأغراض المرجوة وحُسنِ الإفادة من هذا التعاون.

**الإخوة والأخوات، الضيوف الكرام..**

إنّهُ لمن حُسنِ الطالع وجميل المصادفة أن يأتيَ احتفالُنا بهذا الإشهار متزامناً مع أغلى منجزات الوطن وأعظمِها حَدثاً وأخلدِها ذِكراً وأعزها مكانةً؛ ألا وهي الذكرى السادسة عشرة لقيام الوحدة اليمنية المباركة... واسمحوا لي بهذه المناسبة أن أرفع باسمي وباسم مجلس أمناء مؤسسة اليمن للثقافة والتراث بل وباسمكم جميعاً ـ أسمى آيات التهاني والتبريكات لفخامة الأخ الرئيس علي عبد الله صالح، صانعِ ذلك الحدث الخالدِ وباني نهضة اليمن الحديث.

بارك الله لنا جميعاً ولوطننا الحبيب قيادةً وشعباً هذا الإنجازَ التاريخي المشهود، وسدّد خُطا المخلصين والعاملين والسائرين على دَربِه، شكراً لحُسن استماعكم والسلام عليكم.

أما الأخ الأستاذ خالد عبد الله الرويشان وزير الثقافة فقد تمنى في كلمته أن تتحول الأحزاب والتنظيمات والصحف إلى جمعيات ومؤسسات ومنظمات تهتم بالموروث بكل مكوناته، وأن يصبح الناس في هذا الوطن صدى لما فيه من جواهر ولآلئ ولما فيه من تراث ومواهب..

وحيا تأسيس مؤسسة اليمن للثقافة والتراث معرباً عن الأمل في أن تكون أنموذجاً حقيقياً لتقديم الثقافة اليمنية والحفاظ عليها لتكون منبعاً صافياً ونقياً بكل ما في الكلمة من معنى..

وقال: إن هذا الافتتاح بهذا الحضور وهذا الحماس والحب هو خير دليل على النجاح المتقدم، حيث إن الكتاب يعرف من عنوانه مؤكداً أن وزارة الثقافة سوف تقدم كل عون لهذه المؤسسة..

كما ألقى الأخ علي عبد الوهاب دويد قصيدة شعرية حملت عنوان (صنعاء الحضارة) وقوبلت بالإعجاب والتصفيق من الحاضرين.

# ملحق (٧)

# إعلان تأسيس

منتدى جسور الثقافة (برئاسة معالي الأخ الدكتور عبد الكريم بن علي الإرياني)[1]

## (النظام الأساسي للمنتدى)

**تمهيد:**

جاءت الحاجة إلى تأسيس (منتدى جسور الثقافة) كمؤسسة لا تهدف إلى تحقيق الربح استجابة للاهتمامات الوطنية الدولية بضرورة الحوار الثقافي بين الحضارات؛ كونه يمثل الحل الأمثل لتجاوز المفاهيم المغلوطة والمتطرفة حول طبيعة الثقافات والأديان في تلك المجتمعات، وعلى وجه الخصوص مجتمعات المنطقة العربية. وقد تميزت الجمهورية اليمنية بالتفاعل الجاد مع هذه الدعوات من خلال المبادرات واللقاءات والمؤتمرات الرسمية.

---

(١) كان الكاتب (أ.د. حسين العمري) والأستاذ الدكتور يوسف محمد عبد الله وفضيلة القاضي العلّامة حمود الهتار من الأعضاء المؤسسين كما اختير الأستاذ جمال العواضي أميناً عاماً للمنتدى، وقد نشط المنتدى، وأقام عدة ندوات ومؤتمرات آخرها في شهر أيار/مايو ٢٠٠٨ عن التسامح الديني والسياسي في اليمن، وشارك كثير من العرب واليمنيين المختصين فيها .

اسم المنتدى: منتدى جسور الثقافة.

موقعه: يكون المركز الرئيسي في صنعاء، ويجوز أن يفتح فروعاً له في أنحاء الجمهورية اليمنية.

**المادة (٢): تعريفات**

الجمهورية: الجمهورية اليمنية.

المنتدى: منتدى جسور الثقافة.

المؤسسين: رئيس المنتدى وهو رئيس مجلس الأمناء.

الأمين العام: أمين عام المنتدى وهو أمين عام مجلس الأمناء.

**المجلس: مجلس الأمناء**

مجلس الروابط الثقافية: يشكل من عدد من ممثلي الدول الصديقة والشقيقة والمنظمات الدولية العاملة في اليمن المهتمة في دعم التبادل الثقافي وحوار الحضارات.

**أهداف المنتدى ومهامه**

**المادة (٣): رسالة المنتدى**

يسعى المنتدى إلى نشر ثقافة مدنية حديثة، وفتح نافذة ثقافية وفكرية لليمن على العالم بهدف تقديم الحضارة والتاريخ والثقافة اليمنية والتسامح الديني والأخلاقي الذي يتمتع به المجتمع اليمني، بالإضافة إلى المساهمة في تطوير الوعي بأهمية الديمقراطية وحقوق الإنسان، والوعي البيئي في عديد من المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والسعي لدى المجتمع والدولة لتثبيت هذه القيم التي تقوم على أساس مبادئ وقيم ديننا الإسلامي الحنيف.

**المادة (٤): أهداف المنتدى**

١ ـ المساهمة في نشر ثقافة الحوار الثقافي الديمقراطي في الحياة العامة، واعتماد مبدأ الحوار البناء والتواصل مع الثقافات الأخرى، وتقديم الثقافة والتراث الحضاري التاريخي اليمني العربي للعالم.

٢ ـ المساهمة الفاعلة في التعامل مع المؤسسات المحلية والدولية التي تعمل في مجال حوار الثقافات والتنمية الديمقراطية مما يخدم تطوير التجربة الديمقراطية اليمنية نحو مستقبل أفضل.

٣ ـ العمل على ترسيخ قيم الاعتدال ونبذ التطرف الفكري والديني.

٤ ـ المساهمة في توسيع مشاركة المرأة في مختلف المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

٥ ـ المساهمة في تنمية الوعي بأهمية الحفاظ على البيئة وحمايتها.

**المادة (٥): مهام المنتدى:**

يقوم المنتدى لتحقيق رسالته وأهدافه بالمهام التالية:

١ ـ عقد وتنظيم المؤتمرات والندوات والمحاضرات والاجتماعات والمعارض وتقديم الخدمات، المعلوماتية والاستشارية.

٢ ـ إجراء حلقات تشاورية مع صناع القرار السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي في إطار تحقيق أهداف ورسالة المنتدى.

٣ ـ تبادل الخبرات والمعلومات مع المؤسسات المحلية والدولية ذات الأهداف المتشابهة.

٤ ـ إصدار النشرات والمجلات والكتب واستخدام وسائل الاتصال المختلفة لتوصيل رسالة المنتدى إلى الفئات المستهدفة في المجتمع.

٥ ـ تجميع الوثائق والبيانات وتقويم الأداء للقطاعات الثقافية الديمقراطية على الجانب الرسمي والأهلي.

٦ ـ عقد لقاءات دورية مع ممثلي الدول المانحة والمنظمات الدولية لتقويم خطوات التجربة الديمقراطية اليمنية بالإضافة إلى كيفية تفعيل دور منظمات المجتمع المدني في اليمن كونها أحد روافد الثقافة المدنية اليمنية الحديثة.

٧ـ القيام بأي مهام أخرى تدخل في نطاق رسالة المنتدى وأهدافه.



# ملحق (٨)

**تشكيل منتدى:**

## أصدقاء الكتاب

أسفرت اللقاءات التي أجراها رئيس الهيئة العامة للكتاب الدكتور فارس السقاف مع فعاليات ثقافية وعلمية واقتصادية ورجال المال والأعمال عن ولادة (منتدى الكتاب) الذي سيدعم جهود الهيئة في نشر الكتاب وتعميم القراءة.

وهو عبارة عن إطار للشراكة بين الهيئة ورجال أعمال ومثقفين يجمعهم هاجس واحد؛ هو إيصال الكتاب وتيسيره للكثيرين ممن تحول بعض العوائق بينهم وبينه. وبعد مشاورات مكثفة أجراها رئيس الهيئة مع مختلف المعنيين والمهتمين أعلن عن تأسيس (منتدى الكتاب) والذي حظي بالرعاية الشرفية من قبل أحمد علي عبد الله صالح الذي حبّذ الفكرة وتبنّى دعمها بكل السُّبل.

**(١) وفقاً للإطار التنظيمي والمؤسسي يرمي المنتدى إلى:**

١ ـ توفير فضاء حواري حول الكتاب والقراءة في اليمن، وإدراجهما ضمن جدول الشراكة بين مختلف الفاعلين المعنيين في القطاع الحكومي ورجال الأعمال والمانحين والداعمين الدوليين عبر مختلف وسائل التعبير (مؤتمرات/ ندوات/ محاضرات.. إلخ).

٢ ـ النهوض بوضعية الكتاب وآفاق تطوره.

٣ ـ بحث سبل دعمه.

٤ ـ تقديم المقترحات البناءة التي تسهم في تفعيل دوره من خلال التشريعات والتوصيات للجهات المعنية.

٥ ـ دعم ترجمة الكتب مِن وإلى اللغات المختلفة.

٦ ـ ترشيح واختيار الكتب والأعمال الجيدة والمتميزة في مختلف حقول المعرفة ومن ثم طباعتها ونشرها وتوزيعها.

٧ ـ توسيع وتنويع مجالات وقاعدة القراءة والقرّاء في اليمن بتمكين أكبر قطاع من المجتمع من الوصول إلى الكتاب بكل يسر وسهولة.

٨ ـ كسب وحشد جهود الأفراد والجماعات والمؤسسات المختلفة في سبيل نشر الكتاب والمعرفة وتعزيز الدور الذي يلعبه.

٩ ـ نشر ثقافة دعم الكتاب وتحفيز الآخرين إلى بذل التبرعات والهبات والوصايا والوقف في خدمة الكتاب ودعم مشروع القراءة للجميع.

١٠ ـ العمل والتعاون مع الأطراف المختلفة من أجل توفير مطبعة خاصة للهيئة.

١١ ـ استحداث ورصد جوائز لأهم الإصدارات وأكثرها انتشاراً.

١٢ ـ تعزيز تواصل الشخصيات العالمية والاجتماعية والاقتصادية مع الكتاب بغية ربطه بمحيطه الاقتصادي والاجتماعي ومتطلبات التنمية.

١٣ ـ التواصل مع المنتديات والتشكيلات المماثلة في الوطن العربي والعالم الخارجي.

**(٢) يدار المنتدى من قبل مجلس أمناء يتكون من أعضاء محددين من الشخصيات العامة والعلمية والأكاديمية ورجال الأعمال.**

**(٣) رئيس الهيئة العامة للكتاب هو الأمين العام للمنتدى.**

**(٤) مهام مجلس الأمناء:**

- ترشيح واختيار الأشخاص لعضوية المنتدى.

- المشاركة في وضع الاستراتيجية العامة لنشر وتوزيع الكتاب.

- إقرار النظام الأساسي للمنتدى واللائحة التنفيذية.

**(٥) الموارد المالية للمنتدى على النحو التالي:**

**- المخصصات السنوية التي تعتمدها الهيئة ضمن موازنتها السنوية لدعم المنتدى.**

- المساعدات والتبرعات والهبات المقدمة من الحكومة أو الأفراد أو رجال الأعمال أو الهيئات والمؤسسات المحلية والدولية.

- عائدات استثمار أموال المنتدى إن وجدت.

- أي مصادر أخرى.



## ملحق (٩)

# تدشين مركز سبأ

### للدراسات الاستراتيجية

# النبأ اليقين من «سبأ»

عبد الرحمن بجاش
الخميس - ٢٩ - أيار / مايو - ٢٠٠٨
صحيفة الثورة

مركز «سبأ للدراسات الاستراتيجية» أحد منظمات المجتمع المدني، وهو مستحدث جديد، تم إنشاؤه حديثاً ويرأسه أ. د. حسين عبد الله العمري، وهو مؤسسة فكرية «بيت خبرة» مستقلة وغير ربحية، ورسالته تزويد صناع القرار في اليمن بسياسات بديلة معقولة، ومن أهدافه طرح التساؤلات الصحيحة حول القضايا الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية المتعلقة باليمن والمنطقة، ودعم الدراسات والأنشطة التي من شأنها تحسين التعليم وتعزيز التفكير النقدي، وتحرير المناهج من المفاهيم المغلوطة والمسلمات الخاطئة وأساليب التعليم التقليدية القائمة على الحفظ دون التفكير والنقد، إضافة إلى أهداف أخرى، يرأس المركز شخصية علمية ومفكر محترم هو الأستاذ الدكتور حسين عبد الله العمري،

وسيصدر عن المركز مجلة «سبأ لدراسة الشرق الأوسط»، بحثية ربع سنوية محكمة تعنى بالشؤون السياسية والأمنية، والاقتصادية والاجتماعية في الشرق الأوسط، أما نطاق اهتمامه فقد تم تعريف مجال ونطاق اهتمامات المركز بمحددين:

١-مجال اهتمامات المركز البحثية حول دراسة الشؤون الاستراتيجية «الأمن والدفاع» والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٢-النطاق الجغرافي لاهتمامات المركز البحثية يغطي:

-اليمن.

-النطاق الحيوي لليمن، الذي يضم الدول المطلة على البحر الأحمر ودول الخليج، «دول مجلس التعاون الخليجي، وإيران، والعراق».

-منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقية واللاعبين الدوليين الرئيسيين، «وحيث إن المحددات المذكورة أعلاه متداخلة، بحكم طبيعة العلاقات الدولية، فإن اليمن يؤثر ويتأثر بتفاعل وتداخل كثير من تلك العناصر، وعليه فالمركز يقوم بتناول دراسة وتحليل هذه العناصر والقضايا ما دام لها أثر أو تأثير في اليمن سواء كان ذلك مباشراً أم بشكل غير مباشر، وبنية طيبة أتمنى ألا ينضم المركز إلى سلسلة المراكز التي سادت لبعض الوقت ثم بادت، وذلك - وبصراحة متناهية - لحرفيتنا في وأد كل جميل في حياتنا، لكن يبدو من المظهر العام لمقر المركز أن مبررات أن يسود هي الغالبة، وسبب آخر يجعلني أميل إلى أخذ ذلك الانطباع مأخذ الجد هو أن شخصية علمية مثل أ. د. حسين العمري لا يضع نفسه إلا حيث يجد شخصه محل الثقة بالاستمرار..

والحق أقول: إن مراكز مثل هذا المركز تقليد معمول به في الغرب، ولا سيما من نلعنها ليل ونهار ونحبها طوال الوقت وكل ما تأتي به، أمريكة، فمثل هذه المراكز تقدم الرأي والرؤية لصناع القرار، بشرط أن

يكون للأمر بمجمله بعده المؤسسي عند المرسل والمتلقي.. فلن يكتب لأي رأي أو رؤية أن تقدم لأشخاص بقدر ما المطلوب، للأخذ بها والاستفادة منها ، أن تقدم إلى مؤسسة..

وعلى كل حال نحن في انتظار لمخرجات المركز التي هي كثيرة، على أنني سأعود إلى الكتابة عما أرى ضرورة تسليط الضوء عليه لأهميته من وحي بعض الأوراق التي قدمت.. وجمعة مباركة..



# الفهارس العامة

# فهرس الأعلام


آرثر آربري: ٢٧١
آل بركات: ١٧٥، ١٧٧
آل السحولي: ١٢٤
آل الشجري: ١٢٤
آل شرف الدين: ١٥٣
آل العمري: ٣٤٨
آل القاسم: ٣٣٩
الآنسي (المؤرخ): ٢٧٥
آنشتاين: ٧٣
إبراهيم أبو لغد: ٢٠٢
إبراهيم باشا: ١٥٤
إبراهيم بن إسماعيل الجرافي: ٢٧٦
إبراهيم بن الوزير: ٢٦٩
إبراهيم الحمدي: ٢٤، ٢٩
إبراهيم خليل: ٢٥٤
إبراهيم الشامي: ٢٦٩
إبراهيم شبوح: ١٩٥
إبراهيم المقحفي: ١٤٠
ابن تيمية: ٩٧
ابن حاتم: ٢٧١
ابن خلدون: ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨
ابن دريد: ١٨٦
ابن زيني دحلان: ١٧٩
ابن سعود: ١٠٩
ابن سيده: ١٨٦
ابن شرف الدين: ٢٧٥
ابن عباس: ١٨٨
ابن فرحون: ٣٤
ابن قتيبة: ٣١، ٣٢، ٩٦
ابن منظور: ١٨٦
أبو الأحرار الزبيري: ٢٦٨
أبو بكر القربي: ١٠٥
أبو حنيف: ٣٢
أبو حنيفة: ١٣٢، ٩٤
أبو طالب بن حسن الثاني: ١٧٩
أبو طالب (الشريف)، ١٦٥
أبو الطيب المتنبي: ٢٣، ٢٤
أبو عبد الله بن الأزرق: ٣٢، ٣٥
أبو عبد الله بن المستمسك: ١٥١

أبو عمار = ياسر عرفات: ٢٨٦، ٦٦
أبو الفتح بن الحسين الديلمي: ١٤٩
أبو نمي بركات: ١٦٠
أبو نمي = الشريف محمد: ١٦١، ١٦٢، ١٦٤
أبو يوسف: ٩٤
الأتراك: ١٥٠، ٣٤، ٣٥٢، ٤٤، ٤٥، ٤٦
أحمد باشا: ١٥٤، ١٦٨
أحمد بن أبي نمي: ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥
أحمد بن أحمد الجرافي: ٢٧٤
أحمد بن أحمد الخضراني: ٢٦٦
أحمد بن حسن: ١٨٠
أحمد بن زيد: ١٦٧، ١٦٨، ١٧٣
أحمد بن زيني دحلان: ١٥١
أحمد بن سليمان: ١٤٩، ١٥٠
أحمد بن عبد المطلب: ١٦٧
أحمد بن غالب: ١٦٨، ١٧٣، ١٧٩
أحمد بن محمد بن بركات: ١٧٩
أحمد بن محمد الشامي: ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٨
أحمد بن محمد القابلي الحرازي: ١٢٢
أحمد بن مسعود: ١٦٦
أحمد بن المنصور: ١٢٣
أحمد بن نصر الحسني: ١٦٢
أحمد بن يحيى: ٩٨
أحمد بن يحيى المعلمي العُتمي: ١٤٣
أحمد حميد الدين: ٣٢٩
أحمد الصياد: ٢٨٩
أحمد عبد الله بن المتوكل: ٣٣٢
أحمد عبد الله السقاف: ٢٢١
أحمد علي عبد الله صالح: ٣٧٤
أحمد عمر زيلعي: ١٤٢
أحمد عمر المزجاجي: ١١٤
أحمد الغشمي: ٢٤، ٢٤، ٢٧، ٢٩
أحمد فخري: ٢٦٩
أحمد الكبسي: ٢٣٠
أحمد = المتوكل: ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١
أحمد محمد صوفان: ٢٣٠، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٩
إدوارد سعيد: ٢٠١، ٢١٧، ٢٦٣، ٢٨٥، ٢٨٦
أدولف هتلر: ١١٤
الأرغو: ٥٨
أرنست روبرت: ٢٠٩
أرنولد توينبي
أريش أورباخ: ٢٠٩، ٢٠٩
أزدمر باشا: ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٨١
الأستراليون: ٥٥، ٥٦
إسرائيل: ٤٢
إسرائيل صبيري: ١١٣
الإسرائيليون: ٥٨

أسعد باشا: ١٧٦
أسعد تبع الكامل: ١٩١
إسكندر: ١٥٣
إسماعيل بن أحمد الجرافي: ١٤٠، ٢٦٣، ٢٧٤، ٢٧٥
إسماعيل بن علي الأكوع: ١٤٠
إسماعيل بن القاسم: ١٨٠
إسماعيل بن يحيى الصديق الصعدي: ١٢٤
إسماعيل بن يوسف الأخيضر = السفّاك: ١٤٦
إسماعيل جغمان: ١٤٢
إسماعيل محمد البشري: ١٤٢
إسماعيل الوزير: ٢٨، ٣٠
الإسماعيلية: ٩٣، ٣٦١
الإسماعيليون: ١٧٠
أشواق أحمد غليس: ١٢٠
إقبال أحمد: ٢٠٢
الأكراد: ٥٧
ألبرت حوراني: ١٩٨
ألفرد بيستون: ٢٧٢
ألكسندر ديمقرية: ٧٢
الإمام المتوكل: ١٢٤
امرؤ القيس: ١٦٦
الأمريكيون: ٨١
أنور السادات: ٢٤٠
أوهريد: ٨٣
أويس باشا: ١٨١
إيف لاكوست: ١٩٩
بابا الفاتيكان: ١٢
الباطنية: ٣٦١
بانسيري: ٢٤٤، ٢٤٥
باول: ٦٦
البرتغاليون: ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٤
بركات بن محمد الحسني: ١٦٠، ١٦٨، ١٧٩
برنارد لويس: ٢٠٥، ٢١٧، ٢١٨
برهان باشا: ١٨١
بروس كندة = عبد الرحمن الكندي: ٢٧٩
بروفر: ١١٢
بشير آغا الطواشي: ١٦٣
بلفور: ٤١
بنو الأخيضر الحسنيون: ١٤٥، ١٤٧
بنو فليتة: ١٤٧
بهرام: ١٥٦، ١٨١
البوذيون: ٨٧
بورروس: ٢٥٠
بيكو: ٤١
تبع الأكبر: ١٩٠
التشيك: ٥٦
تيمورلنك: ١٩٨
الجاحظ: ٢٧٢
جارودي: ٢١٦

جان بول باسكوال: ٣٣٢
جان لامبرت: ٣٣٢
الجبرتي: ٢٥١
جحاف: ٢٥١
الجراكسة: ١٥٤
الجرجاني: ٢١٥
الجزائريون: ٢٠٧
جعفر بن محمد: ١٤٦
الجعفري: ١٧٦
جمال عبد الناصر: ٢٦٨، ٣٢٩
جورج مارسي: ١٩٩
جوزيف كونراد: ٢٨٦
جون بولدري: ٢٦٢، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١
الجوهري: ١٨٦
حافظ: ١٠٦
حافظ الأسد: ٣٠
حافظ الشيرازي: ٢٠٩
الحرازي: ١٢٢
حسان ذي مراثد: ١٨٤
حسن باشا الوزير: ١٧٢، ١٨١
حسن بن أبي نمي: ١٥٧، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦
الحسن بن أحمد الجلال: ٩٨
الحسن بن أحمد الهمداني: ١٤١
الحسن بن حوشب: ١٤٨
الحسن بن علي بن أبي طالب: ١٤٥
حسن بن علي داوود المؤيدي: ١٧٢
الحسن بن قاسم: ١٢٤
حسن بن محمد بن بركات: ١٧٩
حسن بن مرعي: ١٥١
الحسن الثاني: ٢٢٧
حسن الثاني بن أبي نمي: ١٧٩
حسن محمد مكي: ٢٨
الحسن المغربي: ١٢٢
الحسنيون: ١٤٧
حسين أحمد علي بركات: ١٣٤
حسين بن أبي نمي: ١٦٦
حسين بن عبد الله العمري: ١٣٣
حسين بن علوي: ٢٢١
الحسين بن علي: ١٤٥
حسين بن علي العمري: ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٨٣
حسين بن قاسم بن علي العياني: ١٤٩
حسين بن قاسم = المنصور: ٣٣٥، ٣٣٧
الحسين بن يحيى: ١٠٥
الحسين بن يحيى الديلمي: ١٢٢
حسين الدفعي: ٢٨
حسين الشافعي: ٢٦٨
حسين عبد الله العمري: ٢٨، ٢٧٥، ٣٣٢، ٣٥٩، ٣٦٦، ٣٧٧
حسين الكردي: ١٥٢
حسين مطهر: ٣٢٩
الحلاق: ٢٥١

الحلبي : ٢٥٤
حمد بن جاسم : ٦٧
حمد بن خليفة : ٦٧
حمد الجاسر : ١٤٠ ، ١٤١
حميد العواضي : ٢٨٩
خادم الحرمين : ٣٠
خالد الرويشان : ٣٦٣، ٣٦٩
خالد طميم : ٧٤
الخليل بن أحمد : ١٨٦
خوسي أورتاقا : ١٩٩
خير بن المملوكي : ١٥٣
خير الدين حمزة : ١٥٤
دار بينجوين : ٢٠١
دانييل بايبز : ٢١٧
داوود بن عيسى : ١٤٧
داوود الرومي : ١٦٢
دبترش : ١١٣
الدحلان (المؤرخ)، ١٧٦
دعبل بن علي الخزاعي : ١٩٠
دلتاي : ٢٠٨
دونالد رامسفيلد : ٢١١
ديفيد فرومكين : ٤٨
ديكارت : ١٨
الديلم : ٩٥
الديلمي : ١٢٣
ذو نواس الحميري : ١٩٤
ذوو زيد : ١٧٤
راشد محمد ثابت : ٢٨
الرداعي : ١٤٢
رضوان باشا : ١٧٠ ، ١٨١
رفاعة الطهطاوي : ١٦
ركس سميث : ٢٧٠
روبين بيدول : ٢٧٣
رولى خلف : ٢١٢
ريتشارد روبيرل : ٢١١
ريما خلف هنيدي : ٢٣٠
زانج إكسينشيبج : ٣١٨
الزرادشتيون : ٨٧
زكي كرام : ١١٣
الزمخشري : ١٨٦
زيد بن علي : ٩٣ ، ٩٥ ، ١٤٨
زيد بن علي عفان : ٢٦٩
زيد بن محسن : ١٦٧ ، ١٧٩
زيد الموشكي : ٢٦٥
الزيني مصطفى الرومي : ١٦١
ساطع الحصري : ١٩٧
سالم عبد اللطيف الشوافي : ٢١٤
ساوبريد جورث : ٢٨١
سايكس : ٤١ ، ٤٣
ستك آيزن : ١١٥
سرجنت : ٢٦٣ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣
سعد بن زيد : ١٦٧
سعد الدين إبراهيم : ٣١

سعيد البحيري: ١٢٧
سعيد بن جبير: ١٨٨
سعيد بن سعد: ١٦٨، ١٧٩
سعيد بن نشوان: ١٨٥
السلطان سليم الأول: ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٨
السلطان سليمان القانوني: ١٦٩
السلطان الطاهري: ١٥٤
السلطان الغوري: ١٥٠، ١٥١، ١٥٢
السلطان مراد: ١٦٦
السلطان مراد الرابع: ١٦٣
سلمان الرّيس: ١٥٤، ١٥٥
سليم الثالث: ١٥٦
سليمان باشا: ١٥٥، ١٥٦
سليمان باشا الحقيّ: ١٦٤
سليمان الخادم الطواشي: ١٥٥، ١٦٨
سليمان خان بن بايزيد خان: ١٥١
سليمان العسكري: ١٥، ١٦
سليمان القانوني: ١٥٣، ١٥٥
سنان أبو لحوم: ٢٨
سنان باشا: ١٧٠، ١٧١، ١٨١
سوسيتو: ٢١٧
السيد نصر الله: ١٧٦
السيدة بنت أحمد: ١٤٩
سيف الإسلام الحسين
سيف الإسلام القاسم: ٢٥٤
شارون: ٦٦
الشافعي: ٩٤
شايف بدر عبد الله: ١٠٥
الشّجني: ١٢٤
الشراكسة: ١٥٦
الشريف محمد أبي نمي: ١٦٣
شكر بن أبي الفتوح: ١٤٦
شمّر يرعش: ١٨٩
شمس الدين الرشيد: ١٦١
شوقي: ١٠٦
الشوكاني: ٦٨، ٩٦، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ٢٥١، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤١
الشيباني: ٩٤
صالح باصُرّة: ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٨، ٧٢، ٧٤
صالح بن محمد العنسي: ٣٥٠
صالح بن مهدي المقبلي: ٩٨
صالح مصلح: ٢٨
صلاح الدين بن أبي السعود: ١٥٢
صلاح سالم: ٣٣٠
صموئيل هنتغنتون: ٢١٨
الطُّرطوشي: ٣٤
طه فوزي: ٢٦٩
طومان باي: ١٥١
عامر بن داوود الطاهري: ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦
عامر بن عبد الوهاب: ١٥٣

عباس = المهدي: ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٦، ٣٥٠، ٣٣٢
عبد الله أحمد غانم: ٢٨
عبد الله الأشطل: ٢٨
عبد الله البردوني: ٢٥، ٢٧
عبد الله بن حسين بن يحيى البركاتي: ١٧٧
عبد الله بن سعيد: ١٧٧
عبد الله بن علي عبد القادر: ٢٨٣
عبد الله الحبشي: ١٤٠
عبد الله حمران: ٢٨
عبد الله الزين: ٢٨٩
عبد الله السلال: ٢٤
عبد الله عبد المجيد الأصنج: ٢٨
عبد الله محيرز: ١٤٠
عبد الله = المهدي ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٠
عبد الخالق بن أبي الطلح الشهابي: ١٩١
عبد ربّه منصور هادي: ٧٥، ٣٥٣
عبد الرحمن الإرياني: ٢٤، ٢٦٨، ٣٥
عبد الرحمن بجاش: ٣٧٧
عبد الرحمن بن الحسن الأكوع: ١٢٤
عبد الرحمن الحداد: ٢٨٩
عبد الرحمن الطيب الأنصاري: ١٤١
عبد الرحمن عشيش: ٣٠
عبد الرحمن الكندي = بروس كُندة (قبل إسلامه)
عبد الرحمن المحجوب: ١٦٣
عبد الرزاق الصنعاني: ٩٤
عبد السلام الجوفي: ٢٩٠
عبد السلام الوجيه: ١٤٠
عبد العزيز آل سعود: ١٤٢، ١٤٣، ٢٥٢
عبد العزيز عبد الغني: ٧٥
عبد العزيز عثمان: ٢٥٧
عبد العزيز المسعودي: ١٢٠
عبد العزيز المقالح: ١٧، ٢٦٥، ٣٦٣
عبد الفتاح إسماعيل: ٢٨
عبد الفتاح الجندي: ٢٥٤
عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: ١٢٦
عبد القادر باجمال: ٢٩٠، ٦٨، ٧٤
عبد القادر بن عبد الله الكوكباني: ٢٦٣، ٢٨٣
عبد القادر الشويطر: ١٢٢
عبد القادر صوان: ٢٥٤
عبد الكريم الإرياني: ٣٠، ٤٨، ٤٩، ٣٧٠
عبد الكريم الأمير: ٢٦٦
عبد الكريم العرشي: ، ٢٦٣، ٢٧٧، ٢٧٨
عبد الهادي الهمداني: ٦٧
عبد الواسع بن يحيى الواسعي: ١١١
عبد الوهاب بن حسين: ١٢٤
عبد الوهاب بن عبد الله العرشي: ٢٧٧

عبد الوهاب راوح: ٧٤، ٢٩٠، ٧٢
عثمان باشا: ١٧٠، ١٨١
العثمانيون: ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٧، ١٨١، ٢١٨، ٩٨
العجم: ١٩١
عدنان حسين: ٢٩
العراقيون: ١١٦، ٢٠٧
العرب: ١٩١، ٢٠٦، ٢١٦، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٢، ٣٠٦، ٣٣٠، ٣٦٧، ٤٨، ٦٤، ٨١
عز الدين بن عبد السلام: ٣٤
علوي طاهر: ٢٢١
علي بن أبي طالب: ٢٣٧
علي بن أحمد الآنسي: ٢٨٣
علي بن أحمد الجرافي: ٢٧٤
علي بن أحمد السدمي: ٢٨٣
علي بن أحمد هاجر: ٣٣٩
علي بن إسماعيل المؤيد: ١٤٠، ٢٧٥
علي بن عباس: ١٨٠
علي بن عبد الله العمري: ٢٦٣
علي بن علي اليماني: ٢٨٣
علي بن محمد الصليحي: ١٤٩
علي بن محمد العلوي: ١٤٨
علي بن نشوان: ١٨٥
علي سالم البيض: ٣٠
علي سامي النشار: ٣٢
علي عبد الله صالح: ١٠٢، ١٠٥، ٢٣، ٢٥، ٢٥٥، ٢٦، ٢٧، ٢٧٨، ٣٠، ٣٠٢، ٣١٤، ٣١٨، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٦٤، ٣٦٩، ٦٨، ٧٥
علي عبد الوهاب: ٣٦٩
علي لطف الثور: ٢٨
علي محسن الأكوع: ٣٦٦
علي محمد الآنسي: ٣٦٣، ٣٦٧
علي محمد مجوّر: ٧٤
علي = المنصور: ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥١
علي ناصر محمد: ٣٠
عمر الجاوي: ٢٨
عمر سليمان المزجاجي: ١١٣، ١١٤
عيدروس: ٢٢٢
غادامر: ٢٠٨
الغجر: ٥٦
غوته: ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠
فارس السقاف: ٢٣٠، ٣٧٤
فاطمة الزهراء: ١٤٥
الفرس: ١٥٥، ١٧٦
فرهاد باشا: ١٨١
فريد هاليداي: ٢١٦، ٢١٨
فريدوم هاوس: ٢٣٧
الفضل الخنفري: ١٤٨
فلسطين: ٦٦

الفلسطينيون: ٥٨، ٦٢، ٦٥، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٤٠
فؤاد سزكين: ١٤٤
فؤاد الصالحي: ٢٣٠
فؤاد عجمي: ٢٠٥
فون شتورر: ١١١
فون قيسمن: ١١٣
فون هندبنورج: ١١١
الفيروز أبادي: ١٨٦
فيصل بن عبد العزيز: ٢٦٩
فيصل الشامي: ٢٦٩
فيليب حتّي: ١٩٩
ڤابيان استابي: ٢٠٠
القاسم بن إبراهيم الرّسي: ١٤٩
القاسم بن أحمد لقمان: ١٢٤
القاسم بن علي العياني: ١٤٩
القاسم بن محمد: ١٥٣، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٠، ٣٤٥
قتادة بن إدريس = أبو عزيز: ١٤٧
قحطان: ١٩١
القرامطة: ١٤٦، ١٤٨
كارل راثينس: ١١٢، ١١٥
كارين أرمسترونج: ٢١٦
كبلنج: ٨٠
كريستيان روبان: ٧٢
كواتمير: ١٩٦
كوتشيرو ماتسورا: ٢٩٠، ٣١٨
كوزيليس أدريانة: ١٠١
الكونغوليون: ٢٠٧
لبيد بن ربيعة: ١٩١
لطف بن محمد الزبيري: ٢٨٣
لمياء التايلاندية: ٢٨١
لينين: ٢٢٧
ليوسيتزر: ٢٠٩
مالك بن أنس: ٩٤
المأمون: ٢٣٨
مبارك: ١٧٥
المتوكل شرف الدين: ١٥٠
المتوكل على الله إسماعيل: ١٧٧
مجاهد أبو شوارب: ٢٨
المحبي بن ظهيرة: ١٦١
المحبّي (المؤرخ)، ١٦٧، ١٧٩
محسن بن الحسن بن زيد: ١٧٤
محمد آل الثنيان: ١٤٢
محمد إبراهيم عبد الرحمن: ١٢٦
محمد أبي نمي: ١٥٢
محمد أحمد العقيلي: ١٤٢
محمد أحمد النعمان: ٢٦٥، ٢٦٨
محمد باشا: ١٧٣
محمد البدر: ٢٦٧، ٢٦٨
محمد بن إبراهيم الوزير: ٩٨
محمد بن أبي نمي: ١٧٩
محمد بن أحمد الجرافي: ٢٧٤
محمد بن أحمد = المهدي: ١٨٠

محمد بن إسماعيل: ١٧٠
محمد بن إسماعيل الأمير: ١٢٢، ٩٨
محمد بن جعفر بن محمد: ١٤٧
محمد بن حسين دلامة: ١٢٤
محمد بن شمس الدين: ١٧١
محمد بن عبد الله: ١٧٩
محمد بن عبد الله آل زلفة: ١٤٢
محمد بن عبد الله العمري: ٢٦٧
محمد بن عبد الوهاب: ١٧٦
محمد بن عبد الوهاب جباري: ١٢١
محمد بن علي الأكوع: ١٤٠، ١٤١
محمد بن علي العمري: ٢٧٥، ٣٤٠
محمد بن القاسم: ١٨٠
محمد بن قاسم الزيدي: ١٤٩
محمد بن المتوكل إسماعيل: ١٨٠
محمد بن محمد بن يحيى مظهر: ٢٩٠
محمد بن محمد زبارة: ١١١
محمد بن محمد مطهر: ٧٤
محمد بن محمد المنصور: ٢٦٩
محمد بن هاشم: ٢٢٢
محمد بن يحيى = المتوكل: ٣٥٢
محمد جابر الأنصاري: ٢٢٩
محمد الحجري: ١٤٠
محمد حسنين هيكل: ٤٢
محمد راغب: ١١١
محمد زين الله الأكسر: ١٢٦
محمد سالم بارحا: ٢٢٠
محمد صالح مطيع: ٢٨
محمد عدنان البخيت: ٣٥٤
محمد علي الآنسي: ٢٩٠
محمد علي باشا: ١٠٦، ١٤١، ١٧٦
محمد علي لقمان: ١٣
محمد العمري: ٣٥١
محمد المتوكل على الله: ١٥٣
محمد محمود الزبيري: ٢٦٥
محمد المؤيدي: ١٧٣
محمد = النبي (ص)، ٣١١
محمد نجيب: ٣٢٩
محمد نور: ٢٦٨
محمود الأول: ١٧٦
محمود باشا: ١٦٤، ١٦٥، ١٧٠، ١٨١
محيي الدين العنسي: ٢٥٤
مراد باشا: ١٨١
مراد باشا (الوزير)، ١٨١
المرينيون: ٣٤
المُزني: ٩٤
مساعد بن سعيد: ١٧٧، ١٧٩
المستعين بالله: ١٤٦
مسعود: ١٧٦
مسعود بن سعيد: ١٧٥، ١٧٩
المسلمون: ٢١٥، ٢١٦، ٣٣٠، ٨٧
المسيحيون: ٤٥، ٤٦، ٨٧
المصريون: ١١٦
مصطفى (الأمير)، ١٨١

مصطفى باشا قرة شاهين: ١٨١
مصطفى باشا النشار: ١٦٩، ١٨١، ١٨١
مصطفى زكي التوني: ١٢٧
مصطفى صادق الرافعي: ٢٦٦
مصطفى عزت بك: ١٥٦
مصلح بيك: ١٥٢، ١٥٢
مطهر أحمد: ٣٦٥
المطهر شرف الدين: ١٥٣، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢
مطهر علي الإرياني: ١٣٣
معاوية بن أبي سفيان: ٣١
المعتزلة: ١٣١
المعتصم: ١٤٦
المعز الفاطمي: ٣٢
المُقبلي: ٣٦١
مكثر بن عيسى: ١٤٧
الملك الصليحي: ١٤٦
المماليك: ١٥٦، ٣٤
المنصور عبد الله: ١٥٠
المهدي المنتظر: ١٤٩
موسى الحسني: ١٤٦
موشي ديّان: ٤٨
المؤيد بن القاسم: ١٦٦
ميلر: ٢١٧
نابليون: ٢٠٦، ٢٠٧
الناخوذة أحمد: ١٥٦
نادر شاه: ١٧٦
نادر فرجاني: ٢٣٣
نشوان بن سعيد الحميري: ١٢٨، ١٢٦، ١٣١، ١٣١، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ٢٧٥
النصارى: ١٩٤
نصر ناصر علي: ٢٨
النهروالي: ١٦٩
نيتشه: ٢٠٨
الهادوية: ٩٥
الهادي إلى الحق = يحيى بن الحسين: ١٤٩، ١٥٠
هاشم بن محمد الحبشي: ٢٢١
هانز هانزيش: ٢٩٠
هرمن كونس: ١١٤، ١١٤
همبولت: ٢٠٨
الهندوس: ٨٧
الهواشم: ١٤٧
هوميروس: ٢٠٩
الوطاسيون: ٣٤
ولتر دوستال: ٢٧٠
وليام بليك: ٢٠٧
وولف: ٢٠٩
ياسين سعيد نعمان: ٣٠
يحيى بن بركات: ١٧٤، ١٧٥، ١٧٩
يحيى بن الحسن: ٩٥
يحيى بن الحسين: ١٤٨، ٣٤٥

يحيى بن الحسين بن القاسم: ١٤٨
يحيى بن الحسين = الهادي إلى الحق: ١٤٨
يحيى جغمان: ٢٨
يحيى حميد الدين: ١٠٥، ١٠٦، ١١١، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧، ٢٨٤، ٣٦١، ١٥٣
يحيى محمد المتوكل: ٦٨، ٢٣٠
يزيد بن معاوية: ٣٢
اليمن: ١٨٤
اليهود: ١٩٤، ٢١٥، ٢٨٥، ٤٥، ٤٦، ٥١، ٦٢، ٨٧
يوسف محمد عبد الله: ١٣٣، ١٤١، ٤٢، ٧٢
يوسف هانز: ١١٣

# فهرس الأماكن


آسية: ٥٤
آسية الوسطى: ١١٩
إب: ٣٥٥
أبو عريش: ١٤٢
إدموند جوف: ١٨
الأردن: ٢٩، ٨٠، ٣٢٥
إسبانية: ٢٣٥
إستانبول: ١٥٣، ١٥٦، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٨، ١٧١، ١٧٣، ٢٠٩
إستانبول = الأستانة: ١٥٧
الأستانة: ١٥٨، ١٦١، ١٧٢، ١٧٨
أسترالية: ٥٥، ٥٩
إسرائيل: ٢٠٣، ٢١٦، ٢٢٧، ٢٤١، ٢٩٣، ٤٨، ٥٨، ٦٠، ٦٢
الأطلسي: ٦١
إفريقية: ٢٢٠، ٣٧، ٥٦، ٦٣، ٧٥
أفغانستان: ٢٠٣، ٢٠٧، ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٩٦
ألماظة: ٢٦٨
ألمانية: ١٠٨، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥
الإمارات العربية المتحدة: ٢٥٦
أمريكة: ٢٠٣، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٢، ٢٣٧، ٣٧٨، ٨٠
أمستردام: ١٠١
الأمم المتحدة: ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٣، ٣٢١، ٣٢٤، ٤٨، ٥٤، ٦٤، ٨٢، ٨٥
الأندلس: ٣٢، ٣٤
إندونيسية: ١٠١، ٢٠٥، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٣٦٢، ٥٦
أوربة: ١٠٦، ١٧٨، ٢٠٣، ٢٥٧، ٣٦١، ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٥٧، ٥٩
أوربة الغربية: ٨٠
أوسلو: ٢٠٢
إيران: ٢١٧، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦١، ٣٧٨، ٦٧
إيرلندة: ٢١٦
إيطالية: ١١٠
باب زويلة: ١٥١
الباب العالي: ١٤٣
باريس: ١٩٦، ٢٨٩، ٢٩٧

باكستان: ٢١٧، ٢٥٩
البحر الأبيض المتوسط: ٣٧
البحر الأحمر: ١٩، ٢٥٩، ٣٧٨
البحرين: ٢٢٩، ٦٧
البحيرة: ١٥١
البراق: ٢٥٤
بردى: ٢٥١
برلين: ١١٥
برن: ٢٠٩
بروسيا: ٤٤
بروملي: ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٩
بريطانية: ١١٠، ١١١، ١٢٠، ١٤٢، ٢٠٣، ٢٥٠، ٢٨١
بستان السلطان: ٣٤٣
البصرة: ٩٣
بغداد: ١٤٥، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨
بلاد الرافدين: ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٧
بلجيكة: ٥٩
البنك الدولي: ٢٩٩
البوسنة: ٦٤
بولاق: ١٩٦
بولندة: ١١٥
البيت الأبيض: ٢٠٥
بئر البهمة: ٣٤٣
بئر الغرب: ٣٤٤، ٣٤٣
بئر القاضي: ٣٤٣
بيروت: ١٣٣، ١٩٦، ٢٨٦، ٣٢٠، ٦٦، ٦٧، ٦٨
التبت: ١٨٩
تركية: ١٧٤، ١٧٧، ٢٥٦، ٤٤، ٥٧
تعز: ١٢١، ٢٦، ٣٣١، ٧١، ٩٨
تهامة: ١٥٦
تونس: ١٩٦، ٢٤١، ٢٧٩، ٣٢، ٣٤
تيمور الشرقية: ٢٩٢
جاكرتا: ٢٢٠
الجامع الأموي: ١٥١
الجامع الكبير: ٣٥٥
جامعة آل البيت: ٨٠
الجامعة الأردنية: ١٣٤
جامعة الأزهر: ١٢٦
جامعة أكسفورد: ٢٧٢، ٤٢
جامعة الإمام محمد بن سعود: ١٤٤
جامعة درم: ١٢٠، ١٤٢
جامعة الدول العربية: ١٣٩، ٢٣٤
جامعة ذمار: ١٢١
جامعة رينيه ديكارت: ١٨
جامعة الشارقة: ١٤٢
جامعة صنعاء: ١٢٦، ٢٨٩، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٨، ٧٥
جامعة عدن: ١٢، ٢٧٠
جامعة عين شمس: ١٢٦، ١٢٧
جامعة فينا: ٢٧٠
جامعة كامبردج: ٢٧١، ٢٨٠

جامعة كولومبيا: ٢٨٦
جامعة لندن: ٢٧١
جامعة الملك سعود: ١٤٢
جاوة: ٢٢١
الجبل: ٩٥
جبل أبي زيد: ١٨٥
جبل الرسّ: ١٤٧
جدة: ١٠١، ١٠٢، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٦٤
الجزائر: ٢٧٩
جزيرة سقطرة: ٣١٨
الجزيرة العربية: ١٤١، ١٥٠، ١٥٧، ١٩، ٢٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٨٤، ٩٨
جزيرة كمران: ١٥٥، ١٦٤
الجمهورية العربية السورية: ٣٢٥
الجمهورية العربية المتحدة: ٢٦٩
جمهورية الكونغو الديمقراطية: ٥٦
الجمهورية اليمنية: ١٣٩، ١٤٠، ٢٥٣، ٢٨٩، ٣٠٢، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٤، ٣١٩، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٧١، ٨٢
الجنوب: ٣٦١
جنوب إفريقية: ٥٠، ٥٤
جنوب شرق آسية: ٢٢، ٢٨١
جنيف: ٥٠، ٦٠
الجوف: ١٤٩
الجولان السوري المحتل: ٣١٣
جوهانسبورغ: ٢١٢
جيبوتي: ٣١٣
جيزان: ٢٧٩
حارة الطاووس: ٣٤٤
الحبشة: ١١١، ١٦٩
الحجاز: ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥١، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٩، ٩٣، ٩٨
حضرموت: ١٧٧، ٢٢١، ٢٧١، ٣٥٧، ٩٨
الحطيم: ١٦١
حلب: ١٤٦، ١٥٠، ١٥٣
الحورش: ٢٥٤
حيدان: ١٨٥
الخليج: ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٣٣، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦١
الخليل: ٢٩٨
دار البشائر: ٣٤٣، ٣٤٤
دار الجامع: ٣٤٣، ٣٤٤
دار الحجر: ٣٤٥
دار الفتح: ٣٤٣
دار الفكر دمشق: ١٣٣، ٣٥٩
دار الفكر اليمن: ٣٣٢
دارة الملك عبد العزيز: ١٤٢
دبي: ٢٥٦
دربان: ٥٠، ٦٠

دمشق: ١٥١، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٨، ١٩٨، ٢٥١، ٢٦٧، ٢٦٩، ٣٥٩، ٩٧
الدوحة: ٦٧، ٨١
الديار المصرية: ١٥٢
الديلم (موضع)، ١٤٩
ذمار: ١١٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ٩٨
رواندة: ٥١
روسية: ٢٦١
الروضة: ٣٤٤
الروم (بلاد)
الرياض: ١٤٣، ٢٦٠
الريدانية: ١٥١
ريدة: ١٤٩
زبيد: ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٧٠، ١٧٣، ١٨١، ٣٥٧، ٨٤، ٩٨
الزيدية: ٩٥
سان فرانسيسكو: ٢٧٦
سبأ: ٢٤٣، ٣٧٧، ٣٧٨، ٧٥
السجن الحربي: ٢٤
سنغافورة: ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٣٦٢
السودان: ٣٢٥، ٣٢٥، ٣٣٠، ٧٦
سورية: ٢٩، ٣٢٥
السويس: ١٥٥
سويسرة: ٥٩
شارع أمين الرافعي: ٢٦٩
الشام: ١٤١، ١٥٠، ١٥١، ١٥٩، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ٢٢٠، ٢٥١، ٣٣٤، ٩٣، ٩٥، ٩٧، ٩٨
شبام: ٣٥٧، ٨٤
شبوة: ١٠٢، ٣٥٥
الشَّحْر: ١٥٥
الشرق: ١٥٢، ١٥٥، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢٤، ٢٨٥، ٨٠، ٨١
شرق آسية: ٢٢٢، ٣٦٢
الشرق الأدنى: ٨٠
الشرق الأقصى: ٢٢٢، ٨٠
الشرق الأوسط: ٢٠٣، ٢٠٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٨١، ٣٠٥، ٣١٠، ٣١٥، ٣٢٥، ٣٥، ٣٧٨، ٥٧، ٥٧
الشطر الجنوبي: ٢٩
الشطر الشمالي: ٢٨
الشمال: ٣٦١
شمال إفريقية: ٢٠٦، ٢٨٢
شهارة: ١٦٦
الصافية: ٣٤٤
صعدة: ١٤٨، ١٤٨، ١٤٩، ١٨٤، ١٨٥
الصليف: ١٥٥
صنعاء: ١١١، ١١٢، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٤٩، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣، ٢١٩، ٢٢٨، ٢٥١، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٤، ٣٠، ٣٥، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٢،

٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧١، ٧١، ٧٥، ٧٩، ٨١، ٨١، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٤، ٩٤
الصومال: ٢٩٦، ٣١٣، ٧١
الصين: ١٨٩، ٢٥٦، ٢٦١، ٥٨
الصين الشعبية: ٢٦٠
الضفة الغربية: ٢٠٣
الطائف: ٢٥٢
طرابلس: ٢٩
طهران: ٢٦١
طوكيو: ١٠٥، ٨٠
العالم العربي: ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١، ٧٥، ٨٠، ٨٧، ٨٩
عدن: ١٠٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٨١، ١٩، ٢٢١، ٢٤٩، ٢٦٩، ٣٠، ٧٤، ٧٥
العراق: ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٥٥، ١٥٥، ١٩، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٥٧، ٢٩، ٢٩٦، ٣٢٥، ٣٧٨، ٤١، ٤٨، ٨١، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٥
عسير: ١٤٢، ١٧٤، ٢٧٩، ٢٨٢
عصبة الأمم: ٤٧
عمان: ١٤٨
المغرب: ١٠٦، ١٤٠، ١٩٧، ٢٠، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٧، ٢١٧، ٢٢٩، ٢٤، ٣٣٣، ٣٦٧، ٣٧٨، ٨٠
غرب إفريقية: ٢٠٦
الغربية: ١٦١
غرناطة: ٣٤
غزة: ٢٠٣
فارس: ١٤٩، ١٥٥
فاس: ٢٢٧، ٣٤
فتى الفليحي (حيّ)، ٢٦٥
فرجينيا: ٢٠٩
فرنسة: ١٠٦، ١١٠، ٥٩
فلسطين: ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٩، ٦٤، ٨١، ٨١
فيينا: ١٥٥، ٢٧٣، ٣٦٢
قابس: ١١١
القارة الإفريقية: ٣٢٤
القارة الهندية: ١٥٥
قاعة الجوف: ٣٥٤
القاهرة: ١١١، ١٢٦، ١٥١، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٤، ٢١٧، ٢٤، ٢٥١، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٥
قاهرة المعز: ٩٣
القدس: ٢١٦، ٢٩٨، ٣٠٩
القرن الإفريقي: ١٨، ٢٢، ٣١٣
القسطنطينية: ١٦٦، ١٦٧
قصر صالة: ٣٣١
قطر: ٦٧
القنفذة: ١٧٤

كامب ديفيد: ١٣٥، ٢٢٧
كامبردج: ٢٧٢
كربلاء: ١٤٥
كورية: ١٠٥
كوسوفو: ٦٤
الكوفة: ٩٣
كوكبان: ٢٨٣
الكويت: ١٧، ١٩، ٢٨، ٢٩
لبنان: ٢٠٢، ٣١٥
لندن: ١١، ١٢، ٢٠١، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤
ليبية: ٢٧٩
مأرب: ٣٥٥
ماليزية: ٢١٩، ٣٦٢، ٢٠٥، ٢١٧، ٢٢١
متنزه الروضة: ٢٨٣
مجلس التعاون الخليجي: ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٣٧٨
محافظة الجوف: ٣٥٥، ٣٥٧
محافظة شبوة: ٣٥٧
محافظة عمران: ٣٥٥
محطة فكتوريا: ٢٦٦
المخا: ١٠١، ١٧٨
المدينة المنورة: ٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٨
مرج دابق: ١٥٠
مركز دراسات الوحدة العربية: ٦٨
مرو: ١٩٠
المشرق العربي: ٤١، ٩٧، ١٥٠١، ٢٥٠
مصر: ٣٤، ٩٣، ٩٧، ٩٨، ١٠٦، ١١١، ١٣٥، ١٤١، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٧، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٣٣، ٢٥١، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٤
مصوع: ١٧٠
المعهد الفرنسي: ٣٣٢
المغرب: ٢٥٠، ٩٧
مكة المشرفة: ١٥٢
مكة المكرمة: ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩
المماليك: ١٥٤
المملكة العربية السعودية: ١٤٠، ١٤٣، ٢٢٢، ٢٤١، ٢٧٦، ٢٧٩
المملكة المتحدة: ١١، ٥٣
المنامة: ٦٨، ٨٠
المواهب: ٣٨١، ١٧٤، ١٨٠
ميانمار: ٥٧

نجران: ١٤٩، ١٩٤
النيل: ٢٥١
نيودلهي: ٨٢، ٨٦
نيويورك: ٢١٧، ٤٨، ٤٩
الهرسك: ٦٤
همدان: ١٤٩، ٣٦١
الهند: ١١٩، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٤، ١٦٩، ٢٠٦، ٢١٦، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٨٢، ٥٤، ٩٣، ٩٨
الهند الصينية: ٢٠٦
هولندة: ١٠١، ١٠٢، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤
وادي صبر: ١٨٤
واشنطن: ٢٠٣، ٢٦٠، ٢٦١
الوطن العربي: ٢٢٨، ٢٩١، ٣٣٣، ٤٠
الولايات المتحدة: ٢٠، ٢٠٣، ٢١٦، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٩٢، ٢٩٢، ٣٠٥، ٤٦، ٥٣، ٨١
اليابان: ١٠٥، ١٠٦، ٢٥٦، ٢٦١، ٥٩، ٦٧، ٨٠
اليمن: ١٦، ١٨، ٢٤، ٢٥، ٢٩، ٦٨، ٧١، ٧٣، ٨٥، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٣، ١١٤، ١١٦، ١١٩، ١٢، ١٢٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٨، ١٧٨، ١٨١، ١٨٥، ١٨٩، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦، ٢٦١، ٢٦٩، ٢٧، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩٦، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٥، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٧٨،
يوغسلافية: ٥٦، ٥٦
اليونسكو: ١٢، ٣٢، ٣٦، ٧٩، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٢٨٩، ٢٩٤، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٥
اليونيسيف: ٢٩٩

him having written the history before proceeding to write The Prologue. Alternatively, let us say, that when Ibn Khaldun embarked on writing the infamous Prologue he had by then already structured or *envisaged* in his mind the initial workings of the history, which he continued to work on and make corrections to until its final copy in Egypt. This final draft or copy is possibly the one known as al-Dhahiri copy (1397 AD / 799 AH), which was presented to the Mamluk Sultan al-Dhaher Barquq (AD1382 - 1399).

This is the most important copy, and the one most worthy of revision and publication, as is the view of our friend and scholar Ibrahim Shabooh, in comparing it with other available copies.

Therefore, after all this, I ask; **does not** the Book of History ***al-bar*** by now deserve to receive its due recognition. Moreover, in so doing that it may be re-united with its Prologue ***al-Muqadima***, in a fully edited publication. This is what we soon hope to attain.

As such, this project is at the moment is being worked on. This follows the printing of Shabooh's publication of al-Muqadima (first volume) and last part of 'Biography of Ibn Khaldun', which came out in a well-revised edition (pub.2006, Tunisia).

At this time, Shabooh is personally overseeing the revision and soon-to-be published edition of the entire volumes of the Book on History *al-Ibar*, which is being revised by a team of scholars and specialists, both Arab and Orientals, among whom stands before you the presenter of this modest paper.

sides: the Indian Ocean on the south, the Persian Gulf jutting out of the Indian Ocean to al-Basra on the east, and the Red Sea jutting out of the Indian Ocean to Suez in Egypt on the west. This can be seen on the map. There is no way from the Yemen to the Maghrib except via Suez. The distance between the Red Sea and the Mediterranean is two days journey or less. It is unlikely that a great ruler with a large army could traverse the distance unless he controlled that region. This, as a rule, is impossible. In that region, there were the Amalekites and Canaan in Syria, and, Egypt, the Copts. Later on, the Amalekites took possession of Egypt, and Israelites (took possession) of Syria. There is, however, no report that the Tubba`s ever fought against one of these nations or that they had possession of any part of this region. Furthermore, the distance from the Yemen to the Maghrib is great, and an army requires much food and fodder. Soldiers traveling in regions other than their own have to requisition grain and livestock and to plunder the countries they pass through. As a rule, such a procedure does not yield enough food and fodder. On the other hand, if they attempted to take along enough provisions from their own region, they would not have enough animals for transportation. So, their whole line of March necessarily takes them through regions they must take possession of and

force into submission in order to obtain provisions from them. Again, it would be a most unlikely and impossible assumption that such an army could pass through all those nations without disturbing them, obtaining its provisions by peaceful negations. This shows that all such information (about Tubba`s expeditions to the Maghrib) is silly or fictitious ...'*.

Likewise, there are many other examples to be found in the remaining volumes of the book of History *al-Ibar* that testify to

---

* see: Rosenthal's translation of THE MUQADDIMAH; 1/21-25

This led at-Tabari, al-Jurjani, al-mas`udi, Ibn al-Kalbi, and al-Bayhaqi to make the statement that the Sinhajah and the Kutamah belong the Himyar. The Berber genealogists do not admit this, and they are right. Al-Mas`udi also mentioned that one of the Himyar kings after Afriqus, Dhu l-Adh`ar, who lived in the time of Solomon, raided the Mahgrib and forced it into submission. Something similar is mentioned by al-Mas`udi concerning his son and successor, Yasir. He is said to have reached the Sand River in the Mahgrib and to have been unable to find passage through it because of the mass sand. Therefore, he returned.

Likewise, it is said that the last Tubba`, As`ad Abu Karib, who lived in the time of the Persian Kayyanid king Yastasb, ruled over Mosul and Aserbaijan. He is said to have met and routed the Turks and to have caused a great slaughter among them. Then he raided them again a second and third time. After that he is said to have sent three of his sons on raids, (one) against the country of Fars, (one) against the country of the Soghdians, one of the Turkish nations of Transoxania, and (one) against the country of the Rum (Byzantines). The first brother took possession of the country up to Samarkand and crossed the desert into China. There he found his brother who had raided the Soghdians and had arrived in China before him. The two together caused a great slaughter in China and returned together with their booty. They left some Himyar tribes in Tibet. They have there down to this time. The third brother is said to have reached Constantinople. He laid siege to it and forced the country of the Rum (Byzantines) into submission. Then, he returned.

All this information is remote from the truth. It is rooted in baseless and erroneous assumptions. It is more like the fiction of storytellers. The realm of the Tubba`s was restricted to the Arabian peninsula. Their home and seat was Sana`a in the Yemen. The Arabian Peninsula surrounded by the ocean on three

"I have formed a book on history ... I followed an unusual method of arrangement and division into chapters. From the various possibilities, I chose a remarkable and original method, (p.6) ... It forces stubborn stray wisdom to return to the fold. It gives causes and reasons for happenings in the various dynasties. It turns out to be a vessel for philosophy, a receptacle for historical knowledge...(p.7)".

On examining what is mentioned in the 6th and 7th pages of al-Muqadima, we find clear implication that Ibn Khaldun had by then already written his book on (of) history and from it he pondered and deduced or formed his ideas in al-Muqadima.

Here, I would like, as an example, to quote one or two passages from al-Muqadima that testify to what he wrote in the 2nd volume, - **after al-Muqadima** - regarding the history of Arabs, and in particular concerning what was narrated on the Pre-Islamic History of Yemen (i.e. what was dubbed as the 'History of Legends & Story-telling', which he neither believed in nor trusted in its validity):

'The history of the Tubba`s, the kings of Yemen and of the Arabian Peninsula, as it is generally transmitted, is another example of silly statements by historians. It is said that from their home in Yemen, (the Tubba`s) used to raid Ifriqiyah and the Berbers of the Maghrib. Afriqus b. Qays b. Sayfi, on the their great early kings who lived in the time of Moses or somewhat earlier, is said to have raided Ifriqiyah. He caused a great slaughter among the Berbers. He gave them the name of Berbers when he heard their jargon and asked what "barbarah' was. This gave them the name which has remained with them since that time. When he left the Maghrib, he is said to have concentrated some Himyar tribes there. They remained there and mixed with the native population. Their (descendants) are the Sinhajah and the Kutamah.

What is indeed regrettable is the overdue negligence - since the history al-Ibar and its Prologue were printed in the faulty Bolaq copy (Cairo,1858), and the French Orientals Coutmere's famed printing of the Prologue within the same year, as well as the much later Beirut copy (also faulty) - regrettable, that none of the scholars and specialized editors had ever undertaken, at the very least, to edit and distribute the History so that it may receive merit as did the Prologue, let alone embark on edition, analysis, criticism and conclusive supposition.

**If**, it was Shabooh's undertaking, many years later, to travel from place to place collecting the displaced original manuscripts of the Book of al-Ibar, which was edited in an excellent academic manner and finally published last year (2006) in Tunisia - the first volume (the Prologue), and the final volume (Biography of Ibn Khaldun & His Travels) - **then** it has now become the task of a team of scholars, both Arab and Orientals, to publish the **entire** History of al-Ibar, with both its Prologue and last volume (i.e. Ibn Khaldun's Biography), and with detailed indexes and glossaries that will help researchers and specialists re-evaluate the book, the importance of which is certainly **no** less than that of the Prologue.

During the recent celebrations (last year) commemorating the sixth centennial passing of Ibn Khaldun, I remembered the extensive studies on the Prologue that were published by the late scholar أبي خلدون ساطع الحصري. Returning to this, I found that he had cited Ibn Khaldun by explaining the following:

> "Ibn Khaldun shows enormous pride with The History he has written, illustrating this pride by using candid phrases...this is clearly seen from some of the phrases he uses in the beginning of the Introduction where Ibn Khaldun presents both the History and Prologue", by saying;

"I have concluded this first part [volume] in five months, the last of them during the middle of the year 779AH [1377 AD] ..."

For years, the Tunisian scholar Ibrahim Shabooh had focused his efforts reflecting on this issue as he conducted his research traveling from place to place collecting original manuscripts of Ibn Khaldun's Book on History, including its Prologue. Finally, he asked himself; truly, if Ibn Khaldon had finished writing the Prologue within five months and only after two years and one month since his confinement to the castle, then the question unanswered is what was he working on during the rest of this time?

After unraveling further evidence, Shabooh later came to the conclusion that Ibn Khaldon had, from the onset of his arrival, occupied himself with writing the Book on History, supposedly, with the section on Berbers in the final chapters of the Book, dealing with the information he had gathered, most of which was verbal and had no written references. In doing this, Ibn Khaldun found himself motivated to incorporate his intellectual perceptions in a theoretical approach, consequently writing The Prologue **al-Muqadima** within 5 months, as mentioned. Then, when he returned to the subject on Arabs, he found that the references he held were insufficient because their complete main sources (manuscripts) were not to be found except in major cities الأمصار. As such, his thought was to return to Tunis with its rich libraries, and so he continued to write his grand book, that he even added the section on Persians after he settled finally in Egypt.

In this way, he applied his opinions and corrections from time to time, consequently he returned more than once to revise his Prologue in line with what he managed to gather and as his understanding deepened still.

# An Outlook on Ibn Khaldun's Book of History "AL-IBAR" and its Prologue "AL-MUQADIMA"

A Paper presented at Univ. of Heidelberg, June 2007 by

**Professor Hussein A. al-Amri**

Allow me today to indulge you with this paper. Although its subject is perhaps not altogether a new one to most specialists within this field, its outcome probably is.

To this day there still exists much skepticism from an age-old quarrel concerning **when** the great scholar Ibn Khaldun (1332-1406) had actually written his celebrated Prologue **al-Muqadima** (i.e. being the first volume of his vast book on History, which he named **al-Ibar**). Did he write and complete al-Muqadima before or after al-Ibar? This of course being during the period of his return in 1374 to Algeria where he confined himself, a fact well known, to the Castle of Ibn Salamma for the next four years of his life. There he practically rid himself from all distractions and accordingly begun writing the book.

In the last part of the first volume (al-Muqadima), Ibn Khaldun wrote the following;

# يَمانيّات في التاريخ والثقافة والسياسة

هذه هي الحلقة الثالثة من كتاب يمانيات، التي دأب الأستاذ الدكتور حسين عبد الله العمري على الكتابة فيها كتابة توثيق وتحقيق متناولاً مسائل اليمن القديمة والمستجدة.. ليضع لبنة أخرى في هذه السلسلة وليقدم أشياء مفيدة في تاريخ اليمن، من خلال باقة لطيفة منوّعه، يتابع فيها مطالعته المتخصصة عن رجال بلاده، وعن صلاتها في المؤتمرات السياسية والدبلوماسية، وعن مشكلاتها في الداخل والخارج؛ إنها تفاصيل تفوت خطوط التاريخ الكبيرة والعريضة، ولكن يلمحها المؤرخ بعين الملاحظة ،ويعلق عليها التعليق المفيد، ويحلل ويشرح.. فما لا تجده في التاريخ العام لليمن الحديث تجده هنا ماثلاً أمام العينين في أسلوب متألق.. لكاتب مؤرخ توفر إنتاجه على خدمة بلاده..




المؤلف أ.د. حسين بن عبد الله العَمري
عضو المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو
( ٢٠٠٣ - ٢٠٠٧م ) في الاجتماع للدورة الأخيرة

Prof. Dr. Husayn Al ʻAmri
Yamāniyyāt
on
History, Culture and Politics
(III)

ISBN 995351188-8
